البحث فى الإعجاز التربوى القرآني

الأستاذ الدكتور
مصطفى رجب




منتدى سور الأزبكية



البحث
في الإعجاز التربوي القرآني

الأستاذ . الدكتور

مصطفى رجب

أستاذ الدراسات العليا بكلية الشريعة - جامعة اليرموك - سابقا

عميد كلية التربية بسوهاج - سابقا

عميد المعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان - سابقا

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

البيـــــانـــــات

<table>
<tr><td>عنوان الكتاب– Title</td><td colspan="3">البحث فى الإعجاز التربوي القرآني</td></tr>
<tr><td>المؤلف - Author</td><td colspan="3">الأستاذ .الدكتور / مصطفى رجب .</td></tr>
<tr><td>الطبعة - Edition</td><td colspan="3">الأولى .</td></tr>
<tr><td>الناشر - Publisher</td><td colspan="3">العلم والإيمان للنشر والتوزيع .</td></tr>
<tr><td>عنوان الناشرAddress</td><td colspan="3">كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة
تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١
فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١</td></tr>
<tr><td rowspan="2">بيانات الوصف المادي</td><td>عدد الصفحات
Pag.</td><td>مقياس النسخة
Size</td><td>التجليد</td></tr>
<tr><td>٣٥٢</td><td>١٧,٥ x ٢٤,٥</td><td>مجلد</td></tr>
<tr><td>المطبعة - Printer</td><td colspan="3">الجلال .</td></tr>
<tr><td>عنوان المطبعة -
Address</td><td colspan="3">العامرية إسكندرية.</td></tr>
<tr><td>اللغة الأصل</td><td colspan="3">اللغة العربية .</td></tr>
<tr><td>رقم الإيداع</td><td colspan="3">١٠٣٦١ـ ٢٠٠٧م</td></tr>
<tr><td>الترقيم الدولي .I.S.B.N</td><td colspan="3">977- 308 - 130 - 3</td></tr>
<tr><td>تاريخ النشر - Date</td><td colspan="3">2008</td></tr>
</table>

الإهداء

إلى أرواح أساتذتي وشيوخي الذين تلقيت عنهم القرآن الكريم الشيخ إبراهيم حسن ، الشيخ جاد الكريم طنطاوي ، الشيخ عبد الرحيم برعي ، الشيخ محمد حب النبي ، الشيخ محمد رجب رحمهم اللهِ جميعا وأجزل مثوبتهم .

مصطفى رجب

قائمة الموضوعات

بدلاً من المقدمة

مدخل تنظيري

في منهجية البحث في الإعجاز التربوي في القرآن الكريم

لا خلاف بين المشتغلين بالعلوم الإسلامية والعربية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدرين الأولين لتلك العلوم مهما تختلف مناهج البحث فيها. ولا خلاف بينهم كذلك على كون القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذين المصدرين. وفيما يتعلق بدراسة الفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم، هناك أكثر من مدخل يمكن في رأينا إجمالها فيما يلي:

١- دراسة الفكر التربوي من زاوية فلسفية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يعقد موازنات بين عطاء القرآن الكريم في مجال فلسفة التربية وما قالت به الفلسفات التربوية البشرية. ويدرس الباحث هنا الجوانب المعروفة لأية فلسفة تربوية مثل: رؤيتها للطبيعة البشرية، والقيم والوجود، والحرية .. إلخ.

٢- دراسة الفكر التربوي من زاوية اجتماعية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يركز على مشكلات المجتمع وكيف تناولها القرآن الكريم. ويتعمق الباحث في تحليل الأبعاد المختلفة لتلك المشكلات وأثرها في الفرد. كما يتناول البحث في هذا الميدان قضايا العمل والإنتاج والاقتصاد والعلاقات الإنسانية بوصفها من "القوى والعوامل" المؤثرة في أي نظام تربوي.

٣- دراسة الفكر التربوي من زاوية فردية:

وفي هذا الإطار يمكن للدارس أن يبحث وضعية "الإنسان الفرد" في القرآن الكريم بوصفه المحور الذي تدور حوله عملية التربية، فيرى كيف عرض الإنسان في القرآن: خلقاً وتكويناً وتنشئة. وكيف بيّن القرآن أحوال نموه المختلفة وطباعه المختلفة.

٤- دراسة الفكر التربوي من زاوية القصة القرآنية:

وفي هذا الإطار يدرس الباحث قصص القرآن الحافلة بالعطاء التربوي المكثف بحيث يكشف عن مسالك التربية بالقصة في القرآن، ويحلل كيف استخدم القرآن عناصر القصة المختلفة: الشخصيات الحوار - الزمان - المكان - الأحداث في إبراز الفكرة الأساسية للقصة.

مما سبق يتضح أن هناك مداخل متعددة لدراسة الفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم، أشرنا إلى نماذج منها، وهناك غيرها الكثير. ومع ذلك فإن الدراسة الحالية هذه لن تتطرق إلى دراسة مفصلة للفكر التربوي من خلال أحد المداخل السابقة. ولكنها تطمح إلى إثارة "نقاط" بحثية يمكن لمن يرغب في دراسة العطاء التربوي القرآني أن يتخذ إحداها نقطة انطلاق يبني عليها خطة بحثية متكاملة ونعتقد أن ذلك أجدى من تركيز البحث في نقطة واحدة قد لا يجد فيها القارئ ما يبحث عنه من "إثارة" لمشكلات بحثية تهمه.

وفيما يلي نقدم عدة تصورات أكثر تحديداً لدراسات يمكن أن تتعرض للفكر التربوي في ضوء القرآن الكريم:

التصور الأول: الأهداف التربوية في ضوء القرآن الكريم:

يقول أحد المربين المعاصرين: "إذا لم تكن متأكداً من المكان الذي تسير إليه فإنك ستنتقل إلى مكان آخر".

وهذه الجملة البسيطة، توضح بشكل عملي أهمية تحديد الأهداف في حياة الإنسان العادي فالذي يمشي مكباً على وجهه؛ محكوم عليه حتماً بأن يضلّ طريقه ولما كانت نظم التعليم الحالية وأشكالها المؤسسية أصبحت مسؤولة اجتماعياً عن تنشئة الأجيال وتهيئتها لحمل راية التقدم بالمجتمعات وقيادتها، فقد أصبح لزاماً على تلك المؤسسات

التعليمية أن تبذل جهداً واضحاً من أجل تحديد ماهية رسالتها أو بتعبير آخر: أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها.

ومنذ ظهور تصنيف "بلوم" الشهير للأهداف التربوية في أوائل الخمسينيات من هذا القرن ظهرت مئات من الكتب والدراسات التربوية حول موضوع الأهداف، صياغتها واستخدامها، وبشكل عام تحتدم الخلافات بين الكتاب حول:

- مستويات الأهداف التربوية: ويقصد بها الغايات التربوية، والأغراض والأهداف العامة والأهداف الخاصة، ويختلف ترتيبها تصاعدياً أو تنازلياً من مؤلف إلى آخر.
- مصادر اشتقاق ولكنها (عند الجميع) لا تخرج عن ثلاثة مصادر تشتق منها أهداف التعليم وهي: المتعلم "من حيث نموه وحاجاته وميوله"، والمجتمع "من حيث طبيعته ونظمه ومشكلاته" والمادة الدراسية "من حيث مجالاتها ومكوناتها وطرق تدريسها".
- سلطة وضع الأهداف التربوية: ويقصد بها الجهة المنوط بها تنفيذياً تحديد الأهداف التربوية المرجوة: أهي السلطات السياسية، أم السلطات التعليمية؟.

والحقيقة التي نؤمن بها: أن كثيراً من التخبط الذي تعاني منه نظم التعليم في البلدان العربية والإسلامية، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتخبط تلك النظم في صياغة أهدافها التربوية. وتبني المشروع الغربي في تناول تلك الأهداف تحت تأثير عوامل عديدة، منها: التبعية الثقافية "وبخاصة التبعية التربوية" للغرب، ويمكن حل هذه الإشكالية ببساطة إذا ما اتجهت دراسات تربوية تتناول صياغة أهداف تربوية في ضوء القرآن الكريم للمجتمعات الإسلامية. وتأتي هذه الخطوة من عدة منطلقات أهمها

- ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لا يتغير كالقرآن الكريم بكم كونه نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل. وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها في

ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهي تخضع للأهواء السياسية المتقلبة وحسابات المصالح قصيرة الأمد؛ مما يسبب قلقاً دائماً للنظم التعليمية.

- إبراز الهوية الإسلامية في ارتكازها على كتابها السماوي في تشريعها التربوي الذي هو جزء من النظام الاجتماعي العام الذي ينبغي له أن يخضع – في شتى منظوماته الداخلية للتشريع الإلهي.
- التصدي للاتهام الشائع للتربية الإسلامية بأنها مجرد "مواعظ" وتوجيهات خطابية جوفاء لا تناسب العصر الحاضر.

والذي نتصوره في هذا الصدد: أن تأخذ عدة دراسات حديثة على عاتقها مهمة اشتقاق أهداف تربوية من القرآن الكريم مصنفة في مستويات تلائم المستويات المعروفة حالياً في الأوساط التربوية ولكن أسس تلك الأهداف مأخوذة من عطاء القرآن الكريم. وحتى لا نتهم بالخطابية فإننا نضرب مثالاً على ذلك: فإذا اعتبرنا "التقوى" مثلاً غرضاً تربوياً عريضاً، أو هدفاً أو غاية استناداً إلى قوله تعالى ﴿ .... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] أو﴿ .... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، فمن الممكن في الخطوة التالية أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتقوى مستخلصاً من صفات المتقين بعد تحليلها موضوعياً من جميع أماكن ورودها في القرآن. وفي خطوة تالية نحول ذلك التعريف إلى خطوات إجرائية ملموسة يمكن قياسها. وفي الخطوة الأخيرة نوزع تلك الخطوات الإجرائية على مناهج المواد الدراسية المختلفة أو على المراحل التعليمية المختلفة .. وهكذا.

١- سورة البقرة: من الآية٥٣
٢- سورة البقرة: من الآية٢

التصور الثاني: الطبيعة البشرية في ضوء القرآن الكريم:

الإنسان هو محور العملية التربوية الذي تدور حوله، فالطفل المتعلم "إنسان" بالدرجة الأولى يفرح، ويألم، ويحب، ويكره، وله طموحاته، وميوله، ويختلف كل فرد عن الآخر بدرجات متفاوتة من الاختلاف في كل ناحية من نواحي شخصيته. ومن هنا تأتي أهمية دراسة الطبيعة البشرية كجزء أساسي من أي دراسة تخوض فلسفة التربية باعتبار الإنسان هو "الخامة" الأساسية للعمل التربوي

وتتناول دراسة الطبيعة البشرية عناصر عديدة أهمها:

١- أثر كل من الوراثة والبيئة في تكوين الإنسان.

٢- الاختلاف بين الذكور والإناث: أنواعه - اتجاهاته - آثاره.

٣- هل الإنسان مسيّر أو مخيّر؟.

٤- أيهما أكثر تأثيراً في السلوك: الجسم أم العقل؟.

وقد قدمت الفلسفات التربوية المعاصرة آراء كثيرة لها في كل ناحية من هذه النواحي وتناول تلك الآراء كثيرٌ ممن كتبوا في فلسفة التربية. ولكن الدراسات التي تعرضت لدراسة الطبيعة البشرية في القرآن الكريم ما تزال محدودة جداً ، وفي تصورنا أن من الضروري قبل الشروع في وضع أسس للفكر التربوي الإسلامي تخصيص دراسة مستقلة لتجلية هذا الجانب الهام الذي هو -كما في البداية- محور العملية التربوية، فقد عرض الإنسان في القرآن منظوراً إليه من زاوية طبيعته البشرية من خلال:

أ - حديث القرآن عن الحواس: وظيفتها الأصلية، وإساءة استخدامها.

ب- حديث القرآن عن النفس: أنواعها - ودورها في السلوك.

ج- حديث القرآن عن دوافع السلوك: الوراثية، والبيئية.

د – حديث القرآن عن الحرية والاختيار في حياة الإنسان: وهي قضية نالت حظها من الدراسة على أيدي علماء الكلام ورجال الفرق والمفسرين.

التصور الثالث: الجوانب المعرفية في القرآن الكريم:

تتناول مباحث نظرية المعرفة الجوانب التالية بوجهٍ عام:

١- طبيعة المعرفة (ماهيتها).

٢- مصادر المعرفة: (العقل – الحواس – الوحي – الحدس – العقل والحواس معاً).

٣- أنواع المعرفة.

وتأتي أهمية دراسة نظرية المعرفة كجزء أساسي من أي فلسفة تربوية، من كون التربية بطبيعتها عملية "نقل معارف" إلى جانب كونها عملية اكتساب مهارات وعملية خلقية. والملاحظ حالياً أن الاتجاه المسيطر على النظم التربوية المعاصرة هو تغليب الجانب المعرفي على الجانبين الآخرين: المهاري والخلقي على الرغم من النداءات المتكررة لرجال التربية الحديثة بضرورة إيجاد "توازن ما" بين الجوانب الثلاثة.

ومع الانفجار المعرفي السائد حالياً تصبح عملية "اختيار" ما يقدم في المناهج المدرسية عملية في غاية الصعوبة. ففي العصر الحاضر يتضاعف العلم في أوربا كل خمسة عشرة سنة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية كل عشر سنوات، وفي روسيا كل سبع سنوات وفي الصين كل خمس سنوات؛ مما يدل على أن التنافس العلمي العالمي حالياً أصبح يجري بصورة تشبه السباق إن لم نقل الصراع.

والحقيقة أن البحث عن "نظرية" للمعرفة في القرآن الكريم أمرٌ لازمٌ لإبراز الهوية الحضارية للمجتمعات الإسلامية، وأمرٌ حتمي لإبراز "الذات" الخاصة للتربية في الشعوب الإسلامية.

وفي تصورنا أن مثل هذا البحث يمكن أن يتناول الجوانب التالية:

أ - طرق اكتساب المعرفة في القرآن (الدعوة إلى إعمال العقل -عدم إنكار دور الحواس في اكتساب المعرفة -التركيز على دور الوحي والإلهام ..إلخ).

ب- ماهية المعرفة في ضوء القرآن (فتح المجال أمام جميع العلوم مع مراعاة المعيار الشرعي في النفع والضرر على نحو ما توضحه كتابات التربويين القدامى كالغزالي وغيره).

ج- تصنيفات المعرفة القرآنية:

١- القرآن وعلوم الحياة (البيولوجيا: الحيوان والنبات والحشرات).

٢- القرآن وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

٣- القرآن وعلوم اللغة.

٤- القرآن والبحث التاريخي.

٥- القرآن وعلم الطبيعة (الفيزياء: الجوامد، الحرارة، الطاقة، الكتلة الزمن .. إلخ).

٦- القرآن والعلوم الرياضية (الحساب -الفلك -النجوم ..إلخ).

التصور الرابع: التربية في القصص القرآني:

على الرغم من أن هذا الجانب نال قسطاً أوفر من الدراسات التربوية الحديثة إذا قورن بالجوانب السابقة، فإنه ما زال يفتقر إلى دراسات أكثر عمقاً تتناوله من عدة زوايا جديدة لم تُطرق حتى الآن مثل:

١- دراسات تربط بين عطاء علم اللغة الحديث الذي يدرس "الأسلوب" وفقاً للمناهج الحديثة "التركيب النحوي والصرفي والصوتي والدلالي" وعطاء علوم النفس والتربية من أجل استنباط محتوى تربوي أكثر عمقاً.

٢- دراسات تتناول القصص القصيرة جداً في القرآن والتي لم تتوقف عندها الدراسات السابقة كثيراً مثل قصص (سبأ وسيل العرم - الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الصافنات الجياد - بناء الكعبة - القوم الجبارين - أصحاب الجنة (سورة ن) صاحبي الجنتين(سورة الكهف) وغيرها).

٣- دراسات تتناول القصص النبوي الذي جاء لتوضيح قصص قرآني مجمل أو القصص النبوي الذي جاء تفسيراً لآيات قرآنية غير قصصية أو بها إشارات سريعة.

٤- دراسات تتناول القصص القرآني موضوعياً مقارناً من خلال عدة تفسيرات ذات اتجاهات (تفسير بالمأثور - تفسير بالرأي - تفسير إشاري - تفسير إجمالي).

٥- التصور الخامس : الدراسة التحليلية لسورة كاملة من القرآن الكريم ، بالتركيز على الجوانب التربوية الثلاثة : الجانب المعرفي ، والوجداني والمهاري .

أين تقع بحوث الإعجاز التربوي مما سبق ؟،

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد العرض السابق لآفاق البحث التربوي في القرآن الكريم هو : أين تقع بحوث الإعجاز التربوي مما سبق ؟ وللإجابة على هذا السؤال يأتي هذا الكتاب متضمنا :

١- فصلا يضم نماذج تطبيقية لمواقف تربوية يومية في حياة المسلم كالمشي في الطرقات وتناول الغذاء ، والبحث عن مهنة يرتزق منها ، وكيف كان القرآن معجزا وهو يقضي في تلك المواقف بأخصر عبارة وأشملها ، بالنظر إلى ما يكرسه الفكر الوضعي المعاصر

لكل منها من مؤتمرات ومنتديات وملايين الصفحات التي لا تغني شيئا ويأخذ بعضها بتلابيب بعض

٢- فصلا ثانيا يتناول إعجاز القرآن في تقديمه أصولا للتربية التي تقي المسلم من كل شر.

٣- فصلا ثالثا يتناول إعجاز القرآن في تقديمه أصولا للتربية التي تعالج المسلم من كل خطأ أو خطيئة أو شر وقع فيه.

٤- فصلا رابعا يتناول إعجاز القرآن في تقديمه أصولا للتربية مستقاة من دراسة استقصائية حاولت إبراز سلوك الجبارين ومآلهم.

٥- فصلا خامسا يتناول إعجاز القرآن في تقديمه أصولا للتربية مستقاة من تحليل لسورتين كاملتين من سور القرآن الكريم

أما بعد

فلعل في السطور السابقة إشارة كافية للإمكانات البحثية التي ما تزال بكراً في مجال القرآن الكريم والفكر التربوي. أردنا بها فتح الباب أمام طلاب البحث العلمي الصابرين الصادقين، الذين سيجدون صعوبات جمّة في هذا الطريق، ولكن إيمانهم بقيمة ما سيصلون إليه من نتائج قيّمة مفيدة يعصمهم من الملل والزلل.

وفي هذا الكتاب محاولة لتطبيق ما ذهبنا إليه ، نرجو أن يكون فيه ما يفيد الباحثين والسائرين على طريق الهداية.

وأرجو من كل قارئ يرى عيبا في الكتاب أن يرشدني - مشكور مأجورا - إليه لأستغفر الله منه ، وأصلحه في طبعة قادمة.

والله ولي التوفيق

د. مصطفى رجب

الفصل الأول :

نماذج تطبيقية

من الإعجاز التربوى القرآنى

١- التربية المرورية :

لقد أنزل الله تعالى كتابه العزيز ليكون هاديا للمؤمنين ، ودستورا شاملا لحياتهم ونبراسا يسترشدون بنور هديه فيستقيم سلوكهم وفق الشرع الحنيف، ولذلك لم يفرط ربنا عز جاهه في شيئ كما قال تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وإذا جهد العلماء -بشتى تخصصاتهم- في تدبر القرآن الكريم فسيجدون لكل مشكلة حلا ، ولكل أزمة سبيلا ، ولكل مأزق مخرجا .والتربويون على وجه الخصوص مطالبون أكثر من غيرهم بتدبر القرآن ، والنظر في أسراره ، بحكم كونهم معنيين بدراسة السلوك البشري ، ومحاولة إقامته على أرشد السبل وأقومها .

والمرور في الأصل ليس مشكلة بذاته ، لكن ما اكتنف حياة الناس من تسارع وتنافس ، وحب للغلبة ، ورغبة في التفاخر والتظاهر ، وما تعانيه الطرق من ازدحام وتكدس ، وتقصير المختصين في توفير أماكن للوقوف ، وانعدام التربية الأسرية السلوكية أو ضعفها ، واختلاط التشريعات الخاصة بالمشاة والسائقين وإشارات المرور...الخ ، كل تلك المؤثرات جعلت من عملية " المرور" مشكلة نراها جديرة بالبحث والتحليل في ضوء معطيات الكتاب العزيز.

آداب سير المشاة :

لقد نبهنا القرآن الكريم إلى أن للسير في الطرق آدابا وأحكاما يجب مراعاتها منها

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

الاعتدال والتمهل ،

قال تعالى:

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

أي امش مقتصدا مشيا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين ، وهذه الآية وردت في سياق وصية لقمان لابنه فبعد ما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال: "واقصد في مشيك" أي توسّط فيه والقصد ما بين الإسراع والبطء؛ أما ما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام من أنه كان إذا مشى أسرع، وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع - فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت؛. وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته فقال تعالى :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

أي يمشون بسكينة ووقار من غير تجبر ولا استكبار، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياء وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا وما فاتكم فأتموا ".

وقوله تعالى: "هَوْنًا ": الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار. وفي التفسير يمشون على الأرض حلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السمت

(١) سورة الأنعام : الآية ١٩.
(٢) سورة الفرقان : الآية ٦٣.

من أخلاق النبوة. وروي في صفته صلى الله عليه وسلم أنه " كان إذا زال زال تقلعا، ويخطو تكفؤا، ويمشي هونا، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب." [التقلع: رفع الرجل بقوة ، والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده. والهون : الرفق والوقار. والذريع الواسع الخطا؛ أي أن مشيه كان يرفع فيه رجله بسرعة ويمد خطوه؛ خلاف مشية المختال] كما قال القاضي عياض.

خفض الصوت :

ومن آداب السير أيضا خفض الصوت ، ويدخل في ذلك – في رأينا – ما يلجأ إليه بعض السائقين من إساءة استعمال زامور السيارات ، وارتفاع أصوات الأغاني الصادرة من المذياع أو أجهزة التسجيل وأصوات الناس أنفسهم فإن في ذلك كله إزعاجا لسكان المنازل المتاخمة للطرق ، كما أن فيه إرباكا للسائقين الآخرين . وقوله تعالى (وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ) أي لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ، ولا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرَيْطاؤك!

[والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير. والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة.]
وقوله تعالى "إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ " أي أقبحها وأوحشها؛ والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ وفي الآية دليل على قبح رفع الصوت في المخاطبة وتشبيه له بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية. وفي الصحيح عن النبّي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا). وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة

وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز ومن كان أخفض كان أذل، حتى قال شاعرهم:

جهير الكلام جهير العطاس　　جهير الرواء جهير النعم

ويعدو على الأين عدوى الظليم　　ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: "إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ" أي لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء.

وبذلك نتأدب بأدب القرآن الكريم ، ونرى في إساءة استعمال آلة التنبيه في السيارات تشبها بأخلاق الجاهلية ، إذ إن الضغط على تلك الآلة باستمرار واختيار الأنواع المزعجة منها فيه نوع استكبار واستعلاء وتفاخر وكلها من صفات الجاهلية .

غض البصر :

وهذا الخلق ليس بعيدا عما نحن بصدده ، فالسيارات لها حكم المسكن من جهة الحرمة .

فلا يحل للمشاة ولا للسائقين أن يدققوا النظر في سيارات الآخرين لئلا ينتهكوا حرماتهم ويسببوا لهم الحرج .

حمد الله على نعمة الطرق :

إن الله تعالى امتن على عباده بما مهد لهم من الطرق ، ونحن نرى ماتعانيه الدول حاليا حين تتكلف شق طريق وتمهيده ، فتنفق الأموال وقد تهدر الأرواح – كما حدث في شق قناة السويس وكان الضحايا بالآلاف –فما خلقه الله تعالى من طرق ممهدة نعمة جديرة بالشكر والحمد والامتنان ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

وقال أيضا :

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

وقال أيضا :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾[3].

وفجاجا : أي واسعة ، أي أن بسط الطرق الواسعة ، وتمهيدها للسير ، مما ييسر على الناس الضرب في مناكبها ، لطلب الرزق ، وابتغاء فضل الله حيثما وجد، وقال جل شأنه :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4].

ولذا فيجب على كل مسلم شكر الله على نعمة الطرق وتيسير وسائل الوصول للأماكن المختلفة .

آداب القيادة في ضوء القرآن الكريم :

يقول تعالى : .

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة طـــه : الآية ٥٣.
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٣١.
(٣) سورة نـــوح : الآيات ١٩ : ٢٠.
(٤) سورة الزخرف : الآية ١٠ .
(٥) سورة الزخرف : الآيات ١٢ : ١٣.

تضمنت هاتان الآيتان آداب استعمال الدواب والمركبات الميكانيكية التي عبر عنها بالنوع الذي كان معروفا للعرب وقت نزول القرآن وهو السفن : " الفلك " والأنعام المقصودة هنا هي الخيل والبغال والحمير والإبل فهي التي تُركَب ، فكأن النوعين المذكورين في الآية يشملان ما يُركب في البر والبحر ، والآداب المتضمنة في تينك الآيتين هي :

١. الإيقان بأن تلك المركوبات لم تكن لتذلل للإنسان إلا بتسخير الله تعالى إياها

٢. إحسان قيادتها وقد عبر عنه بالاستواء على ظهورها .

٣. تذكر نعمة الله في تذليلها حال الاستواء عليها.

٥- التعبير عن شكر الله على تسخيرها بتسبيحه وتحميده .

٦- التبرؤ من الحول والقوة ، فالإنسان – من جهة القوة البدنية – أضعف كثيرا من أي من تلك المركوبات ، ولولا فضل الله ورحمته لما استطاع السيطرة عليها .

٧- التيقن من لقاء الله ، وذلك ورد في الآية التالية لتينك الآيتين وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وهذا التيقن يجعل المؤمن قريبا من ربه ، متحسبا للموت في أي لحظة ، فزعا من إزهاق أرواح أي من مخلوقات الله بله الإنسان .

نظرة لغوية في الآيات :

عن قوله تعالى: "لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ " قال الفراء: أضاف الظهور إلى واحد لأن المراد به الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند؛ فلذلك ذكر وجمع الظهور، أي على ظهور هذا الجنس.

(١) سورة الزخرف : الآية ١٤.

وقال القرطبي : قوله تعالى: "لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ " يعني به الإبل خاصة بدليل ما ذكرنا. ولأن الفلك إنما تركب بطونها، ولكنه ذكرهما جميعا في أول الآية وعطف آخرها على أحدهما.

وقوله تعالى: "... وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ" أي مطيقين؛ في قول ابن عباس والكلبي وقال الأخفش وأبو عبيدة: "مقرنين" ضابطين. وقيل: مماثلين في الأيد والقوة؛ من قولهم: هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة. ويقال: فلان مقرن لفلان أي ضابط له. وأقرنت كذا أي أطقته. وأقرن له أي أطاقه وقوي عليه؛ كأنه صار له قرنا. قال الله تعالى: "... وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ " أي مطيقين. وأنشد قطرب قول عمرو بن معد يكرب:

لقد علم القبائل ما عقيل   لنا في النائبات بمقرنينا

وقال آخر:

وكبتم صعبتي أشرا وحيفا   ولستم للصعاب بمقرنينا

و قال ابن السكيت: وفي أصله [أي الإقران] قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من أقرن يقرن إقرانا إذا أطاق. وأقرنت كذا إذا أطقته وحكمته؛ كأنه جعله في قرن - وهو الحبل - فأوثقه به وشده. والثاني: أنه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير؛ يقال: قرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه.

تذكر الموت واجب على كل راكب وقائد مركبة ،

والذي نلاحظه في مجتمعاتنا العصرية ، من طيش وغرور في قيادة السيارات والدراجات البخارية والشاحنات وما إليها ، مرده إلى نزق الشباب ، وقلة التدين ، والغفلة عن تذكر الموت ، والاغترار بقوة السيارة ومتانة صناعتها وجودة كوابحها وسلامة أجهزتها

مهارة قائدها . غير أن ذلك كله ليس بشيء إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، ولذلك قال القرطبي رحمه الله :

"علمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب، وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن؛ وهي قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

فكم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك. وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا. فلما كان الركوب مباشرة أمر محظور واتصالا بأسباب من أسباب التلف أمر ألا ينسى عند أتصال به يومه، وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله عز وجل غير منفلت من قصائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه. والحذر من أن يكون وركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه.

وحكى سليمان بن يسار أن قوما كانوا في سفر وكانوا إذا ركبوا قالوا:

"سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ "

وكان فيهم رجل على ناقة له رازم [الرازم من الإبل: الثابت على الأرض لا يقوم من الهزال.] فقال: أما أنا فاني لهذه لمقرن، قال: فقمصت به فدقت عنقه. وروي أن أعرابيا ركب قعودا له وقال إني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه. ذكر الأول الماوردي والثاني ابن العربي. قال: وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان؛ فيقول متى ركب وخاصة في السفر إذا تذكر: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له بمقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والجور بعد الكور، وسوء

---

(١) سورة هود : الآية ٤١.

المنظر في الأهل والمال؛ يعني بـ "الجور بعد الكور" تشتت أمر الرجل بعد اجتماعه. وقال عمرو بن دينار: ركبت مع أبي جعفر إلى أرض له نحو حائط يقال لها مدركة، فركب على جمل صعب فقلت له: أبا جعفر! أما تخاف أن يصرعك ؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (على سنام كل بعير شيطان إذا ركبتموها فاذكروا اسم الله كما أمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله) [أي أنها إنما تحملكم بأمر الله وتسخيره]. وقال علي بن ربيعة: شهدت علي بن أبي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال باسم الله، فلما استوى على الدابة قال الحمد لله، ثم قال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون" ثم قال: الحمد لله والله أكبر - ثلاثا - اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " .

ويذكر القرطبي حالة من الغرور في عصره تشبه بعض أحوال شباب المسلمين الغافلين في أيامنا هذه فيقول إن على الراكب أن يكون على ذكر دائم لله ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أوفي بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يستقون حتى تمل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم؛ لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

وروى ابن كثير في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا وكان صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إذا رجع إلى أهله قال آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون وهكذا رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

٢- التربية الغذائية :

مر أكثر من ثلاثين عاماً منذ بدأت جامعاتنا العربية تهتم بأسلمة العلوم التربوية التي نشأت في مطلع القرن العشرين الميلادي في معاهد إعداد المعلمين ذات الطابع الغربي وبدأت البحوث التربوية في الأعوام الثلاثين الأخيرة تيمم وجهها شطر الإسلام على استحياء فتتناول نظم التعليم في عصر معين، أو عند مفكر من مفكري الإسلام. ومن هنا بدأت مفاهيم (التربية الإسلامية) تتداخل وتضطرب ولم تستطع – حتى الآن- أن تكون لها "معياريتها" الخاصة التي تصبح بمقتضاها "علماً مستقلاً له خصوصيته".

ولقد كان البحث عن "جذور" و "مبادئ" و "أسس" لتلك التربية من خلال المصادر الرئيسة للشريعة الإسلامية هو الأوفق والأليق بالباحثين التربويين في مجال التربية الإسلامية. وهو ما حاوله بعضهم ونكص عنه الآخرون. ولذا، فالمقال التالي يمثل "خطوة" تأطيرية على هذا الطريق الشائك الشائق. نأمل أن نحذو حذوها مستقبلاً نحن وغيرنا من رجال هذا الميدان المخلصين.

المبادئ العامة للتربية الغذائية:

إذا كانت المبادئ العامة للتربية الغذائية الوضعية البشرية تهتم بالصحة الجسمية، والجوانب الاقتصادية لا تكاد تعدوهما إلى ما سواهما، فإن المفهوم الإسلامي للتربية الغذائية له منطلقاته الخاصة المرتبطة بالأحكام العامة للشريعة الإسلامية، ويمكننا تحديد هذا المفهوم الإسلامي للتربية الغائية في عبارة وجيزة هي:

"إن الإسلام يتطلب من المسلم أن يراعي في غذائه أن يكون كاملاً، حلالاً، طيباً، وأن يتخذ منه وسيلة للأخوة وأداة للتعاون على البر".

كمال الغذاء: ويكون الغذاء كاملاً إذا حقق المقصود منه وهو بناء الجسم بالصورة التي تجعله قوياً لأن المؤمن القوي – في نظر الإسلام- خير من المؤمن الضعيف. ولا يتأتى هذا –على مستوى الجسد- إلا بالتغذية السليمة التي تبدأ من الرضاعة. قال تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ...﴾[1].

فإذا اجتاز المسلم طور الرضاعة، وبدأ يعتمد على نفسه في التغذية فإن كمال الغذاء يتحقق بتنويع مصادر الطاقة في الطعام ما بين بروتين ونشويات وسكريات وفيتامينات. وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المصادر الأربعة بما يدل على إباحتها –في ضوء الضوابط الشرعية- ففيما يتعلق بالبروتينات: أباح الله تعالى اللحوم بأنواعها: لحوم الأنعام والأسماك والطيور وحتى لا نضيع وقت القارئ نحيله على الآيات الكريمة التي أحلت الصيد بوساطة الكلاب المدربة وبوساطة الصقور المدربة وتلك الآيات التي تحدثت عن لحوم الهدي في موسم الحج ووجوب الأكل منها وإطعام الفقراء. وتلك الآيات التي تحدثت عن "اللحم الطري" (السمك) الذي يُستخرج من البحار والأنهار كما تحدث عن الألبان...إلخ.

كما تحدث القرآن عن النشويات من خلال حديثه عن الزروع ووجوب إيتاء حقها يوم حصادها، ومن مجادلته مع الضالين المكذبين حين قال لهم:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ ﴾[2].

كما تحدث عن السكريات حين ذكر الأعناب وحين ذكر النحل وما يخرج من بطونها من عسل. كما تحدث عن الفيتامينات حين ذكر الفواكه والخضروات.

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٣.
(٢) سورة الواقعة : الآيات ٦٣: ٦٤.

فتفصيل ذلك كله يحتاج إلى مقالات مستقلة، لكننا نشير إليها هنا على وجه الإجمال لندلل على أن الله تعالى أراد للمؤمن أن يتمتع-بشكل عام -بما رزقه من تلك الطيبات حتى يكون غذاؤه كاملاً.

فقال جل شأنه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا .... ﴾[1].

وقال أيضاً:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ .... ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ... ﴾[3].

التماس الحلال:

وتتطلب التربية الغذائية من المسلم أن يتحرى الحلال في طعامه وشرابه. فلا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، ولا يأكل إلا من كسب حلال. لأن ذلك مرتبط بإجابة دعائه لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح لسعد بن أبي وقاص: "أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة".

وعلى ذلك لا يحل للمسلم أن يتناول الخمر وما في حكمها مما حرمه الله ثم يدعي أنه مؤمن ملتزم بشرع الله. فالحلال معناه: أن يكون ثمنها حلالاً، وأن تكون هي بذاتها -أي الأطعمة- مما أحل الله تناوله.

(١) سورة البقـــرة : من الآية ١٦٨ .
(٢) سورة البقـــرة : من الآية ١٧٢ .
(٣) سورة الأعراف : الآيـــة ٣٢ .

الطيب:

والطيب من الغذاء المقصود هنا هو ما تشتهيه النفس مما أحل الله وفق القاعدة العريضة (الطيبات كلها حلال، والخبائث كلها حرام) فيدخل في الخبائث: الطعام المنتهي الصلاحية، والبيرة، والدخان بأنواعه، والمشروبات الكحولية كافة، ومن باب أولى المخدرات والمفترات جميعاً.

الأثر الاجتماعي للتربية الغذائية:

إن للتربية الغذائية في المفهوم الإسلامي مبادئ اجتماعية تتعلق بالعلاقات بين أفراد المجتمع المسلم نذكر منها:

١- إكرام الضيف:

قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

تدلنا هذه الآيات على:

١/١. أن من أصول المروءة أن يبادر المزور بتقديم الطعام لمن يأنس من ضيوفه أنهم غرباء أو جاءوا في وقت طعام، أو على سفر دون أن يسألهم إن كان بهم حاجة للطعام أم لا

١ /٢. إن من المروءة أن يتلطف المزور في تشجيع زائره على الأكل فلا يقول له بصيغة الأمر المنفرة: (كُل) بل يستخدم أسلوب التحضيض الذي ورد في الآية (ألا تأكلون) أو ما شابهه من أساليب عصرية ملائمة.

---

(١) سورة الذاريات: الآيات ٢٤ : ٢٧ .

١/٣. إن من الواجب المبادرة بتقديم الطعام فور وصول الضيف فقد قال القرآن الكريم عن هذه الواقعة حين رواها في سورة هود:

﴿ ... فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]. أي: لم ينتظر.

٢- الضيافة وسيلة للأخوة والتعاون على البر:

إن الدعوة إلى تناول الطعام تشيع في المجتمع المسلم - كلما تكررت وشاعت- جوًّا من المحبة والمودة وذلك مرهون بأن تلتزم جميع الأطراف ما أمر به الشرع الحنيف في هذا المجال مثل:

٢/أ- تلبية الدعوة إلى الطعام: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بأن يتلطف بعضها ببعض فلا يتكبر المدعو إلى الطعام ويعتذر، بل يجيب من دعاه حتى يجبر خاطره ويدخل عليه السرور بحضوره. فقال صلى الله عليه وسلم: "لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت".[صحيح البخاري/ كتاب الهبة -حديث رقم ٢٥٦٧]

أي أنه لا يستنكف من إجابة دعوة من يدعوه حتى لو كان فيها من اللحم أدناه وهو الذراع. ومن السنة أن يفطر المدعو إذا دُعي وكان صائماً صيام تطوع. فإن كان صيامه قضاء فإنه يعتذر للداعي بلباقة ويدعو له بالخير والبركة لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا دُعي أحدكم فليجب فإن كان صائماً فليصلِّ، وإن كان مفطراً فليطْعم". [صحيح مسلم/ كتاب النكاح، حديث ١٤٢٩]

٢/ب- الحضور وقت الطعام والانصراف بعد الطعام بالضبط:

---

(١) سورة هود . من الآية ٦٩ .

من الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين اليوم، وتتنافى مع مبادئ التربية الغذائية الإسلامية، أن يحضر المدعوون قبل الطعام بوقت طويل فيسببون لصاحب الدعوة ارتباكاً في بيته. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ.. ﴾[1].

فقد دلت الآية الكريمة على وجوب أن يحضر المدعوون وقت الطعام تماماً، فإذا أكلوا لم يمكثوا بل يخرجون حتى يفرغ صاحب البيت وأهله لشؤونهم.

هذه قيمة إسلامية غائبة في حياتنا العصرية، وقد ذهب بها انبهار المسلمين بما تروجه الحضارة الغربية الزائفة من قواعد (الإتيكيت) التي تتنافى مع مبادئ الإسلام الخاصة بعدم إهدار الوقت في الأحاديث التافهة والسمر الفارغ.

٢/ج- التزام آداب المائدة:

وللمائدة في الإسلام آداب يجب التزامها في أثناء تناول الطعام منها:

٢/ج/١- التسمية.

٢/ج/٢- الأكل باليمين.

٢/ج/٣- الأكل مما يلي الإنسان وليس من وسط الطعام.

٢/ج/٤- التحدث أثناء الأكل بأحاديث مفيدة للترويح ودفع الحرج وحتى لا ينشغل أحد بأحد.

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية ٥٣ .

٢/ج/٥- التأني في تناول الطعام لما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال (إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القِران- أي أن يضم اللقمة إلى اللقمة أو التمرة إلى التمرة [صحيح البخاري/كتاب الأطعمة - حديث رقم ٥٤٤٦]

٢/ج/٥ الشرب من الأكواب وليس من أفواه السقاء فإذا كان على المائدة زجاجة ماء أو كأس كبير به ماء فلا يشرب الآكل منه مباشرة بل يصب ما يريد في كوب لما ورد من نهيه صلى الله عليه وسلم عن الشرب من "في" السقاء. [صحيح البخاري/كتاب الأشربة حديث رقم ٥٦٢٨]

٣- الشكر على الطعام:

إذا دُعي الإنسان إلى طعام ولبى الدعوة، فإن عليه أن يشكر الداعي، ويدعو له بالخير، فعن أنس بن مالك قال: "إن رسول الله صلى اله عليه وسلم زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعاماً فلما أراد أن يخرج، أمر بمكان من البيت فنُضح له على بساط فصلى عليه ودعا لهم". [صحيح البخاري/ كتاب الأدب - حديث رقم ٦٠٨٠].

٤- البدء بأكبر الحاضرين:

من السنة المطهرة أن الناس إذا اجتمعوا على طعام لا يبدأون حتى يبدأ أكبر الحاضرين سناً أو قدراً. لما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: "كنا إذا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده" [صحيح مسلم/كتاب الأشربة -حديث رقم٢٠١٧]

ويقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا هذا أكبر الحاضرين سناً أو اكثرهم علماً أو أصحاب الوجاهة والمكانة الاجتماعية الذين أوجب الإسلام احترامهم.

٥ - عدم الإسراف:

من مبادئ التربية الغذائية في الإسلام الاعتدال وعدم الإسراف لقوله تعالى :

﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ... ﴾[1].

وإنما يكون الإسراف عن طريق المبالغة في إعداد الموائد الحافلة بالأكل التي تزيد عن الحاجة حيث يتخذ بعض المسلمين إقامة الولائم مظهراً من مظاهر الرياء والتفاخر والمباهاة فتفقد بذلك جوهر وظيفتها الأصلية وتصبح مأثماً لا مغنماً لأصحابها.

٦- كراهية الصوم المتصل:

إذا كان الإسلام يستهدف أن يكون جسم المسلم قوياً، ويحبذ من أجل ذلك أن يتناول ما شاء من طيبات ما رزق الله من غير إسراف، فإنه على الجانب الآخر لا يجب أن يتناسى بعض المسلمين ويدعون الزهد والتقشف فيهملون حق أجسامهم فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألم أُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: بلى قال: فلا تفعل: قم ونم وصم وأفطر فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً". [صحيح البخاري/ كتاب الأدب، حديث رقم ١٣٤]

أن ما سبق عرضه من مبادئ للتربية الغذائية في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة بقدر اجتهادنا المتواضع - يمكن أن يكون مدخلاً لدراسات أكثر توسعاً تستهدي الكتاب الكريم في محاولة لتأصيل مبادئ تربوية ينهض عليها بناء "علم" التربية الإسلامية الذي نرجو أن يستوي على سوقه في جامعاتنا العربية ويؤتى أكله بإذن ربه إنه سبحانه سميع مجيب.

(١) سورة الأعراف: من الآية ٣١ .

٢- التربية المهنية :

لم يرد مصطلح " المهنة " أو " الحرفة " في القرآن الكريم صريحا ، ولكن وردت إشارات إلى كثير من المهن التي امتهنها الإنسان على مر العصور مقرونة بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي من على الإنسان بتعليمه هذه المهنة ومنه ما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾ (١).

قال القرطبي : هو اتخاذ الدروع بإلانة الحديد له ، و اللبوس عند العرب هو السلاح وكان أول من صنع الدروع هو داود عليه السلام وكانت صفائح وهو أول من سردها.

أما في السنة النبوية فقد ورد هذا المعنى واضحاً في الأحاديث الشريفة التي تحث على الامتهان والكسب من عمل اليد.

فقد روى البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت: " لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مئونة أهلي أو شغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من المال وأحترف للمسلمين فيه".

قال ابن حجر رحمه الله: " حرفتى: أي جهة اكتسابي ، والحرفة، جهة الاكتساب والتصرف في المعاش ، وأشار أبو بكر الصديق بذلك أنه كان كسوباً لمؤنته ومؤنة عياله بالتجارة من غير عجز، تمهيداً على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه [فتح الباري - ٤/ ٣٧٨]

مما سبق نستنتج أن المهنة والحرفة استعملتا في القرآن الكريم والسنة النبوية بالمعنى نفسه الذي نستخدمه في عصرنا وهو الدلالة على الأعمال التي يمارسها الإنسان بيده وتكون سبباً في كسب معاشه ومعاش أهله.

---

(١) سورة الأنبياء : من الآية ٨٠

-نظرة الإسلام للحرفة والعمل اليدوي:-

حث الإسلام على العمل لأنه سبيل لتحصيل المعاش وسد المؤنة بالطريق الحلال لذلك اهتم به واهتم بإتقانه، واهتم أيضا بأن يكون سبيلا للأجر والثواب من الله تعالى ويظهر هذا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من خلال المعايير الإسلامية للعمل اليدوي وهي :

١-أهمية اتقان العمل:

والحرص على إتمامه على أكمل وجه ويظهر هذا في قوله تعالى:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ... ﴾[1].

ففي الآية دلالة على أن الله تعالى يحب العمل المتقن الذي تتحقق فيه الغاية منه. فلن يصل الله شيئ من لحوم الذبائح أو دمائها ولكن يصله سبحانه الغاية من ذبحها وهي التزام أمره طلبا لرضوانه وعفوه .

٢-الإخلاص في العمل:

وهذا سبب أساسي لقبول العمل، والإثابة عليه، إذ يمثل الإخلاص العامل الأهم في حياة الناس حيث يكون العمل به متقناً ، ويمثل جانبا مهما من تحقيق العبودية لله تعالى:

قال تعالى:

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[2].

وفي هذه الآية دلالة واضحة على أهمية سعى المسلم لنيل مرضاة الله تعالى من خلال

(١) سورة الحج : من الآية ٣٧ .
(٢) سورة البقــرة : الآية ١٣٩ .

إخلاصه في القيام بأعماله.

٢-الحث على الكسب:

وهو باب مهم من أبواب الدعوة إلى العمل والكسب والامتهان فقد قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ .... ﴾[1].

في الآية دليل على نعمة الله على الإنسان في خلقه النهار ليكون وقتا مناسباً بما فيه من ضوء ودفء وحرارة لطلب الرزق.

٤-السعي للكسب والتجارة

فهناك كثير من الآيات الحاثة على السعي والعمل والتجارة منها قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾[2].

ففي الآية دلالة على نعمة الله وتيسر الكسب للإنسان من ناحيتين:

الأولى: خلقه لليل ليكون مكاناً للنوم والراحة للابدان لتستطيع القيام بالأعمال في النهار، وخلقه للنهار ليكون وقتاً لانتشار الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسباب رزقهم.

-في الحديث الشريف ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدقَ به ويستغني به من الناس،خير له من أن يسأل رجلاً، أعطاه أو منعه ذلك، بأن اليد العليا أفضل من اليد السفلي وابدأ بمن تعول". ففي الحديث الحث على الأكل من عمل اليد،والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في موات"[3].

---

(١) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٤٧ .

(٣) محيى الدين النووي، شرح صحيح مسلم، (بيروت، دار المعرفة) ط٣، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، جزء ٧، ص١٣٢.

٥-الله تعالى هو الرزاق:

وهذا أمر عظيم ومهم وهو إدراك الإنسان بأن الرزق من عند الله، فلا يخشى من انقطاع رزقه على في أحد من خلقه ولا يخاف أن لا يحصل رزقه لأن الرزق بيد الله تعالى فبذلك يكون المؤن قوى لا يخاف في قوله الحق لومة لائم ويعيش مرتاح البال مطمئن النفس.

قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

فالله تعالى يرزق أولياءه رزقا واسعا رغداً لا فناء له لا انقطاع

-نماذج من المهن الواردة في القرآن والسنة وحثهما عليها:

أولا: الصناعة:

لقد حث القرآن الكريم عليها، وتقدمت الإشارة في قوله تعالى عن سيدنا داود:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ .... ﴾[2].

فهو أول من صنع الدروع من الناس على الإطلاق، لكن المتتبع للسنة النبوية يجد كثيراً من الأحاديث الحاثة على أنواع الصناعات المتعددة ومن أهمها:

- **كسب الخياط:**

فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك قال: "إن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعة ،قال : فذهب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام ، فقرب إليه خبزاً ومرقاً فيه دباء وقديد، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع

---

(١) سورة الفرقان : الآيــة ٢١٢ .

(٢) سورة الأنبياء : من الآية ٨٠ .

الدباء من حوالي القصعة ، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ".

قال ابن حجر : يدل الحديث: على جواز الخياطة، وأنها لا تنافي المروءة"[1].

- كسب النجار:

روى الإمام البخاري عن سهل بن سعد قال: " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة -امرأة- أن مرى غلامك النجار يعمل لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمت الناس فأمرته يعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فأمر بها فوضعت ، فجلس عليه"[2].

روى مسلم عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" كان زكريا نجاراً".

قال النووي: فيه جواز الصنائع وإن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة وفيه فضيلة سيدنا زكريا أنه كان صانعاً يأكل من كسب يده"[3].

- كسب الحداد:

روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أي إبراهيم، ثم دفعه على أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، قد امتلأ البيت دخاناً فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت، يا أبا سيف ! امسك ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك ...".

فيه جواز الحدادة والعمل بها[4].

---

(١) فتح الباري، جزء ٤، ص٣٩٦، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق، جزء ٤، ص٣٩٧.
(٣) شرح صحيح مسلم، جزء ١٥، ص١٣٣، مرجع سابق.
(٤) شرح صحيح مسلم، جزء ١٥/ص٧٤، مرجع سابق.

- **كسب القصاب (الجزار):**

عن أبي مسعود قال: " جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب فقال هل مَصّاب أجعل لى طعاماً يكفي خمسة فإني أريد أن أدعو النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة فغني قد عرفت في وجهه الجوع، فدعاهم ، فجاء معهم رجل: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا قد تبعنا ، فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت إن يرجع رجع، فقال لا ، بل قد أذنت له"[1].

- **كسب النّساج:**

روى البخاري عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال:"جاءت امرأة ببردة قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي اكسوهها، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاج إليها. فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل، من القوم: يا رسول الله أتحسنيها، فقال: نعم مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثم رجع مطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم، ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرد سائلاً فقال الرجل: والله ما سألتها غلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه"[2].

ثانيا: الزراعة:

حث القرآن الكريم والسنة النبوية على الزراعة لأنها السبيل لإنتاج غذاء الإنسان ولباسه وقد منّ الله تعالى على الإنسان بهذه الغمة من حيث عدة أمور ذكرها في القرآن الكريم:

١- امتنان الله تعالى على الإنسان بالنبات الأخضر باعتباره أساس نمو النبات وتحقيق النفع للإنسان.

---

(١) فتح الباري، جزء ٤، ص٣٨٨، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق، جزء ٤، ص٣٩٦.

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1].

ففي الآية امتنان من الله تعالى على خلقه بإيجاد هذه المادة الخضراء التى هي أصل الحياة وأصل تنوع النباتات.

٢-بيان قدرة الله في تنوع النباتات واختلافها،

في قوله تعالى:

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2].

وفي الآية دليل على نعمة التنوع في التربية مما ينتج تنوع في أصناف النباتات مع وجودها إلى جنب بعضها ومع كونها تسقى بالماء نفسه إلا أنها ثمار مختلفة الطعوم وبعضها أفضل من بعض"[3].

٣-استفادة الإنسان من الحيوان،

إذ يعتبر الاهتمام بالحيوان الثروة الحيوانية من أنواع الزراعة والإنتاج من حيث الاهتمام بالمراعى وبأماكن وجود الماء حاجات الحيوان المختلفة ويظهر هذا في قوله تعالى

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٩ .
(٢) سورة الرعد : الآية ٤ .
(٣) صفوة التفاسير جزء ٢، ص٦٩، مرجع سابق.

﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ۝ ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝ ﴾[3].

٤- اعتبار النباتات نعمة ولكن إذا تفاخر بها الإنسان واستغنى بها واستعلى بها على الناس كانت وبالا وإثماً عليه، ومصدراً للعذاب والجزاء على اغتراره بها.

قال تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ ﴾[4].

---

(١) سورة النحل : الآيات ٥ : ٨ .
(٢) سورة النحل : الآية ٦٦ .
(٣) سورة النحل : الآية ٨٠ .
(٤) سورة الكهف : الآية ٣٢ .

وقوله:

﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

فقد أعطاه الله جنتين لهما منظر بهيج يصوره القرآن أروع تصوير، منظر الحديقتين المثمرتين بأنواع الكرم المحفوفتين بأشجار النخيل تتوسطهما الزروع وتنفجر بينهما الأنهار ثم أصبحت بسبب كفره وجهوده وبكره أرضا ملساء لا نبات فيها لا شجر"[2].

٥-الاهتمام بالزراعة أحياء الأرض إذا لم يستطع صاحبها العمل بها أن يدع غيره يزرعها على نسبة من الثمار مما يحب الأرضِ أولاً ويحقق الفائدة لصاحب الارض وللزارع وللناس جميعاً.

فقد روى البخاري عن جابر رضى الله عنه قال: كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها، فإن لم فعل فليمسك أرضه"، ثم بعد ذلك سمح النبي عليه السلام بكراء الأرض حتى لا تتعطل منفعتها للإنسان والحيوان"[3].

ثالثا، التجارة:

اهتم الإسلام بالتجارة باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر الرزق ويحصل المنفعة للناس، فقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم تاجراً في مال خديجة بنت خويلد في بداية حياته قبل أن يتزوجها.

ويظهر الاهتمام بالتجارة في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال الأمور التالية:

(١) سورة الكهف : الآية ٣٤ .
(٢) صفوة التفاسير: جزء٢، ص١٧٦، مرجع سابق.
(٣) فتح الباري: جزء ٥، ص٢٩، مرجع سابق.

١-مشروعية البيع وفضله:

ويظهر هذا في كثير من الأدلة الشرعية ، ففي الحديث الذي رواه البخاري من أبي هريرة قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة، ولولا إتيان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[1].

إن إخواننا المهاجرين كان يشغلهم الصفقة فى الأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون والصفق في الأسواق يعنى ضرب اليد باليد عند عقد البيع، وفي الحديث دلالة على اهتمام الصحابة بالتجارة والقيام على مصالحهم[2].

٢-التجارة في البحر:

حيث اهتم القرآن بعرض نعمة الله على خلقه في تيسير البحر لهم سبيلاً يسلكونه في تجارتهم قال تعالى:

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

(١) سورة البقرة : الآيات ١٥٩ :١٦٠ .
(٢) فتح البـاري : جزء١، ص٢٦٢، مرجع سابق.
(٣) سورة فاطر : الآيات ١٢ .

ففي الآية إشارة على السفن العظيمة التى تمطر عباب البحر مقبلة ومدبرة تحمل على ظهرها الأثقال، والبضائع والرجال ، وهي لا تفرق فيه لأنها بتسخير الله جل وعلا"[1].

٢-التجارة في البر:

وهذه أيضا من نعم الله وامتنانه بتيسير التجارة على اليابسة والحث علياه لأنها أكثر يسراً أو سهولة للإنسان مما يؤدي إلى كثرة رحلاته وتكرارها فقد قال تعالى:

﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝ ﴾[2].

وفي الآية طلب الله من العباد شكره وعبادته لتسهيله، وتيسيره على قريش الرحلة التى كانت تقوم بها في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام حيث كانوا يذهبون على التجارة ويأتون بالأطعمة والثياب ويربحون في الذهاب والإياب وهم آمنون مطمئنون"[3].

٤-على المسلم توقي الحرام في البيع والشراء من عدة أمور:

أ- عدم الغش في البيع والشراء للناس بل إخبارهم بحقيقة السلعة وثمنها فقد روى مسلم عن أبي هريرة قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من حل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا"[4].

ب-النهي عن التجارة وقت صلاة الجمعة والسماح بها في باقي الوقت من يوم الجمعة.

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ

(١) صفوة التفاسير، جزء٢، ص٥٢٢، مرجع سابق.
(٢) سورة قريش : الآيات ١- ٤ .
(٣) صفوة التفاسير ، جزء ٣، ص٥٨٠، مرجع سابق.
(٤) شرح صحيح مسلم، جزء ، ص٢٩١، مرجع سابق.

ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

حـ-الإيفاء بالكيل والميزان وعدم التطفيف بهما، لأنه تحايل لأخذ الحرام وأخذ أموال الناس بالإثم وهذا منهى عنه ؟؟؟؟؟؟؟

قال تعالى:

﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].

ففي الآية تحريم لأكل أموال الناس، وأخذ الحق كاملا لأنفسهم وإنقاصه من الناس

رابعاً: الاستئجار:

يعد العمل مهماً في الإسلام سواءً أكان في ملك الإنسان نفسه أم أجيراً عند الآخرين لذلك وضع الإسلام أحكاماً للإجارة من شأنها حفظ حق الأجير والمستأجر

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من الإشارات والدلالات التى تبين مشروعية الإجارة وجوازها وبعض أحكامها منها:

١. فمن الأدلة على مشروعيها ما ذكره الله تعلى في سورة الكهف:

﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾[3].

فقد أراد هل هذه القرية أن يعطوا ذا القرنين ملا مقابلا عمله عندما في بناء السد عندما رأوا مله من القدرات في ذلك.

---

(١) سورة الجمعة : الآيات ٩ : ١٠ .

(٢) سورة المطففين : الآيات ١ :٣.

(٣) سورة الكهف : من الآية ٩٤.

٢. حث المسلمين على استئجار الرجل الصالح لما فيه من حفظ للمال وحرص عليه والسعي لاتقان العمل.

فقد روى مسلم عن أبي موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال { إن الخازن الأمين المسلم الذي ينفذ وربما قال يعطيى ما أمر به فيعطيه كاملا موفراً طيبة به نفسه فيدفعه على الذى أمر له به، أحد المتصدقين }.

حيث يبين النبي عليه الصلاة والسلام أجر هذا الأجير كأجر المتصدق عند الله تعالى إذا قام بالأوصاف السابقة الذكر فينبغي عليه أن يعتنى بها ويحافظ عليها[1].

٣-استئجار المرضع:

وهو من أنواع الإجارة الواردة في القرآن الكريم، حيث بين رب العالمين جواز هذا الأمر إذا حدث نزاع بين الوالدين في إرضاع الأولاد بعد الفراق بينهما، قال تعالى:

﴿ ... وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾[2].

٤-الاستئجار على عمل مستقبلى:

وقد ورد هذا في قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

فتدل الآية الكريمة على جواز الاستئجار لأداء عمل مستقبلى بشرط تحديد الأجر

(١) شرح صحيح مسلم: جزء ٧/ص١١٢، مرجع سابق.
(٢) سورة البقـــرة : من الآية ٢٣٣.
(٣) سورة القصص : الآية ٢٧.

المترتب على هذا العمل وخصوصاً ما طلبه شعيب عليه السلام من رعى الأغنام من قبل سيدنا موسى عليه السلام.

٥-الاستئجار من أجل جمع مال الزكاة:

وهو ما يسمى العاملين عليها، حيث فرض الله لهم جزءاً من مال الزكاة يعطى لهم مقابل هذا العمل ، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

لذلك حدد لهم الإسلام جزءاً من الزكاة دون تكليف بيت مال المسلمين هذا الأجر لأن في علمهم هذا تضييع لمصالحهم وطلب معاشهم والانشغال عنه"[2].

٦-أكل الوصي من مال اليتم بالحق:

هو من باب الأجر المأخوذ على العمل بمال اليتيم ورعاية شئونه وتنميته وما فيه من الانشغال عن عمله الخاص وكسب عياله فإذا كان محتاجاً جاز له ذلك قال تعالى:

﴿ ... وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ .... ﴾[3].

-نماذج من المهن التي حرمها الإسلام في القرآن والسنة:

أولا: أكل بالربا:

١- حرم الله الرب وكل ما يتعلق به لما له من الأثر الكبير على الفرد وعلى المجتمع فقد لعن الله عزوجل أكل الربا والذي يكون سبباً في الربا والذي يكتبه والذي يشهد عليه

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٠.
(٢) المرجع السابق، جزء ١، ص٥٥.
(٣) سورة النساء : من الآية ٦.

فقد روى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال:" لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله قال قلت: وكاتبه وشاهديه قال: إنما نحدث بما سمعنا".

وفي رواية عن جابر بن عبد الله أنه أثبت آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه في المعنى وقال صلى الله عليه وسلم " هم سواء".

قال النووي : فيه تحريم الإعانة على الباطل[1].

٢- الزجر الشديد وبيان العقوبة المترتبة على الربا ووصفه بأبشع الأوصاف لتنفير الناس منه.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[2].

ففي الآية زجر كبير وتخويف واضح من عقوبة الله. فكأن آكل الربا يسير في الأرض متخبطاً كأن به مس من جنون وفيها دلالة على محق بركة المال الذي فيه ربا.

ثانيا: الاشتغال بالسحر:

١- النهى عن العمل به وبيان مضاره وآثاره على الإنسان وأنه لا يكون إلا بإذن الله تعالى.

---

(١) شرح مسلم ،جزء ١١، ص٢٩٨، مرجع سابق.
(٢) سورة البقرة : الآيات ٢٧٥ : ٢٧٦.

قال تعالى:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

فيه دليل على أن السحرة فتنة يضل به الإنسان عن عبادة الله تعالى وأن النفع والضر بيد الله تعالى وأن تعلم السحر هو بحد ذاته علم ضار.

٢- اعتبار السحر من الأمور المضيعة للأجر عند الله تعالى، التي تسبب الهلاك في الآخرة وحرص النبي عليه الصلاة والسلام على تجنيب المسلمين هذا العمل.

فقد روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن قال : الشرك بالله السحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل التولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

الفصل الثانى :

التربية الوقائية في القرآن الكريم



مفهوم التربية الوقائية :

التربية الوقائية هي مجموعة القواعد الأساسية التي وضعها الإسلام في التحصن من الأمراض المادية والمعنوية والتي شانها أن تكسب الإنسان مناعة ذاتية ضد الأمراض المختلفة .

وعرف ضياء الدين التربية الوقائية بقوله " تلك الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من اجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية ليكون مجتمعا طاهرا بعيدا عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي " (١)

وعرفها الحدري " فرط صيانة فطرة الإنسان وحمايتها من الانحراف ، ومتابعة النفس الإنسانية بالتوجيهات الإسلامية الربانية عن طريق اخذ الاحتياطات والتدابير الشرعية التي تمنع من التردي في خبائث العقائد والأخلاق وسائر الأعمال ليظل الفرد الصراط المستقيم ، مهتديا للتي هي أقوم في كل جانب من جوانب حياته " (٢)

وعليه فالتربية الوقائية مجموعة من الإجراءات للحيلولة دون الإصابة بالأمراض المادية والمعنوية ، وهذه الإجراءات تسير باتجاه معاكس للإصابة بالمرض ، فالوقائية تتطلب معرفة الأسباب ومصادر الأمراض وطرائق انتقالها.

أهداف التربية الوقائية :

تهدف التربية الوقائية في الإسلام إلى مجموعة من الأهداف ومن أهمها الآتي :

- تربية الإنسان المسلم على العقيدة الإسلامية الصحيحة بعيدا عن الشرك والكفر والنفاق وارتكاب المعاصي والذنوب وعلى التميز بين الحق والباطل قال تعالى

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[1]

- تحقيق الصحة الجسمية للإنسان ، فالمحافظة على الجسد أحد الأهداف الرئيسة للإسلام ، لذا حرم الله على الإنسان كل ما يؤذي ويؤثر بالجسد
- تحقيق الصحة النفسية للإنسان لذا جاء الاهتمام بالنفس ومعالجة مشكلاتها والتركيز على مجموعة من الأساليب التي تحقق الصحة النفسية قال تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2]

- المحافظة على عقل الإنسان ، لذا حذر الإسلام من كل ما يقلل من قيمة العقل مثل تعاطي المخدرات وشرب الخمر ، وبين الإسلام أن انحراف الإنسان عن جادة الصواب يسبب إهمال العقل قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[3] المحافظة على مال الإنسان الذي هو مال الله سبحانه وتعالى وأمانة في يده ومسؤول عنه يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى .

خصائص التربية الوقائية :

التربية الوقائية جزء لا يتجزا من التربية الإسلامية ، والتربية الإسلامية تستمد خصائصهما من الإسلام ومن أهم خصائص ومميزات التربية الوقائية :

١- سورة يونس الآية:٣٢
٢- سورة الرعد الآية:٢٨
٣- سورة الملك الآية:١٠

١- الربانية

أي أن التربية الوقائية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فلها صبغة ربانية قال تعالى

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[1]

فالربانية هي النسبة التي يعتز بها المسلم والتي ينبغي أن تربي عليها النفوس حتى تعود إلى جادة الصواب بعد أن تغرقت بها السبل واصبح الاعتزاز بالاحساب والأنساب والمجاهرة بالمبادئ الزائفة .[3]

٢- التركيز على الجانبين المادي والروحي

التربية الوقائية تهتم بالجوانب المادية والروحية ،فذكر الله سبحانه وتعالى وأداء العبادات وقراءة القرآن جوانب روحية للتربية الوقائية ، أما استخدام الماء للطهارة والحث على الأكل من الطيبات جوانب مادية في التربية الوقائية ، قال تعالى

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ .... ﴾[2]

فالتوازن بين الجانبين المادي والروحي سمة من سمات التربية الوقائية في التربية الإسلامية فثمة توازن بين طاقات الجسم وطاقات العقل والروح ، وتوازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته .(٤)

ويعجب المرء لدقة التربية الإسلامية ومنها التربية الوقائية – فهي تتناول كل جزئية في الفرد وكأنها متفرغة لها وحدها ، ولا يوجد نظام أخر يعالج قضايا الإنسان بهذه الدقة

١- سورة البقرة الآية:١٣٨

٢- سورة الأعراف من الآية:٣٢

والشمول ، فثمة من أمن بالجانب المحسوس المادي واغفل الروح وأخر من أمن بالجانب الروحي واغفل المادي وكلا الوجهين ابتعاد عن جاءه الصواب .(٥)

٣- الشمولية

التربية الوقائية تشمل جميع جوانب النفس الإنسانية وتعمل في كل ميدان من ميادين الحياة حتى تسهم في بناء الفرد والمجتمع ، فهناك الشمول الزماني والمكاني وشمولية الإنسان في جميع مراحل حياته والمجالات المختلفة من عقيدة وعبادة ومعاملات وعلاقات اجتماعية.(٦)

٤- تربية فردية واجتماعية معا

تقوم على وقاية الفرد من الأمراض الجسمية والنفسية وفي نفس الوقت تربيته على الفضيلة ليكون مصدر خير لمجتمعه ، فتربي الفرد مثلا على حب الخير لتقيه الأنانية ليبقى المجتمع مثاليا تسود فيه روح التعاون والمحبة .(٧)

مصادر التربية الوقائية

يعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصادر الرئيسة للتربية الوقائية . فاشتملا على منهج وقائي يقوم على غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الأفراد . وصيانة هذه العقيدة بصورة دائمة ومستمرة ، ويصاحب غرس العقيدة وضع التشريعات التي تربي الفرد المسلم بصورة متوازنة وهذه التشريعات إما أن تكون بشكل قواعد كلية يندرج تحتها جزئيات أو بشكل دقيقة .ومصادر التربية الوقائية كشفت للفرد المسلم الخطأ وبين إثارة على الإنسان والمجتمع في الدنيا والآخرة وحذرت من مجرد الاقتراب مما يؤدي إليه . (٨)

واخيرا فان جميع عناصر المجتمع تشترك في مسؤولية التربية الوقائية ، الفرد والمجتمع والدولة فالواجب أن تتكاثف الجهود للقيام بهذه التربية وترسيخها في النفوس

والذي يؤيد هذه المسؤولية حديث النبي صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ... " (صحيح مسلم /ج٣ / ص ١٤٥١/ حديث ١٨٢٩)

التدابير الوقائية لحماية الجسد من الأمراض الجسدية

الصحة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان يجدر به المحافظة عليها ، قال صلى الله عليه وسلم " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " (البخاري / ج٥ / ص ٢٣٥٧ حديث ٦٠٤٩)

لذا وجه الإسلام المسلم للمحافظة على صحته وجسمه ، فالجسد الصحيح المعافى قادر على أداء واجباته نحو الله سبحانه وتعالى والمجتمع ، والجسد السقيم العليل غير قادر على أداء تلك الواجبات

وعليه فبين لنا الإسلام طرائق وأساليب للمحافظة على صحة الجسد ووقايته من الأمراض والعلل المختلفة ، ومن أهم هذه الطرائق والأساليب

١. استخدام الماء في نظافة وطهارة الجسد

قال تعالى:

﴿.... وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ.. ﴾ [١]

يقول المراغي أن المطر فيه أربع فوائد ، تطهر حسيا بالنظافة التي تنشط الأعضاء وتدخل السرور على النفس والغسل من الجنابة والوضوء من الحدث الأصغر وكذلك إذهاب رجس الشيطان ووسوسته والربط على القلوب ...(٩)

١- سورة الأنفال من الآية:١١

وفي ما يلي أهم استخدامات الماء :

أ- الوضوء

قال تعالى﴿.... يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ.. ﴾ (١)

المائدة٦ ففي الوضوء وقاية لجسد الإنسان من الأمراض فهو ينظف الأعضاء الهامة في الجسد والمعرضة للهواء وما يحمله من جراثيم وميكروبات .

ب- الغسل

قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (٢)

وموطن الشاهد في الآية الكريمة " فإذا تطهرن " فأشار القرطبي ألي أن الطهارة تكون بالماء ، وأن الطهر الذي يحل به جماع الحائض هو الطهر بالماء كما يتطهر الجنب (١٠)

وثبت من الناحية الطبية أن المرأة إذا لم تغتسل بعد الحيض أو النفاس بالماء وتطهر نفسها فيعني نمو الجراثيم والميكروبات وتكاثرها مما يهيئ الفرصة للإصابة بالأمراض المختلفة .(١١)

١- سورة المائدة من الآية:٦

٢- سورة البقرة الآية:٢٢٢

ت- الاستنجاء

قال تعالى ﴿....فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]

يعرض ابن كثير في تفسيره لهذه الآية العديد من الأحاديث منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم قباء فقال إن الله عز وجل قد أثنى عليكم في الطهور خيرا أفلا تخبروني ؟ يعني قوله " فيه رجال يحبون أن يتطهروا " فقالوا يا رسول الله أنا نجده مكتوبا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء .(١٢)

وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في أهل قباء فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نتبع الحجارة بالماء .(١٣)

ث- طهارة الثياب

اهتم الإسلام بلبس الثياب الطاهرة الساترة للعورة فاللباس يمنع من الوقوع في الفواحش التي تؤدي إلى الأمراض الجنسية المختلفة ، وكذلك يحمي الإنسان من الأمراض الجسدية .

ولا بد لهذه أن تكون طاهرة امتثالا لقوله تعالى " ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ ﴾[2] يقول الإمام المراغي " أن المراد بطهارة الثياب غسلها بالماء وان كانت نجسه ... " (١٤)

١- الاهتمام باللباس وستر العورة

قال تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ...﴾[3] وقال سبحانه :

١- سورة التوبة من الآية:١٠٨

٢- سورة المدثر الآية:٤

٣- سورة الأعراف من الآية :٢٦

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ...﴾ [1] يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى " يا بني آدم ... " إن بعض العلماء اعتبروا الآية دليل على وجوب ستر العورة ، وبعضهم قال هذا ليس بدليل ، والقول عنده أن هذا من جملة النعم التي انعم الله بها على الإنسان هو ستر العورة فبين سبحانه وتعالى انه جعل لذرية أدم ما يسترون به عوراتهم ، ولا خلاف بين العلماء على وجوب ستر العورة .(١٥)

ويقول ابن كثير أن الله جعل لكم سرابيل والتي هي الثياب من القطن والكتان والصوف .(١٦)

٢- الاهتمام بالأطعمة والاشربة

وجه الإسلام المسلمين إلى تناول الطيبات من الطعام والشراب ، والابتعاد كليا عن الخبائث من الأطعمة والاشربة ، وفي ما يلي تفصيل موجز حول اهتمام الإسلام بالأطعمة والاشربة كوقاية الإنسان من الأمراض .

أ- حرم الله سبحانه وتعالى مجموعة من الأطعمة وهي الميتة والدم ولحم الخنزير والمختنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة .

قال تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ...﴾ [2] فالميتة ما فارق الروح من غير ذكاة شرعية ، واتفق العلماء على أن الدم

١- سورة النحل من الآية :٨١
٢- سورة المائدة من الآية :٣

حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به وكذلك أجمعت الأمة على تحريم شحم الخنزير وخص لحم الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكي لم يذكى. (١٧)

والمختنقة هي التي ماتت بسبب حبس النفس سواء فعل بها ذلك ادمي أم لا ، أما الموقوذة فهي التي تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية ، والمتردية هي التي تتردى من العلو إلى الأسفل أما النطيحة وهي الشاة التي تنطحها أخرى ، والنصب حجر كان ينصب فيعبد وتصب عليه دماء الذبائح .(١٨)

فإذا ما تناول الإنسان الميتة ، فانه يصاب بالمغص والقيء والإسهال والهبوط والإغماء وأكد العلماء أن هناك اكثر من مائة مرض تنقل من الحيوان إلى الإنسان عن طريق تناول لحوم الميتة .(١٩)

ولحم الخنزير الذي حرم تحريما قاطعا في الشريعة؛ كان تحريمه لحكم عدة منها ما أيدته الدراسات الحديثة أن الخنزير يصاب بأكثر من ٤٥٠ مرض أكثرها وبائي وهو يقوم بنقل اكثر من ٥٧. مرضا مهلكا للإنسان ، وبسبب لحمه وشحمه تتلف الكبد والشرايين وتضعف الذاكرة .(٢٠)

ب- تحريم الخمر والمخدرات

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]

فالخمر كل شراب مسكر ، والميسر القمار بالقداح والازلام قطع رقيقة من الخشب بهيئة السهام كانوا يستسقمون عليها بالجاهلية . (٢١)

١- سورة المائدة الآية :٩٠

فالآية توجه المؤمنين إلى ترك المسكرات والقمار والاستقسام بالازلام وترك هذا الرجس سبب خلاصكم وتزكية أنفسكم وهذه الأمور تسبب العداوة والبغضاء عند الشراب والمياسرة ، فالمياسرة مثار للعداءة والبغضاء لما فيها من ضياع للحقوق .

وثبت طبيا أن للخمر أضرارا على الصحة منها تأثيرها على القلب والدورة الدموية فأثبتت الدراسات الحديثة أن تناول الخمر ولو بنسب بسيطة يؤدي إلى زيادة ضربات القلب مما يسبب الإجهاد للعضلة الرئيسة في القلب بالإضافة إلى تأثيرها على الأعصاب حيث يفقد الإنسان القدرة على التركيز الذهني وسلامة التفكير وتعرض الأعصاب للالتهابات . (٢٢)

وللخمر تأثير على الصحة العقلية ، فالمتأمل في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجد الاهتمام الواضح بالعقل ، بل جعله الله سبحانه وتعالى سر التكريم الإلهي قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1]

ومن وسائل المحافظة على العقل ، الأمر بالتفكير الصحيح لذا نعى القرآن الكريم على الذين يقلدون ، وهاجم التبعية قال تعالى .

﴿.....إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾[2]

والأمر بتدبر نواميس الكون والتدبر بآيات الله سبحانه وتعالى وسنن الله في الأرض قال تعالى :

١- سورة المائدة الآية :٩٠

٢- سورة الزخرف من الآية:٢٣

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]

يقول صاحب الظلال " ... مشهد السماوات والأرض ومشهد الليل والنهار لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا لارتعشت له رؤانا ولا اهتزت له مشاعرنا ولا حسننا أن وراء ما فيه من تناسق لا بد من يدّ تنسق ووراء ما فيه من نظام لا بد من عقل يدبر، ووراء ما فيه من أحكام لا بد من ناموس لا يتخلف .... " (٢٣)

ج- تنظيم تناول الطعام والشراب

تم الإشارة سابقا إلى أن الإسلام حرم بعض الأطعمة والاشربة الضارة بالإنسان وفي الوقت نفسه أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى تناول الطعام والشراب الطيب وتنظيم الأطعمة والاشربة قال تعالى:

﴿.....وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2]

فالله سبحانه وتعالى ينادي بني أدم ليتمتعوا بالطيبات من الطعام والشراب دون إسراف. (٢٤)

ويقول صلى الله عليه وسلم " ما ملأ أبن أدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن أدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " (سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٣٢ حديث ١٧٢٢٥)

وثمة أساليب ومواقف تنظم تناول الطعام والشراب ضد الأمراض منها أمره صلى الله عليه وسلم بنظافة الأسنان لقوله عليه الصلاة والسلام " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب " (مسند احمد ج ١، ص ٣، حديث ٧)

١- سورة الزخرف من الآية:٢٣

٢- سورة آل عمران من الآية:١٩٠

١. المحافظة على نظافة البيئة

قال تعالى

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴾ [1]

وقوله سبحانه

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا إِصْلَاحِهَا ... ﴾ [2]

وقوله سبحانه

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ... ﴾ [3]

فثمة وسائل عديدة في نقل الأوبئة والأمراض ومن أهمها الهواء والماء وأمر الإسلام بالمحافظة على هذين المصدرين الهامين لحياة الإنسان ، والمحافظة على البيئة وعدم الإفساد بالأرض بشكل عام لما يلحق ذلك من أذى بالمخلوقات .

يقول ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى " ظهر الفساد .... " أن الله تبارك وتعالى خلق العالم على نظام محكم ملائم صالح للناس فاحدث الناس فيه أعمالا سيئة تفسده ... فاخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم " (٢٥)

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى " ولا تفسدوا في الأرض .... " ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض وما أضره بعد الإصلاح فانه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان اضر ما يكون على العباد . فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه " (٢٦)

١- سورة الأعراف من الآية:٥٦
٢- سورة الأعراف من الآية:٥٧
٣- سورة الروم الآية: ٤١

وثمة أساليب ومواقف في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تربى الفرد المسلم تربية وقائية ضد الأمراض ومنها حثه صلى الله عليه وسلم على نظافة البيوت " ... نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود " (سنن الترمذي ، ج ٥ ، ص ١١٢ ، حديث ٢٧٩٩)

ونهيه صلى الله عليه وسلم البصاق في المسجد فقال " والبصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها " (سنن الدارمي ، ج ١ ، ص ٣٧٧ ، حديث ١٣٩٥) .

وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم بسنن الفطرة والختان والاستحداد وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر ، كل ذلك من اجل المحافظة على جسم الإنسان من كافة الأمراض .

التدابير الوقائية لحماية الإنسان من الأمراض الجنسية

تعاني المجتمعات الغربية من انتشار الأمراض الجنسية المختلفة ، وسبب ذلك ابتعاد الإنسان عن الفطرة السليمة في ممارسة الجنس ن فنجد المثلية الجنسية وتعدد الأزواج والزنا والشذوذ الجنسي بكافة صوره وأشكاله .

وتعد الأمراض الجنسية على رأس قائمة الأمراض المعدية ، حيث يصاب بها الملايين من البشر في كل عام . (٢٧)

وللتربية الإسلامية قدم السبق في الوقاية من الإمراض الجنسية ، عن طريق حث المسلم على الالتزام بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومن أهم الطرائق والأساليب :

١- الحث على الزواج

قال تعالى

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١]

الزواج نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان به يتم المحافظة على النوع البشري وتحصل به السكينة والمودة بين الزوجين ، وهو أحد أسباب وقاية وحماية الإنسان والمجتمعات من الأمراض الجنسية .

فالزواج يصرف طاقات الإنسان الجنسية وتهدا به الشهوة ويرتقي الإنسان عن مستوى الحيوان لذا حرم الإسلام العزوف عن الزواج بنية التفرغ للعبادة بل حارب الإسلام الرهبانية بشدة لاهوادة فيها لأنها تتعارض مع نظرة الإسلام إلى الإنسان .

١- سورة الروم الأية :٢١

فالسبيل الأمثل في الوقاية من الأمراض الجنسية هو اتباع شرع الله سبحانه وتعالى بالزواج والتزام الآداب والأخلاق للرجل والمرأة على حد سواء منها اللباس الساتر وغض البصر وتحريم الخلوة

٢- تنظيم العلاقة بين الزوجين

قال تعالى ﴿... فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا... ﴾[(١)]

يقول صاحب الظلال " والتعبير القرآني يلطف عند تصوير العلاقة الأولية بين الزوجين ... تسيقا لصورة المباشرة مع الجو السكن ؛ وترقيقا لحاشية الفعل حتى يبدو امتزاج طائفتين لا التقاء جسدين إيحاء للإنسان بالصورة الإنسانية في المباشرة وافتراقها عن الصورة الحيوانية الغليظة .... كذلك تصوير الحمل في أول أمره ..... " (٢٨)

٢- منع وجود المهيجات التي تثير الشهوة

أشار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى مجموعة من المهيجات التي تثير الشهوة وتأجيجها مثل التبرج والاختلاط وعدم غض البصر وأمر الإسلام الفرد بالابتعاد عنها كليا قال الله تعالى ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ... ﴾[(٢)] والأمر بغض البصر أدب شرعي عظيم في مباعدة النفس عن التطلع إلى عسى أن يوقعها في الحرام أو أن يكلفها صبرا شديدا .(٢٩)

١- سورة الأعراف من الآية:١٨٩

٢- سورة النور من الآية:٣١

٤- التفصيل في المحرمات

بين القرآن الكريم حرمة الفواحش في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾[١]والفواحش هي " القبائح من الأشياء التي تفاحش قبحها وتنامى ضررها سواء ما كان منها في السر أو في العلن " (٣٠) ومن الفواحش التي حرمها الإسلام :

أ- الزنا

قال تعالى﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٢] أن الزنا من اكبر أسباب الفساد وانحطاط الأدب واكبر البواعث على الفجور، ويسبب أمراضا عدة ومن أبرزها في العصر الحديث مرض الإيدز أو نقص المناعة المكتسبة .

واضرار الزنا خلقية أيضا فهو يظهر طبقة في المجتمع منحلة، وله أضرار مادية حيث تقل حوافز العمل في المجتمع الذي تنتشر فيه هذه الأمراض، بالإضافة إلى الأضرار المالية حيث تنفق الأموال الطائلة في علاج من يصابون بهذه الأمراض مما يؤدي إلى حرمان المجتمع من طاقات بشرية أصيبوا بهذه الأمراض . (٣١)

يقول الجصاص في تفسير الآية الكريمة " الاخبار بتحريم الزنا وانه قبيح لان الفاحشة قد تفاحش قبحها وفيه دليل على أن الزنا قبيح في العقل قبل ورد السمع ؛ لان الله سماه فاحشة ومن الدليل على أن الزنا قبيح في العقل ؛ أن الزانية لا نسب لولدها من قبل الأب ... ففيه قطع للأنساب ومنع ما يتعلق بها من الحرمان في المواريث والمناكحات وصلة الأرحام ... وذلك قبيح في العقول مستنكر في العادات .... " (٣٢)

١- سورة الأعراف من الآية:٣٣
٢- سورة الإسراء الآية:٣٢

ب- تحريم عمل قوم لوط " الشذوذ الجنسي "

قال صلى الله عليه وسلم " من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به " (سنن الترمذي ،ج٤ / ص٥٨ / حديث ١٤٥٦)

عمل قوم لوط من ابشع الجرائم الجنسية ، ففيه مهانة وإذلال للنفس البشرية والنفوس السوية تعاف الفعل وتشمئز منه ، وهو سبب مباشر في نقل وانتشار الأمراض الجنسية المختلفة لذا حرم الله سبحانه وتعالى هذا الفعل المنافي للفطرة وعاقب عليه في الدنيا والآخرة .

فكان سيدنا لوط يعرف قومه ويعرف ما أصاب القوم من شذوذ عجيب ، فهم يتركون النساء إلى الرجال مخالفين الفطرة السوية التي تهدي إلى خلق الأحياء أزواجا ... فالشذوذ يصادم الحياة ويعدمها لانه يذهب ببذور الحياة إلى تربة خبيثة لم تعد لاستقبالها واحيائها ، بدلا من الذهاب بها إلى التربة المستمدة لتلقيها وانمائها ... (٣٣)

ج- اعتزال الحائض والنفساء

قال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ... ﴾[1] يقول ابن عاشور " ولما ذكر أن الحيض أذى علم السامع أن الطهر هو النقاء من الأذى فان وصف حائض يقابل بطاهر... وقد يراد بالتطهر الغسل بالماء كقوله " فيه رجال يحبون أن يتطهروا ... " (٣٤) فتحريم معاشرة المرأة في وقت الحيض لان فيه ضرر محض على الرجل والمرأة في وقت واحد .

١- سورة البقرة من الآية:٢٢٢

التدابير الوقائية للمحافظة على النفس (حياة الإنسان)

الإنسان مخلوق مكرم خلقه الله سبحانه وتعالى لخلافته في الأرض ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ [1] يقول صاحب الظلال في حديثه عن الخلافة " فهي منزلة عظيمة ، منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة ، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم "(٣٥) وبسبب منزلة الإنسان الرفيعة بين الإسلام مجموعة من التدابير الوقائية للمحافظة على حياته من اجل القيام بواجبات الاستخلاف كما ينبغي ، ومن أهم أساليب وقاية حياة الإنسان .

١- تحريم القتل " قتل الإنسان لغيره "

حرم الإسلام الاعتداء على حياة الإنسان بالقتل وبغيره ، والقتل يأخذ شكلين الأول قتل إنسان لأخر ، والثاني : قتل الإنسان لنفسه .

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [2]

فقتل النفس كبيرة تلي الشرك بالله سبحانه وتعالى ، فالله هو واهب الحياة للإنسان وليس لأحد في الدنيا أن يسلب الإنسان هذه الحياة ، فالنفس حرم لا يمس إلا بالحق وهذا الحق واضح لا غموض فيه

يقول صلى الله عليه وسلم " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث . الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة " (صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٤٥٩

١- سورة البقرة من الآية:٣٠
٢- سورة الإسراء الآية:٣٣

حديث ١٨٢٩)وعد الإسلام الاعتداء على النفس البشرية بمثابة قتل للناس جميعا قال تعالى .

﴿... مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا...﴾[١]

يقول ابن عاشور في تفسير الآية " وهذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم فظيع كفظاعة قتل الناس كلهم. والمقصود التوطئة لشروعية القصاص " (٣٦)

٢- قتل الإنسان لنفسه

يطلق عليه الانتحار، قال تعالى ﴿... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[٢] ويقول صلى الله عليه وسلم " من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة" (سنن الدارمي ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ حديث ٢٣٦١).

والانتحار اغلب ما يقع عند غير المسلمين بسبب الفراغ الروحي والإيماني الذي يعيشون فيه أما المسلمين ، فيمنعهم من الانتحار الإيمان بالله سبحانه وتعالى وإيمانهم أن كل شيء مقدر بحسب علمه لا يملك أحد لأحد نفعا ولا ضرا فتربى نفوسهم على السكون والطمأنينة .

٢- تحريم الخبائث من الطعام والشراب إلا عند الاضطرار

فأشار القرآن الكريم إلى التحريم لبعض الأطعمة والاشربة ولكن هذا التحريم مقيد بالاضطرار أي عند خوف الإنسان فوات حياته .

١- سورة المائدة من الآية:٣٢

٢- سورة النساء من الآية:٢٩

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

فالمضطر هو الذي ألجأته الحاجة إلى أكل شيء من هذه المحرمات فلا أثم عليه .... ومن الفقهاء من يحدد الضرورة بخشية الهلاك ومرادهم الإفضاء إلى الموت .... فإذا ما تناول ما أزال الضرورة فقد عاد التحريم كما كان . (٣٧)

١- سورة البقرة الآية:١٧٣

التدابير الوقائية لحماية مال الإنسان

المال نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان ، وفي حقيقته هو مال الله سبحانه وتعالى والإنسان مستخلف فيه ، وخوفا من ضياع المال وتبذيره شرع الإسلام مجموعة من التدابير الوقائية التي تحافظ على المال وتحميه من الهلاك والضياع ، وفيما يلي أهم طرائق وأساليب المحافظة على المال ووقايته من الضياع والانحراف :

٤- تحريم الإسراف

قال تعالى ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[1]

ويمدح الله سبحانه وتعالى عباده الذين يعتدلون في الإنفاق من غير إسراف ولا تقتير بقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2]

فهذه سمة الإسلام في الأفراد والجماعات ، فهو يقيم بناءه على التوازن والاعتدال فالإنسان ليس حرا في إنفاقه ، فهو مقيد بالتوسط بين الإسراف والتقتير ، لان الإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع والتقتير مثله ، فهو حبس للمال عن الانتفاع به ، فهما الإسراف والتقتير – يحدثان خللا في المجتمع ، فحبس المال واطلاقه يحدثان أزمات في المجتمع بالإضافة إلى فساد القلوب والأخلاق . (٣٨)

والقرآن الكريم يؤكد على الحقائق السابقة بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[3]

١- سورة الأعراف الآية:٣١
٢- سورة الفرقان الآية:٦٧
٣- سورة الإسراء الآية:٢٩

ومن اكبر المظاهر الدالة على الإسراف ، الترف الذي هو سبب هلاك الأمم السابقة فالمترف لا يهتم بالآخرين ولا يهتم بأمور المجتمع ، قال تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[1]

ومن المظاهر الدالة على التقتير ، الشح والبخل ، قال تعالى ﴿... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]

وقال سبحانه ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[3]أي تجعل أموالهم أطواقا عليهم يوم القيامة فيعذبون بحملها . (٣٩)

٥- تحريم الربا

أعلن الحق سبحانه وتعالى في كثير من نصوص القرآن الكريم الحرب على الربا ، وعلى كل من يتعامل به ، قال تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4]

وقال سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5]

١- سورة الإسراء الآية:١٦
٢- سورة التغابن من الآية:١٦
٣- سورة آل عمران الآية:١٨٠
٤- سورة البقرة الآية:١٧٨
٥- سورة آل عمران الآية:١٣٠

فحكمة تحريم الربا قصد الشريعة على حمل الأمة على مواساة غنيها محتاجها احتياجا عارضا مؤقتا بالقرض .... ويمكن أن يكون البعد بالمسلمين عن الكسل في استثمار الأموال وحثهم على التشارك والتعاون في الشؤون المالية ، فحرم الربا ولو كان قليلا مع تجويز الربح من التجارة ولو كان كثيرا .(٤٠)

فالربا فيه ظلم للناس ، ويجعل المال يتكدس في أيدي طبقة معينة في المجتمع ، وهو سبب المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها المجتمعات في الوقت الحاضر.

٦- تحريم اكتناز الأموال

قال تعالى ﴿... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ (١)

فالمتأمل في الآية الكريمة يلحظ أن الإسلام حرم كنز المال ، بل توعد صاحبه بالعذاب الأليم يوم القيامة ، لان فعله هذا يجعل المال في يد فئة قليلة في المجتمع ولا يسود نفعه على صاحب المال ولا أفراد المجتمع .... وهو حرمان للامة من نشاطات اقتصادية تسد فيها حاجات الآخرين مقابل أعمال يدمونها وهذا يؤدي إلى شيوع الربا وانتشاره (٤١)

وقد اختلف العلماء في مفهوم الكنز هل هو مجرد الكنز أم الكنز دون إنفاق ، والذي يميل إليه الإنسان أن الكنز وحده يضر بالمال والامة على حد سواء فثمة سبل كثيرة لتشغيل المال وزيادته مما يؤدي إلى قوة الأمة ، أما الكنز دون إنفاق وعدم تأدية الزكاة الواجبة فيه فلا شك انه حرام .

١- سورة التوبة من الآية:٣٤

٧- تحريم أكل أموال الناس بالباطل

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ... ﴾[1]

فأكل الأموال هو الاستيلاء عليها بنية عدم إرجاعها لأربابها ، وغالب هذا المعنى أن يكون استيلاء ظلم ... (٤٢)

وتتعدد صور أكل المال في هذه الأيام ، فالسرقة أكل مال بالباطل ، والغش والخداع في التجارة أكل مال بالباطل ، وحرمان المرأة نصيبها في الميراث أكل مال بالباطل ، وعدم قضاء الدين لصاحبه وإنكاره أكل مال بالباطل .

٨- تحريم الميسر

قال تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ... ﴾[2] ويقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3] الميسر هو القمار كما تمت الإشارة سابقا ، ففي القمار ضياع للمال وضياع لحقوق الأفراد وهو سبب انتشار العداوة والبغضاء بين الناس ، ولربما أن يكون القمار أحد أسباب قتل الإنسان لأخيه الإنسان لذا حرم الإسلام القمار تحريما جازما .

١- سورة النساء من الآية:٢٩
٢- سورة البقرة الآية:٢١٩
٣- سورة المائدة الآية:٩٠

التدابير الوقائية لحماية العقيدة

العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة ، إذ الإسلام عقيدة وشريعة ، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات . (٤٣)

فللعقيدة آثار في حياة الفرد والمجتمع فهي تحرر الفرد من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى كما أن لها دورا بارزا في الرضا والاطمئنان القلبي ، قال تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [١]

والعقيدة تحرر الإنسان من الأخلاق السيئة السلبية التي تقيده بضوابط ، حتى تجعله فردا إيجابيا بعيدا عن الانحراف ، وهي تنشئ مجتمعا متعاونا مترابطا قال صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى " (صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٠٠٠ ، حديث ٢٥٨٦)

ومن اجل المحافظة على هذا الإيمان نقيا خاليا من الشوائب ، حاميا له من الوقوع في الآثام والمعاصي ، فقد شرع الإسلام مجموعة من التدابير الوقائية منها .

١- الاعتقاد أن هذا القرآن الكريم محفوظ من التحريف والتبديل

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [٢]

إن الاعتقاد الجازم بان القرآن الكريم محفوظ من التحريف والتبديل يحمي الإنسان من الوقوع في الشرك أو الكفر ويبعده عن الوقوع في المعاصي والآثام ، لان هذا

١- سورة الرعد الآية:٢٨
٢- سورة الحجر الآية:٩

القرآن جاء من عند الله سبحانه وتعالى الخبير العليم بما في نفوس البشر وما يصلح لهم وما يفسدهم .

يقول سيد قطب في موضوع حفظ القرآن " فهو باق محفوظ لا يندثر ولا يتبدل ولا يلتبس بالباطل ولا يمسه التحريف وهو يقودهم إلى الحق برعاية الله وحفظه ... ونرى الأحوال والظروف والملابسات التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لا تتبدل فيه كلمة ولا تنحرف فيه جملة لولا إرادة خارجة عن إرادة البشر " (٤٤)

وثمة آيات كريمة تبين أن القرآن الكريم فيه تبيان لكل شيء مما يزيد إيمان الفرد واعتقاده بان هذا القرآن محفوظ منزل من عند الله تعالى ، قال تعالى

﴿ ... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقال سبحانه ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢)

٢- النهي عن الغلو في الدين

قال صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين " (سنن ابن ماجة ج٢ ، ص١٠٨ ، حديث ٣٠٢٩) فالغلو تجاوز الحد ، وهو يحدث أضرارا في عقيدة المسلم نفسه ، ويؤثر على الآخرين ومجالات الغلو كثيرة جدا فتشمل الغلو في العبادات والمعاملات والاعتقادات .

١- سورة النحل من الآية:٤٤
٢- سورة النحل من الآية:٨٩

٣- النهي عن الرياء

قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ [١]

والرياء هو أن يقصد الإنسان بقوله وعمله مدح الناس وثناؤهم ، لا رضا الله سبحانه وتعالى وهذا يؤثر في عقيدة المسلم ويجعله يعتقدان أحدا يملك له نفعا أو ضرا .

والرياء يهبط بالأعمال إلى اسفل الدرجات ويبطلها ، وله أثار سيئة على الفرد والمجتمع على حد سواء فالإخلاص هو التصفية والنقاء ، أي غير مشاركين في عبادته معه غيره . (٤٥)

٤- النهي عن السحر

السحر من الأمور المحرمة لما له من أضرار تلحق بالفرد والمجتمع ، وهو يقوم على خداع الناس وتخويفهم .

قال تعالى ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [٢] وللسحر تأثير بالغ في عقيدة المسلم فهو يعتقد أن أحدا مع الله سبحانه وتعالى يشاركه القدرة وكما يقول ابن عاشور " والسحر هو تمويه الحيل بإخفائها في حركات وأحوال حتى يظن الرائي أنها هي المؤثرة ... وللعرب في السحر خيال فهم يزعمون أن السحر يقلب الأعيان والقلوب ويطوع المسحور للساحر ويؤكد ابن عاشور أن أصول السحر ترجع إلى أصول ثلاثة الأول زجر الناس بمقدمات ترهب وتخوف النفوس الضعيفة والثاني استخدام بعض المؤثرات التي تؤثر في خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن والثالث استخدام خفايا الحركة والسرعة حتى يخيل الجماد متحركا والأصول

١- سورة البينة من الآية:٥

٢- سورة الأعراف الآية:١١٦

الثلاث كلها أعمال مباشرة للمسحور ومتصلة به ولها تأثير عليه بمقدار ما في نفسه من ضعف . (٤٦)

ويدخل في السحر الاعتقاد أن أحدا يملك نفعا أو ضرا ، قال تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ... ﴾[1]

وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ... ﴾[2]

فالآيات الكريمة تبين للمسلم أن أحدا لن يملك له نفعا أو ضرا لا بأذن الله سبحانه وتعالى وان الاعتقاد بان أحد يملك نفعا أو ضرا خلل في العقيدة يجب الحذر منه .

٥- النهي عن طاعة الأكثرية

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[3] يقرر الحق سبحانه وتعالى قاعدة عظيمة في الآية الكريمة وهي أن الكثرة ليست دليلا للحق وان القلة ليست دليلا على الباطل فلربما يكون أصحاب الحق أعدادهم قليلة أما أصحاب الباطل فهم كثرة .

ففي الآية الكريمة ما يهون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين من كثرة المشركين وقلة المسلمين وضعفهم مع تحذير من الثقة بكثرة المشركين والإرشاد إلى مخالفتهم في سائر أحوالهم بل وعدم الإصغاء إلى رأيهم لأنهم يضلوا بكلامهم عن سبيل الحق .فاكثر سكان الأرض من أصحاب العقائد الفاسدة كالمجوس والمشركين وعبدة

١- سورة التوبة من الآية:٥١
٢- سورة يونس من الآية:١٠٦
٣- سورة الأنعام الآية:١١٦

الأوثان ... وكلهم إذا أطيع إنما يدعو إلى دينه ونحلته والقليل منهم من الناس هم من أهل الهدى .(٤٧)

وثمة أساليب وطرائق عديدة شرعها الإسلام لحماية عقيدة المسلم من الانحراف عن الطريق الصواب ليس هنا مجال ذكرها تفصيلا .

التدابير الوقائية لحماية الإنسان من الأمراض النفسية

نزل القرآن الكريم لهداية الناس إلى الطريق الحق ، ودعاهم إلى عقيدة التوحيد ، بل علمهم قيم وطرائق جديدة في التفكير والحياة ، وارشدهم إلى السلوك السوي المستقيم وارشدهم نحو طرائق تربية النفس وتنشاتها تنشئة سليمة ، ففي القرآن الكريم طاقة روحية هائلة ذات تأثير في الإنسان تهز وجدانه وتصقل روحه وتوقض إدراكه وتفكيره .

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وهذا هو محور الصحة النفسية التي يتحدث عنها علماء النفس في هذا العصر ويضعون لها النظريات والأساليب ، فتعرف الصحة النفسية " حالة الاتزان العقلي والنفسي والسلوكي لدى الشخص بما يتوافق مع ما هو مألوف لدى غالبية الناس والتعامل مع الحياة ومكوناتها بشكل سوي " (٤٨)

وكذلك تعرف بأنها " التوافق النفسي الذي يهدف إلى تماسك الشخصية ووحدتها وتقبل الفرد لذاته وتقبل الآخرين له بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية " (٤٩) وحتى يتحقق التوافق النفسي للفرد ويصل إلى حالة من الاتزان العقلي والسلوكي بحيث يترتب على هذا شعوره بالسعادة والراحة النفسية ، وجه الإسلام الإنسان إلى مجموعة من الأساليب الوقائية لحماية الإنسان من الأمراض النفسية .

١- الإيمان بالله عز وجل ...

للإيمان تأثير عظيم في نفس الإنسان فهو يزيد ثقته بنفسه ويزيد قوة احتماله الصبر وتحمل مشاق الحياة ويبعث في النفس الطمأنينة وراحة البال ويغمر الإنسان بالشعور

١- سورة يونس الآية:٥٧

بالسعادة ، وإذا بعث الإيمان في النفس منذ الصغر فانه يكسب الفرد مناعة ووقاية ضد الأمراض النفسية . (٥٠)

فالإيمان مصدر الأمن النفسي قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

فالإيمان بالله سبحانه وتعالى أحد أهم وسائل الوقاية من الأمراض النفسية ومن ثمرات هذا الإيمان انه يجعل الإنسان لا ييأس ولا يقنط فهو أوسع الناس أملا وأكثرهم تفاؤلا ، لان اليأس والتشاؤم لا يجتمعان في قلب مؤمن .

قال تعالى ﴿ ... وَلَا تَا۟يْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3].

ولا بد لهذا الإيمان أن يكون شاملا للإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الأخر والقدر خيره وشره حتى يبتعد الإنسان عن الأمراض النفسية تماما .

ومن مستلزمات الإيمان بالله سبحانه وتعالى ذكره ، فتعددت الآيات الكريمة التي تحث المسلم على ذكر الله لما في هذا الذكر من طمأنينة نفسية فهو وسيلة مناجاة العبد لربه قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[4].

١- سورة الأنعام الآية:٨٢
٢- سورة فصلت الآية:٣٠
٣- سورة يونس الآية:٨٧
٤- سورة الرعد الآية:٢٨

وقال ﴿... إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (1).

فبذكر الله سبحانه وتعالى تأنس القلوب وتسكن فلا تشعر بالقلق والاضطراب على عكس الذين لا يذكرون الله . (51)

وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته (52)ومن الإيمان الاستماع للقران الكريم ، والعلة بالاستماع وردت في قوله تعالى

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (2).

إن بعض الناس ليخسرون خسارة لا يعرضها شيء وذلك عند انصرافهم عن الاستماع للقران الكريم ... فالآية الواحدة تصنع أحيانا بالنفس حين تسمع إليها أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك .(53)

فثبت بالدراسات أن قراءة القرآن والاستماع إليه يصحبه تغيرات فسيولوجية في الإنسان وأثبتت التجارب أن للقران أثرا مؤكدا في تهدئة التوتر وإحداث التغيرات النفسية عن الفرد .

٢- القيام بالعبادات المختلفة

وجه القرآن الكريم الإنسان إلى القيام بعبادات مختلفة ، الصلاة ، والصوم والزكاة والحج ، قال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ...﴾ (3).

وقال ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (4).

١- سورة الأنفال من الآية:٤٥
٢- سورة الرعد الآية:٢٨
٣- سورة التوبة من الآية:١٠٣
٤- سورة الإسراء الآية:٧٨

وقال﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴾[1]

فالزكاة فيها طهارة للنفس، تطهر لنفس الغني من الشح والبخل وطهارة لنفس الفقير من الحسد وطهارة للمجتمع من عوامل التفرقة . أما الصلاة فهي الغذاء لروح الإنسان فيها يناجي العبد ربه وينشرح صدرة فيقف بين يدي الله سبحانه وتعالى بلا حجاب يناجيه قريبا غير بعيد .

والصلاة قوة روحية نفسية تعين الإنسان على متاعب الحياة ، فيبث المسلم شكواه ويشعر بالسكينة والطمأنينة على قلبه فهي تمد المؤمن بقوة نفسية فياضة وحيوية هائلة.(٥٤)

٢- الاعتراف بالذنب والتوبة

الاعتراف بالذنب أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي الحديث ، فهو يعيد إلى النفس المضطربة طمأنينتها ويشع فيها السكينة والوقار ويساعد النفس على التخلص من أمراضها وعللها الكثيرة كالغم والحزن والوسواس والقلق والاضطراب . (٥٥)

فاعتراف المسلم بذنبه يصاحبه ندم على الأفعال غير المقبولة عند الله تعالى مما يدفع الإنسان إلى التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح السوي .

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا... ﴾[2]

وحث القرآن الكريم المسلم على اعترافه بذنبه أمام الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[3]

١- سورة الرعد من الآية:٢٢
٢- سورة التحريم من الآية:٨
٣- سورة الزمر الآية:٥٣

ولا بد أن يصاحب التوبة الاستغفار، قال تعالى

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ... ﴾[1]فالاستغفار يشعر المسلم بعودته الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى وانه بدا بداية جديدة في حياته وان ذنوبه غفرت له فالاستغفار هو " العودة إلى الله من الشرك والمعصية إلى التوحيد والدينونة " (٥٦)

١- سورة هود من الآية:٣

هوامش الفصل الثانى

١. احمد ضياء الدين ، التربية الوقائية في الإسلام ، عمان : دار الفرقان ، ٢٠٠٥م ص ٢٨

٢. خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري ، التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها ، المملكة العربية السعودية ، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامي ١٤١٨هـ ،ص ٤٧ – ٤٨

٣. محمد عقله، الإسلام مقاصده وخصائصه ، عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ، ١٩٨٧م ص ١٣

٤. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ، ط ١٤ ، القاهرة :دار الشروق ، ١٩٩٣م ص ٢٧ ، ٢٨ .

٥. المرجع السابق ، ص ١٨ – ٢٠

٦. احمد ضياء الدين ، مرجع سابق ، ص ٥٤ – ٥٨

٧. المرجع السابق ، ص ٥٩

٨. خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري ، مرجع سابق ، ص ١١٢ - ١٩٤

٩. احمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٩ ص ١٧٥ – ١٧٦

١٠. محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت:٦٧١هـ) ، الجامع لاحكام القرآن ، ط ٢ بيروت دار الكتب العلمية ، ج ٣ ، ص ٥٤

١١. خليل شومان ، الطب الوقائي في القرآن ، اربد ، دار الكتاب ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٥

١٢. إسماعيل بن كثير القرشي (ت:٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٣٧٢.

١٣. المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧٣

١٤. احمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج١٠، ص ١٢٦

١٥. القرطبي، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٨٢

١٦. ابن كثير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٦٠

١٧. القرطبي، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٢

١٨. المرجع السابق، ج ٢، ص ١٦٣

١٩. مختار سالم، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، بيروت مؤسسة المعارف ١٩٨٨ ص ٣ – ٨

٢٠. جواد احمد، الخنزير بين منظار العلم وميزان الشرع، القاهرة: دار السلام، ١٩٨٧م ص ٣٠

٢١. احمد المراغي، مرجع سابق، ١٠ / ص ٢٠ – ٢٢

٢٢. مختار سالم، مرجع سابق، ص ٣١٩ – ٣٢٠

٢٣. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٢٥، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٤٥

٢٤. المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢٨٢

٢٥. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ ٢٠٠٠م ٢١ / ص ١١٢

٢٦. ابن كثير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٢

٢٧. عبد الحميد القضاة ، تفوق الطب الوقائي ، المستشفى الإسلامي ، عمان ، ١٩٨٧م ص ٣٦.

٢٨. سيد قطب ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٤١٢

٢٩. ابن عاشور ، مرجع سابق ، ١٨ / ص ١٦٣

٣٠. محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، بيروت ، دار الفكر ، ج ٢ ، ص ٤٤٤

٣١. احمد ضياء الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٧٦

٣٢. احمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر (ت:٣٧٠هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق محمد قمحاوي ، ط ٤ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ ، ج ٥ ، ص ٢٤

٣٣. سيد قطب ، مرجع سابق ، ٤ / ١٩١٢

٣٤. ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢ / ٣٦٨

٣٥. سيد قطب ، مرجع سابق ، ١ / ٥٦

٣٦. ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٥ / ٨٩

٣٧. المرجع السابق ، ٢ / ١٢٠

٣٨. سيد قطب ، مرجع سابق ، ٥ / ٢٥٧٨

٣٩. ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣ / ٢٩٦

٤٠. المرجع السابق ، ٣ / ٢١٨

٤١. احمد ضياء الدين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢

٤٢. ابن عاشور مرجع سابق ، ٤ / ١٠٠

٤٣. عمر سليمان الأشقر ، العقيدة في الله ، ط ١٥ ، عمان ، دار النفائس ، ٢٠٠٤ ص ١٢.

٤٤. سيد قطب ، مرجع سابق ، ٤ /٢١٢٨

٤٥. ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٣٠ / ٤٨٠

٤٦. المرجع السابق ، ١ / ٦١٤ - ٦١٦

٤٧. المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٢٤

٤٨. إحسان المحاسنة ، البيئة والصحة العامة ، ط ٢ ، عمان : دار الشروق ، ١٩٩٤م ص ١١٧

٤٩. احمد ضياء الدين ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ نقلا عن مصطفى فهمي ، الإنسان وصحته النفسية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٢٤٢

٥٠. محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، بيروت دار الشروق ، ١٩٨٢م ص ٢٤٠ - ٢٤٢

٥١. محمد علي الصابوني ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٢

٥٢. خليل شومان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧

٥٣. سيد قطب ، مرجع سابق ، ٣ / ١٤٢٥ - ١٤٢٦

٥٤. خليل شومان ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢

٥٥. احمد ضياء الدين ، مرجع سابق ، ص ١٧٤

٥٦. سيد قطب ، مرجع سابق ، ٤ / ١٨٥٢

الفصل الثالث :

التربية العلاجية

في القرآن الكريم

نقصد بالتربية العلاجية في القرآن الكريم الحلول والتوجيهات القرآنية التي وضعها القرآن الكريم لعلاج ما تتعرض له النفس الإنسانية من أمراض أخلاقية تتمثل في الجانب المعنوي ، وأمراض عضوية تتمثل في الجانب المادي .

التربية العلاجية للجهل:

يعد الجهل من أخطر الأمراض التي تتعرض لها النفس البشرية فبالجهل تحل القيم الفاسدة محل القيم الطاهرة ، وبالجهل يسود الظلام وتتعمق الخلافات بين الناس وبالجهل ينكر شرع الله ويستبدل به شرع البشر ، لذلك فإن القرآن الكريم قد وضع لنا برنامجا علاجيا من خلاله نستطيع معالجة هذا الداء لتحل الفضيلة بدل الرذيلة والنور بدل الظلام والعلم بدل الجهل.

فقد عالج القرآن الكريم داء الجهل عن طريق :

١- سؤال أهل العلم .

أمر القرآن الكريم بسؤال أهل العلم من أجل التوصل إلى المعرفة والحق الذي ينشده الإنسان ، وكان هذا الأمر غير موقوف عند سؤال أهل العلم من المسلمين بل إن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها فأمر الله بسؤال أهل العلم حتى ولو كانوا من غير المسلمين، فقد جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]

و أهل الذكر هنا – حسب السياق وأقوال المفسرين – هم علماء أهل الكتاب ولكن عموم اللفظ يشير إلى ذوي الاختصاص في كل ميدان ..

١- سورة النحل : الآية ٣.

قال الإمام البغوي: "فاسألوا أهل الذكر يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فإنهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن إن كنتم لا تعلمون [1].

وعلى كلتا الحالتين فان سؤال أهل الاختصاص هو علاج من العلاجات التي يقدمها القرآن الكريم في شفاء الفرد والمجتمع من داء الجهل، وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة إلى ضرورة سؤال أهل العلم حتى لا يقع الإنسان في المخالفات التي تسيء إلى نفسه والى الآخرين ، فعن عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ:"خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللهُ ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ ، أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ " [2].

٢- الخروج في طلب العلم:

وجه القرآن الكريم المسلمين إلى الخروج في طلب العلم وتحصيله وذلك حرصا على أن يتعلم المسلم العلم الذي قد لا يجده في مكان إقامته فقال تعالى:

١- الحسين بن مسعود ، البغوي، ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك ؛ مروان سوار، بيروت- لبنان ، دار المعرفة ، ط/٢ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، ج/٣، ص/ ٢٣٩ .

٢- أخرجه أبو داود ، سنن أبي داود، ك/ الطهارة، ب /المجروح يتيمم ، رقم/ ٢٨٤ .

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1]

قال مجاهد: "هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم[2]. و قد بين القرآن الكريم حرص الأنبياء على طلب العلم فقال تعالى مبينا حرص نبيه موسى عليه السلام على طلب العلم:

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾[3]

٢- عدم كتمان العلم:

ذم القرآن الكريم كتمان العلم وعدم بيانه للناس وذلك لما يترتب على إخفائه من نشر للجهل ، و استمرار للظلام ، قال تعالى ذاماً أهل المعرفة الذين يخفون علمهم عن الناس ويضللونهم بعدم بين الحق من الباطل :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[4]

وقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه حذر أهل العلم من كتمانه وإخفائه عن الناس ، وأن هذا الكتمان سيؤدي بأهل العلم الضانين به إلى العقاب الأليم من الله

١- سورة التوبة : الآية ١٢٢.
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، القاهرة- دار الشعب، ط/٢، ١٣٧٢ ، ج/٨ ، ص/ ٢٩٣
٣- سورة التوبة : الآية ٦٦.
٤- سورة البقرة : الآية ١٥٩.

تعالى ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ [١].

٤- الصبر في تحصيل العلم:

بالصبر يحصل الإنسان على مراده، وأعظم مراد الإنسان أن يبصر النور ويرى الحق ويخرج من ظلام الجهل ، ولا يتحصل الإنسان على كل هذا إلا عن طريق العلم ، وقد اخبر الله تعالى عن رحلة موسى عليه السلام في طلب العلم مع الخضر عليه السلام فقال تعالى:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[٢]

لقد علم سيدنا موسى عليه السلام أن المحصول على العلم لابد له من صبر و مصابرة فقال "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا" وعندما يفقد طالب العلم الصبر في تحصيل العلوم سيجهل الكثير من دقائق الأمور ،ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شأن موسى عليه السلام :"يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا [٣].

٥- الإنصات للعالم:

جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ ..... وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[٤]

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مخافة الانفلات والنسيان، فنهاه الله عن ذلك وقال:" وَلَا تَعۡجَلۡ

١- أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، ك/ العلم عن رسول الله ، ب/ كتمان العلم ، رقم/ ٢٥٧٣ .
٢- سورة الكهف : الآية ٦٨.
٣- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ك/ الأنبياء، ب/ حديث الخضر، رقم / ٣١٤٩.
٤- سورة طه : من الآية ١١٤.

بِٱلْقُرْءَانِ " أي لا تعجل بقراءته "مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ " أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ [1].

ونظير هذه الآية قوله تعالى:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾[2]

" لا تحرك به لسانك لتعجل به ". قال ابن عباس كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتلفت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه" أي علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرؤه فإذا قرأناه أي أنزلناه عليك فاتبع قرآنه أي فاستمع له وأنصت فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق وفي لفظ استمع[3].

التربية العلاجية للنفس .

حرص القرآن الكريم على صحة المؤمن البدنية والعقلية والنفسية والقلبية فقدم الوقاية والعلاج كأسلوب من أساليب المحافظة على النفس البشرية من العلل و الأسقام التي قد تصيب الإنسان، لذلك كان لابد من نظرة تربوية علاجية في تفهم آيات الله عز وجل التي أشارت إلى أهمية الأخذ بالإرشادات والأحكام القرآنية في معالجة ما يطرأ على النفس من علل وأسقام.

لقد تعرضت النفس البشري وخاصة في هذا العصر إلى جملة من الأمراض النفسية التي أثرت بدورها على سلوك الفرد في علاقته مع ربه ومع نفسه ومع الآخرين

١- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي،ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج/٣ ، ص/ ٢٣٣ .
٢- سورة القيامة : الآية ١٦.
٣- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت(٩١١)، الدر المنثور ، بيروت - دار الفكر، ١٩٩٣ ، ج/٨/ ص/ ٣٤٨ .

وكان من أهم هذه الأمراض، الاكتئاب، و القلق، والهستيريا، والوسوسة، والشعور بالضعف والوهن ، والخوف الشديد من الكائنات التي تحيط بالإنسان .

و قد أرشد القرآن الكريم إلى طريقة العلاج النفسي لهذه الأمراض عن طريق الأمور التالية.

أولا : ترسيخ الإيمان في القلوب،

إن للإيمان بالله تعالى تأثيرا عظيما في نفس المؤمن، فهو يزيد من ثقته بنفسه ويزيد قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة ويبث الأمن والطمأنينة في النفس ، ويبعث على راحة البال، ويغمر الإنسان بالشعور بالسعادة [1].

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [2]

يقول الإمام البغوي رحمه الله : لقد قضى الله تعالى في هذه الآية بين إبراهيم وقومه وذلك عندما جرى بينهم حوار حول الانتفاع بالإيمان عند الله تعالى فانزل الله قوله " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ " أي لم يخلطوا أيمانهم بشرك "أولئك لهم الأمن وهم مهتدون[3]، وهذا ما أكده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما نزلت عليه هذه الآية ، فعَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

١- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ، بيروت ، دار الشروق، ١٩٨٢ ، ص/ ٢٤١ .

٢- سورة الأنعام : الآية ٨٢.

٣- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي،ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج٢ ، ص/ ١١٢

بِظُلْمٍ بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»[1].

وقال تعالى مبينا أثر الإيمان في تغيير أحوال النفس الإنسانية السلبية إلى الأحوال الايجابية :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2]

لقد جعل الله تعالى الإيمان في هذه الآية طريقا هاما في تحقيق الطمأنينة النفسية وإزالة الخوف عنها، فالوعد هنا في التمكين وإزالة الخوف هو للمؤمنين الذين آمنوا بالله حق الإيمان ، وبناء على ذلك فإن إحداث التغيير في النفس البشرية إلى ما فيه خير وصلاح لابد له من إيمان عميق بالله سبحانه و تعالى.

ثانيا:أداء العبادات والشعائر الدينية:

وجه القرآن الكريم المسلم إلى أداء العبادات كأسلوب من أساليب العلاج النفسي والجسدي معا، فالصلاة هي دعوة لتنظيف الباطن ، والتخلي عن الفحشاء والمنكر والتحلي بمكارم الأخلاق ، وفيها راحة الضمير، والتروي في كل الأمور، واستعادة النشاط كما أن لها من الفوائد الصحية التي تعود على المصلي من تقوية مفاصله، وعضلاته

١- أخرجه

٢- سورة النور : الآية ٥٥.

ومساعدة المعدة على هضم الطعام ، والسجود الطويل الخاشع له قدرة خارقة في انخفاض ضغط الدم العالي[1]. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]

إنَّ ما تحدثه الصلاة من شعور بالأمن وتحرر من القلق يساعد على انطلاق طاقة الإنسان النفسية التي كانت مقيدة في أغلال القلق، فيشعر الإنسان بتدفق النشاط والحيوية في كيانه[3].

وشرع القرآن الصوم راحة إجبارية للجهاز الهضمي ، حتى لقد صار الصوم الآن أحدث وسيلة للعلاج من اضطرابات الأمعاء والسمنة ، والبول السكري، والتهاب الكلى و ارتشاح القلب، والتهاب المفاصل، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[4]

وشُرع الحج في القرآن الكريم لقهر النفس ، وكبح جماح الشهوات ، والبعد عن حياة الترهل والسمنة ، وتعَود الاعتماد على النفس ، وعلى حياة التقشف[5]. قال تعالى:

﴿.... وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[6]

١- موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت – دار المعرفة، ١٩٨٦ ، ص/ ١٤

٢- سورة البقرة : الآية ١٥٣.

٣- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، مرجع سابق، ١٩٨٢ ، ص/ ٢٦٠ .

٤- سورة البقرة : الآية ١٨٣.

٥- موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، مرجع سابق ، ١٩٨٦ ، ص/ ١٤ .

٦- سورة آل عمران : من الآية ٩٧.

ومن خلال الزكاة تنمو مشاعر المشاركة الوجدانية والعطف على الفقراء وتعود المزكي على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية نحو أبناء وطنه والعمل على إسعادهم ، فمن خلال الزكاة يشعر المسلم بالرضا وبالطهر والطهارة وبالسعادة [1] ، قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [2]

ثالثاً: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب و العمل :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإكثار من ذكره ، سبباً من أسباب طمأنينة القلب وراحته قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [3]

قال أبو الفضل الألوسي رحمه الله في بيان اطمئنان القلب بذكره تعالى: "إن الموجودات على ثلاثة أقسام ، مؤثر لايتأثر ، ومتأثر لا يؤثر ، وموجود يؤثر يتأثر ، فالأول هو الله تعالى ، والثاني هو الجسم فانه ليس له خاصية إلا القبول للآثار المتنافية والصفات المختلفة ، والثالث الموجودات الروحانية فإنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عليها منها ، وإذا توجهت إلى أعلام الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام ، فإذا عرف هذا فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليه والتصرف فيه وإذا توجه إلى مطالعة الحضرة الإلهية وحصلت فيه الأنوار الصمدية فهناك يكون ساكنا مطمئنا ، وأيضا أن القلب كلما وصل إلى شيء فانه يطلب الانتقال منه إلى أمر آخر

١- عبد الرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت – دار النهضة ، ١٩٨٨، ص/١٩٨
٢- سورة التوبة : الآية ١٠٣.
٣- سورة الرعد : الآية ٢٨.

أشرف منه لأنه لا سعادة في عالم الجسم إلا وفوقها مرتبة أخرى ، أما إذا انتهى إلى الاستسعاد بالمعارف الإلهية والأنوار القدسية ثبت واستقر فلم يقدر على الانتقال من ذلك البتة لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منه " ثم يقول : إنَّ سبب الطمأنينة نور يفيضه الله تعالى عن قلب المؤمنين بسبب ذكره فيذهب ما فيها من القلق والوحشة[1].

وقد أرشدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهمية ذكر الله تعالى في رفع درجاتنا عند الله تعالى ، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا بَلَى قَالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ) [2].

رابعا: الرضا بقضاء الله وقدره .

إن مما يبعث الطمأنينة في النفس الإنسانية ويحفزها على العمل و مواصلة السير في طريق الانجاز والتقدم وعدم اليأس أو القنوط هو إيمانها بأن ما يحدث لها من أحزان ومصاعب وابتلاءات فإنها تقع كلها في دائرة القضاء والقدر الذي أوجده الله سبحانه وتعالى. قال تعالى:

١- محمود الألوسي أبو الفضل ،ت(١٢٧٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت – دار إحياء التراث العربي، د ت ، ج/١٣ ، ص/ ١٥٠ .

٢- أخرجه الترمذي ، سنن الترمذي ، ك / الدعوات عن رسول الله ، ب / منه ، رقم ، رقم / ٣٣٧٧.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]

خامسا: ممارسة الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة:

أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن سلامة الخُلق تؤدي إلى سلامة النفس ، وان الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخلق والجنوح هي ذاتها التي قد تؤدي إلى الأمراض النفسية والعقلية، وعلى ذلك فالتحلي بالقيم الخلقية سبيل إلى التمتع بالصحة النفسية والعقلية والانحراف الخلقي عادة يؤدي إلى الانحراف العقلي [2].

وفي القرآن الكريم إرشادات كثيرة ترشد إلى ممارسة الأخلاق الفضلة والابتعاد عن الأخلاق السيئة ، فمن الأخلاق الفاضلة التي تدعو الآيات القرآنية المسلم إلى ممارستها

أ- خلق الأمانة.

قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[3]

ب- الإحسان:

قال تعالى:﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾[4]

١- سورة الحديد : الآية ٢٢.
٢- عبد الرحمن العيسوي ، الإسلام والعلاج النفسي الحديث ، مرجع سابق، ص/ ١١ .
٣- سورة البقرة : الآية ٢٨٣.
٤- سورة البقرة : الآية ١٩٥.

ج- الاستقامة:

قال تعالى:

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1]

د- إصلاح ذات البين:

قال تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[2]

هـ- الإيثار:

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3]

وقد حذر القرآن من ممارسة الأخلاق السيئة التي لها اثر كبير في اضطرابات النفس الإنسانية ومن هذه الأخلاق.

١- سورة يونس : الآية ٨٩.
٢- سورة الأنفال : الآية ١.
٣- سورة الحشر : الآية ٩.

أ- اتباع الهوى:

قال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]

ب- التكبر والاختيال:

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[2]

ج- الإسراف والبخل:

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3]

د- البغض والكراهية:

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[4]

١- سورة القصص : الآية ٥٠.
٢- سورة الإسراء : الآية ٣٧.
٣- سورة الإسراء : الآية ٢٩.
٤- سورة المائدة : الآية ٩١.

هـ- سوء الظن:

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[1]

وقد حقق القرآن نجاح هذا العلاج عن طريق اتباعه الأساليب العلاجية التالية.

١- التربية العلاجية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[2]

٢- التربية العلاجية عن طريق الأسوة الحسنة في الاتباع والمحاكاة:

قال تعالى:

﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[3]

وقال أيضا:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[4]

١- سورة الحجرات : الآية ١٢.
٢- سورة الحج : الآية ٤١ .
٣- سورة الممتحنة : الآية ٦ .
٤- سورة الأحزاب : الآية ٢١.

٣- التربية العلاجية عن طريق الترغيب والترهيب:

قال تعالى

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[1]

٤- التربية العلاجية بضرب الأمثال:

قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[2]

قال تعالى:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]

٥- التربية العلاجية عن طريق القصص القرآني المؤثر في النفس الإنسانية:

قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[4]

١- سورة الأنعام : الآية ١٦٠.
٢- سورة النحل : الآية ١١٢.
٣- سورة الزمر : الآية ٢٩.
٤- سورة يوسف : الآية ١١١.

وقال تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[1]

التربية العلاجية للعصاة والمذنبين:

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله :" ومما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ، ولابد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان ، على اختلاف درجاتها في الضرر ، وهل في الدنيا شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي ، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة ، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب [2].

ولا يخفى على العاقل ما للذنوب من آثار وأضرار على عقل الإنسان ، فما عصى الله احد حتى يغيب عقله ، وهذا ظاهر، فانه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره ، وهو مطلع عليه، وفي داره وعلى بساطه ،وملائكته شهود عليه ناظرون إليه ، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والاخره أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم [3] .

وقد قدم القرآن الكريم علاجه لأهل المعاصي والذنوب عن طريق التوبة والعودة إلى الله تعالى ، ويمكننا أن نستفيد من هذه الوصفة العلاجية ونحققها في حياة هؤلاء المذنبين عن طريق بيان الأمور التالية .

١- سورة هود : الآية ١٢٠.

٢- شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، ت(٧٥١) ، الداء والدواء، مصر – المنصورة ، مكتبة الإيمان ١٩٩٤ ، ص/ ٤٣ .

٣- المرجع السابق، ص/ ٦٣.

١- بيان فضل التوبة وأثرها على حياة المذنب:

إنَّ مما يساعد المذنب على تجرع دواء التوبة هو معرفته بفضلها وأثرها عليه إن تاب وعاد إلى الله تعالى ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:" لَمَّا جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي- صلى الله عليه وسلم- فقلت ابسط يدك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي قال مالك قلت أردت أن أشترط، قال أتشترط ماذا ؟ قلت: أن يغفر لي قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله[١] . وبالتوبة يستطيع المذنب أن يتعايش مع الطائعين وينسجم مع ما حوله من كائنات قال تعالى :

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٢]

وقد أخبر الإمام الطبري رحمه الله عن حالة التحول الكبيرة التي تحدث في حياة التائب عندما يعود إلى الله تعالى، حيث يقول في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[٣]

فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فأبدلهم بالشرك إيمانا وبالزنا عفة وإحصانا ، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات[٤] .

١- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت(٩١١)، الدر المنثور ، مرجع سابق، ج/٤، ص/ ٦٤ .
٢- سورة التوبة : الآية ١١.
٣- سورة الفرقان : الآية ٧٠.
٤- محمد بن جرير الطبري ، أبو جعفر ، ت(٣١٠)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت- دار الفكر ١٤٠٥هـ ج/١٩ ، ص/ ٤٦ .

٢- بيان قبول الله تعالى توبة المذنب إذا تاب و عاد إليه،

أوضح القرآن الكريم بما لا يحتاج إلى سرد الأدلة الدالة على قبول الله تعالى توبة من تاب وعاد إليه ، فقد جاء التوكيد من الله تعالى في قبول التوبة في أكثر من آية في كتابه حيث قال تعالى:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]

٢- عدم القنوط من رحمة الله تعالى،:

يعد القنوط من أخطر الحالات النفسية التي تصيب العاصي ، فبه يزداد العاصي نفورا وبعدا عن الصواب، ولذلك عالج القرآن هذه الحالة ببيان سعة رحمة الله في قبول توبة التائب قال تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[2]

ومعنى قوله :" لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ " أي لا تيأسوا من مغفرته سبحانه وتفضله عز وجل[3] .

وقد صور القرآن الكريم مدى شدة الحالة النفسية التي يكون عليها العاصي والمذنب عندما يجد طريق التوبة قد أغلق في وجهه ، قال تعالى :

١- سورة المائدة : الآية ٣٩ .

٢- سورة الزمر : الآية ٥٣.

٣- محمود الألوسي ، أبو الفضل ت(١٢٧٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مرجع سابق، ج/ ٢٤ ، ص ١٥ .

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]

ففرج الله تعالى عن نفوسهم وأزال عنها حالة الضيق و الاختناق بأن تاب عليهم وقبل توبتهم.

٤- بيان كيفية التوبة :

أرشد القرآن الكريم التائب إلى كيفية التوبة التي تقبل عند الله تعالى، وذلك عن طريق الخطوات الآتية :

أ- الاستغفار.

يعد الاستغفار الخطوة الأولى في إعلان التوبة لله عز وجل فهو طلب المغفرة من الله تعالى بأن يتجاوز عما قد ارتكبه المذنب من معاصي وآثام ، وقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: كنت إذا سمعت حديثا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفعني الله به ما شاء وإذا سمعته من غيره حلفته وحدثني أبو بكر وصَدق أبو بكر ،قال: ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى[2] :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[3]

١- سورة التوبة : الآية ١١٨.

٢- محمد بن أحمد ، القرطبي ، أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ط/٢، ١٣٧٢، ج /٥ ص/ ٣٨٠ .

٣- سورة النساء : الآية ١١٠.

ب - الندم على فعل الذنب

إن ندم التائب على ذنبه دليل على صدق توجهه إلى الله تعالى، فبه يستشعر المذنب مدى الفراغ الذي أحدثه في علاقته مع رب العالمين ، ولذلك كان عدم الإصرار على المعصية سببا في قبل الله تعالى لتوبته. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1]

ج- رد حقوق الآخرين وطلب العفو منهم.

حَرص القرآن الكريم على سلامة المجتمع من انتشار الشحناء والبغضاء بين أفرده ولذلك كان لابد للمذنب من رد الحقوق إلى أصحابها و طلب العفو والمسامحة ممن كان قد ظلمه حتى تتصافى النفوس وتطمئن القلوب ، ويعيش المذنب في كنف من أساء إليه بكل حب وسلامة صدر ، وهذا ما أرشد إليه القرآن الكريم عندما قال الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾[2]

١- سورة آل عمران : الآية ١٣٥.
٢- سورة النساء : الآية ٩٢.

د - الانتقال والبعد عن أماكن المعصية:

نهى القرآن الكريم عن الجلوس أو القعود في الأماكن التي يعصى فيها الله سبحانه وتعالى وأمر بمغادرتها في حال استمرار ارتكاب المعصية فيها لأنها أصبحت مكانا للظالمين الذين يستحقون العذاب من الله[1] ، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[2]

وقدر أرشد إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قصة الرجل الذي قتل مائة نفس، وذلك عندما طلب العالم من المذنب مغادرة المكان الذي كان قد عصى الله فيه[3] .

ه - ممارسة الأعمال الصالحة:

لقد اخبر الله تعالى أنه أوجب على نفسه أشياء تقتضي التحقيق ، ومنها قبوله توبة من تاب إليه وعمل صالحا[4] قال تعالى:

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[5]

و على ذلك حتى يتحقق قبول توبة التائب لابد له من ممارسة الأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله تعالى فيصبح في عداد الذين يحبهم الله ويحبونه. قال تعالى:

١- أبو البركات، عبد الله بن احمد بن محمد النسفي، تفسير النسفي، د ن ، د ت، ج/١ ، ص/ ٢٥٥ .
٢- سورة الأنعام : الآية ٦٨.
٣- حديث أخرجه، مسلم ، صحيح مسلم ، ك/ التوبة ، ب/ قبول توبة القاتل وان كثر قتله ، رقم/ ٤٩٦٨ ،
٤- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/٤ ص/ ١١ .
٥- سورة طه : الآية ٨٢.

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1]

التربية العلاجية لبعض القضايا الأسرية.

حرص القرآن الكريم على بقاء الحياة الزوجية حياة آمنة مطمئنة يسودها الحب والوئام ، وما إن تتعرض الحياة الأسرية إلى بعض الفيروسات التي تفسد علاقة المحبة بين أفراد الأسرة ، إلا ونجد القرآن الكريم يقدم لها العلاج والدواء المناسب من اجل الحفاظ على هذه المملكة الصغيرة من الانهيار.

قدم لنا القرآن الكريم العلاج الإيماني لما قد شاب الحياة الأسرية من المنغصات عن طريق إرشاداته وتوجيهاته في القضايا الأسرية التالية والتي تعد سلوكيات خاطئة في الحياة الزوجية.

١- علاج نشوز الزوجة:

قال تعالى:

﴿ ....وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2]

١- سورة البقرة : الآية ٢٢٢.

٢- سورة النساء : من الآيات ٣٥ : ٣٦ .

جاء في معنى النشوز: " أنه الارتفاع وقوله تعالى: " وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ "أي معصيتهن وتعاليهن عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج والنشوز بغض المرأة للزوج أو الزوج للمرأة يقال نشزت عليه أي ارتفعت[1].

من خلال الآية الكريمة يخبرنا القرآن الكريم عن كيفية استخدام العلاج القرآني في معالجة هذا النشوز ، فالبداية تكون بالوعظ فإن لم يحقق الوعظ الغاية المرجوة لجأ الزوج إلى الهجر فإن لم ينفع معها هذا الأسلوب لجأ الزوج إلى الضرب ، فإن لم تستجيب الزوجة لزوجها بعد استخدام كل هذه الأساليب ، يَنظر في أمرهما حكما من أهلها ، وحكما من أهله.

وقد بين الإمام البغوي رحمه الله طريقة استخدام هذا العلاج فقال: " هذه الأفعال على ترتيب الجرائم فإن خاف نشوزها بأن ظهرت أمارته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها، فإن أبدت النشوز هجرها ، فإن أصرت على ذلك ضربها، وقوله تعالى "وإن خفتم شقاق بينهما" يعني خلافا بين الزوجين والخوف بمعنى اليقين وقيل هو بمعنى الظن يعني إن ظننتم شقاق بينهما وجملته أنه إذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الزوج الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تأدية الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الإمام حكما من أهله إليه وحكما من أهلها إليها رجلين حرين عدلين ليستطلع كل واحد من الحكمين رأي من بعث إليه إن كانت رغبته في الصلح أو في الفرقة ، ثم يجتمع الحكمان فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح فذلك قوله عز وجل فابعثوا حكما من

١- شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ت(٨٥٣)، التبيان في تفسير غريب القرآن ، تحقيق فتحي أنور الدابولي، طنطا - دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٢ ، ص/ ٦٦ .

أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يعني الحكمين يوفق الله بينهما يعني بين الزوجين[1].

٢- معالجة قضية الطلاق :

إذا لم يتمكن الحكمان من علاج الخلافات الواقعة بين الزوجين فإن الطلاق يعد علاجا ضروريا في مثل هذه الحالات، لان استمرارية الحياة الزوجية على هذا الحال قد تنجم عنه أضرارا كبيرة لا يحمد عقباها ، من إضرار بالزوجة أو إضرار بالزوج ، ولذلك شرع القرآن الكريم الطلاق ، قال تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ .... ﴾[2]

جعل القرآن الكريم الطلاق مرتين حرصا على إمكانية العودة إلى عش الحياة الزوجية مرة أخرى. وقد نظم القرآن هذا العلاج تنظيما دقيقا بحيث يحقق إمكانية علاج الخلافات المستعصية بين الزوجين وأعطى كلا منهما فرصة لمراجعة نفسه والوقوف على مدى الأضرار التي قد تنجم عن فراقهما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ ۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرًا ۝١ ﴾[3]

لقد نظم القرآن هذا العلاج بما قد يحقق إمكانية المراجعة بين الزوجين، حيث وجه الزوج عند رغبته في طلاقها أن يوقعه في حالة طهرها ، لان ذلك أدعى إلى ميل النفس

١- الحسين بن مسعود ، البغوي، ت(٥١٦)، معالم التنزيل، مرجع سابق،ج/١، ص/٤٢٣ .
٢- سورة البقرة : من الآية ٢٢٢.
٣- سورة الطلاق : الآية ١ .

لمراجعتها وعدم فراقها، ونهى عن طلاقها في مدة حيضتها لان النفس عادة لا ترغبها في مثل هذه الحالة ، ثم أرشد إلى قضاء الزوجة عدتها في بيت زوجها لأن ذلك قد يكون أقرب الطرق إلى رغبته في إرجاعها وإمساكها بالمعروف، والندم على طلاقها أو مفارقتها[1] .

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى:" لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ".الأمر الذي يحدثه الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة[2].

وإذا استمرت الحالة على ما هي عليه من الخلاف و الشقاق ، فان الطلاق هو العلاج الأنسب لهذه الحالة ، قال تعالى :" فإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم "البقرة الآية . ولم يقف العلاج القرآني عند هذا الحد بل أرشد إلى علاج بعض القضايا التي تنتج عن الطلاق ، بما يضمن سلامة المجتمع من التفكك والتخلي عن الواجبات قال تعالى:

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ ﴾[3]

١- أبو البركات، عبد الله بن احمد بن محمد النسفي، تفسير النسفي، ج/ ٤ ، ٢٥٤ .
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/١٨، ص ١٥٦
٣- سورة الطلاق : الآيات ٦ : ٧ .

أمر القرآن الكريم الرجل الإنفاق على مطلقته إن كانت ذات حمل حتى تضع حملها وإذا أرادت المرأة المطلقة إرضاع ولدها فعلى الرجل أن يعطيها أجرها على إرضاعه وإن لم يتفقا على أجرة الرضاعة أو رفضت الأم إرضاعه فعند ذلك يسترضع له مرضعة أخرى غير أمه، ولا تكره الأم على إرضاعه[1] .

٢- معالجة قضية الخلع،

إذا خافت المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه وخاف الزوج أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته ، جاز لها أن تطلب فراقه على أن تدفع له فدية مقابل ذلك، وجاز له أن يأخذ منها ما افتدت به [2] ، قال تعالى:

﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [3]

وقد نزلت هذه الآية في زوجة ثابت بن قيس ،فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ :يَا رَسُولَ اللهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً[4] .

١- علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ت (٤٦٨) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، صفوان عدنان داوودي ، دمشق دار القلم ، ١٤١٥، ج/٢، ص/ ١١٠٨.

٢- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت(٥٩٧)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت -المكتب الإسلامي ط/١٤٠٤، ٣، ج/١، ص/ ٢٦٥ .

٣- سورة البقرة : من الآية ٢٢٩ .

٤- أخرجه البخاري، صحيح البخاري، ك/ الطلاق ، ب/ الخلع وكيف الطلاق فيه ، رقم /٤٨٦٧ .

ولم يترك القرآن الكريم هذا الأمر بدون بيان وتوضيح ، بل حرم على الزوج الأخذ مما افتدت به الزوجة إن كان يمسكها ليضر بها أو ليعتدي عليها[1] قال تعالى:

﴿... وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ .... ﴾[2]

٤- معالجة قضية الخيانة الزوجية عن طريق الشهود والملاعنة:

حرص القرآن الكريم على سلامة الأعراض والأنساب فعمل على وضع العلاج الذي يضمن للرجل المحافظة على عرضه ونسبه، ويضمن كذلك للمرأة المحافظة على عرضها وشرفها من الإساءة ونشر الأكاذيب والافتراءات، ولذلك شرع اللعان، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) ﴾[3]

قال ابن كثير رحمه الله:" أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة شهود.وإلا فحد في ظهرك فقال يا رسول الله إن الله يعلم أني لصادق ولينزلن الله عليك ما يبرئ به ظهري من الجلد فأنزل الله آية اللعان ، قال فدعاه

١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ، ج/٣ ص/ ١٣٦ .

٢- سورة البقرة : من الآية ٢٢٩ .

٣- سورة النور : الآيات ٤ : ٦ .

النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له في الخامسة ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قومي فاشهدي بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال في الخامسة وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال انظروه إن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أبيض سبطا قضيئ العينين فهو لهلال ابن أمية فجاءت به آدم جعدا حمش الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن(١).

وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن من ألحقت بقوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ اللِّعَانِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَلْحَقَتْ بِقَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنْ اللهِ فِي شَيْءٍ وَلَنْ يُدْخِلَهَا جَنَّتَهُ وَأَيُّمَا رَجُلٍ أَنْكَرَ وَلَدَهُ وَقَدْ عَرَفَهُ احْتَجَبَ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ"(٢) .

٥- علاج هجر الزوج لزوجته في الفراش:

تعد قضية الإيلاء من أهم السلوكيات الخاطئة التي عالجها القرآن الكريم في الحياة الأسرية ، قال تعالى:

١- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ت(٧٧٤) ، تفسير القرآن العظيم، بيروت- لبنان، دار الفكر ١٤٠١هـ ،ج /٣ ، ص/٣٦٩

٢- أخرجه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ك/ الفرائض، ب/ من أنكر ولده ، رقم/ ٣٧٣٣ .

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾[1]

والإيلاء من المرأة هو:أن يقول الزوج والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر، أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما هو أقل من ذلك ، وحكمه أنـّه إن رجع إليها في المدة بالوطء إن أمكن أو بالقول إن عجز عنه صح الرجوع وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ، ولا كفارة على العاجز ، وإنْ مضت الأربعة بانت بتطليقة ، ولهم أن ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة برجعة أو طلاق فإن رجعوا عن اليمين بالحنث"فإن الله غفور رحيم" أي يغفر للزوج برجعته التي هي كتوبته أو يغفر له ما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة[2] .

٦- قضية الظهار :

يتصف القرآن الكريم بأنه منهج الحياة و به تنظم طريقة العيش ، وبه تصحح المفاهيم والمعتقدات ، ولذلك اتبع القرآن الكريم المنهج العلاجي في توجيه المرء إلى حسن التصرف والعيش في تعامله مع أهل بيته ، فقد عاب على أولئك الذين جعلوا زوجاتهم مثل أمهاتهم ، فظاهروا من زوجاتهم ، والظهار هو : أن يقول الرجل لامرأته أنت علي ظهر أمي أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي[3] . قال تعالى:

١- سورة البقرة : الآية٢٦ .

٢- محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ت(٩٥١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت - دار إحياء التراث العربي، د ت ، ج/١ ، ص/ ٢٢٤ .

٣- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي ،ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق ، ج/ ٤ ، ص/ ٣٠٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾[1]

ثم وضع لهم القرآن العلاج الذي عن طريقة يستطيعون تعديل سلوكياتهم الخاطئة في الحياة الأسرية . فقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[2]

رتب القرآن معالجة هذا السلوك الخاطئ بأن يعتق الرجل رقبة من قبل أن يتماسا فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، وهنا جاز له الوطء قبل الإطعام فهو لم يقيده كتقييده الوطء بتحرير الرقبة والصيام[3] .

التربية العلاجية للقضايا الاقتصادية:

أولا- التربية العلاجية عن طريق تحقيق العدالة الاقتصادية:

نعني بالعدالة الاقتصادية:" المساواة في الإمكانات ، العدالة في توزيع الثروة التوزيع العادل للمواد الأولية الطبيعة على أفراد المجتمع، المساواة في توفير فرص العمل

١- سورة المجادلة : الآية ٢ .
٢- سورة المجادلة : الآيات ٣ : ٤ .
٣- المرجع السابق . ج/ ٤ ، ص/ ٣٠٥ .

والتمتع بالحق القانوني الذي يتضمن القيمة الواقعية للعمولة مع الحق الواقعي (الحصة) للأفراد[1].

ولا تفصل العدالة الاقتصادية عن الهدف الأصلي للدين والذي يكمن في السمو الروحي للإنسان على صعيد العلم والعمل، وقد استهدفت بعض التعاليم الاقتصادية في الإسلام تربية الإنسان وتهذيبه، الأمر الذي يجعل هذه المسألة تصب هي الأخرى في إطار ذلك الهدف الأسمى ، ومن ذلك – على سبيل المثال- اشتراط النية وقصد القربة في أداء الخمس والصدقة ، وذلك لسد حاجات الفقراء وإيجاد حالة من التوازن الاقتصادي من جهة ، وكونه يمثل ذكر الله وتقربا إليه من جهة أخرى ، إلى جانب تمرين الفرد على النأي بنفسه بعيدا عن التعلق بأموال الدنيا وزخارفها ، ولذلك فدورها التربوي لا يخفى في هذه الأمور، والحق أن الإسلام يرى الأخلاق والاقتصاد حقيقة واحده تأبى الانفصال[2].

وتدل سائر الآيات من قبيل قوله تعالى:

﴿ .... وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ .... ﴾[3]

وقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[4]

١- رضا حق بناه، العدالة والتنمية الاجتماعية في القرآن، مجلة البصائر، العدد/ ٣٢ ، ٢٠٠٤ ، ص/ ٧٦ .
٢- المرجع السابق ، ص/ ٧٧ .
٣- سورة الشورى : من الآية ١٥ .
٤- سورة النساء : الآيــة ١٣٥ .

بصورة عامة على مطلوبية العدالة بكافة أبعادها ، لاسيما في المجال الاقتصادي وان أهداف الشريعة الإسلامية المقدسة إنما في إقامة العدل والقسط في الجانب الاقتصادي[1] .

ثانيا- التربية العلاجية عن طريق علاج ظلم الإنسان وكفرانه بالنعمة[2] :

لقد رتب الله في القرآن الكريم للظلم عقوبة في الدنيا قبل الآخرة وذلك حرصا على تطهير المجتمعات من ظلم الإنسان لنفسه ولأخيه الإنسان ، قال تعالى:

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾[3]

ثم بين لنا القرآن الكريم الآثار التي قد تنجم عن الكفر بنعم الله سبحانه وتعالى قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[4]

وقد جعل القرآن الكريم كفران النعمة نوعا من أنواع ظلم الإنسان لنفسه ولغيره ثم جعله سببا في ذهاب رغد العيش وسوء الأحوال الاقتصادية والأمنية على حد سواء قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[5]

١- نفسه ، ص/ ٧٨ .

٢- محمود السرطاوي ورفاقه، نظام الاسلام، عمان – المكتبة الوطنية، ١٩٩٦ ، ص/ ٢٢٥ ، وانظر محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ٣٤٨- ٣٥٤ .

٣- سورة الكهف : الآية ٧٨.

٤- سورة إبراهيم : الآية ٢٨ .

٥- سورة النحـل : الآية ١١٢ .

ثالثا:التربية العلاجية عن طريق معالجة مشكلة الفقر[1] :

وضع القرآن الكريم وسائل عملية في معالجة الفقر عند وقوعه وذلك من خلال ما قدمه من أوامر وار شادت للمسلم في كيفية تعامله مع مفهوم الاستخلاف في الأرض الذي كلفه الله به ، ومن هذه الوسائل:

أ: العمل:

العمل من أهم الوسائل الكفيلة للقضاء على المشكلة الاقتصادية التي تكون سببا في الفقر، ونظرا لاهمية العمل فقد جاء في القرآن الكريم ما يكفل تحقيقه، حيث جعل القرآن الكريم العمل عبادة، قال تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]

وقال أيضا: .

﴿ ... فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ .... ﴾[3]

ب: التكافل الاجتماعي: :

نعني بالتكافل الاجتماعي مساعدة المسلم لإخوانه الفقراء والقيام بكل ما يحقق الود معهم ، فقيام المسلم بعمل طيب تجاه أخيه الفقير أمر واجب ، وبناء على ذلك يجب على كل مسلم غني تأدية ما عليه من زكاة ، وليبادر إلى منحها لأقاربه وجيرانه الفقراء أولاً ثم لمن شاء من المحتاجين الآخرين. قال تعالى:

١- يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، القاهر- دار غريب للطباعة، ط/٤، ١٩٨٠، ص/١٣.
٢- سورة التوبة : الآية ١٠٥ .
٣- سورة الجمعة : من الآية ١٠ .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]

رابعا - التخطيط والتنظيم الاقتصادي،

يعد التخطيط والتنظيم الاقتصادي عاملا مهما في معالجة المشكلة الاقتصادية وقال تعالى مخبرا عن نبيه يوسف علية السلام في اتباعه أسلوب التخطيط و التنظيم الاقتصادي في حل الأزمة الاقتصادية التي تتعرض لها البلاد :

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2]

ومن أساليب العلاج التي اتبعها يوسف عليه السلام في مواجه الأزمة الاقتصادية انه عمل على تنظيم التجارة بحيث يعطي كل رجل يأتي إليه حمل بعير و لا يزيد عليه وذلك حتى يبقى الاقتصاد في حالة من الاستقرار والتوازن قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]

١- سورة التوبة : الآية٦٠ .
٢- سورة يوسف : الآيات ٤٧ : ٤٩ .
٣- سورة يوسف : الآية ٦٥ .

قال الإمام البيضاوي في معنى قوله تعالى "ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير" أي نزداد وسق بعير بأصطحاب أخينا، وقد استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم[1].

التربية العلاجية للانحرافات السلوكية التي تحدث في المجتمع:

عالج القرآن الكريم بعض الانحرافات السلوكية في المجتمع عن طريق تفعيل دور كل من.

أ- : الدعاة والمصلحين:

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الوقوف في وجه الظلام ، والعمل على إزالته من المجتمعات حتى تنعم الإنسانية بالنور و الهداية الإلهية، قال تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2]

وبين الله تعالى في القرآن الكريم دور الأنبياء في معالجة الانحرافات السلوكية حيث كان كل نبي يقوم بمعالجة ما يوجد في مجتمعه من انحرافات ومخالفات ، فنوح عليه السلام كان يحاول معالجة انحراف مجتمعه في عبادة الأصنام ، وكذلك إبراهيم عليه السلام كان يحاول معالجة انحراف مجتمعه في عبادة الكواكب والنجوم ، وموسى عليه السلام يحاول معالجة انحراف مجتمعه في عبادة فرعون ، وشعيب عليه السلام يحاول معالجة انحراف مجتمعه في تطفيف الميزان ، ولوط عليه السلام كان يحاول معالجة

١- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي، ت(٧٩١) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة ، بيروت- لبنان، دار الفكر، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، ج/ ٣ ، ٢٩٨ .

٢- سورة آل عمران : الآية ١٠٤.

انحرف مجتمعه في الشذوذ الجنسي و الأخلاقي، ومحمد عليه السلام كان يحاول معالجة مجتمعه من كثير من الانحرافات العقائدية والأخلاقية والاقتصادية.

ب - القصاص و الحدود.

الجزاء والعقاب في شرعة الإسلام إما أخروي وإما دنيوي ، والعقاب الأخروي مرده إلى الله تعالى، إن شاء عذب العاصي ، وإن شاء غفر ورحم ، والله غفور رحيم، وهو شديد العقاب، والمؤمن الحق يخشى من عقاب الآخرة وعذاب النار أكثر من عقاب الدنيا والعقوبة الأخروية يمليها قانون الحق والعدل الإلهي إذا لا تسوية بين الطائعين والعاصين والعقوبة الدنيوية لابد لها من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان وصيانة الأعراض ، ومن هذه العقوبات التي شرعها الحق عز وجل[1] :

ب/١ - عقوبة القتل

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾[2]

١- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق – دار الفكر ، ط/٢ ، ١٩٨٥ ، ج/٩ ، ص/ ٦٧٦ .
٢- سورة البقرة : الآية ١٧٨ .

ب/ ٢ - حد الزنا

قال تعالى:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1]

ب/ ٢-- حد القذف

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾[2]

ب/٤- حد السرقة.

قال تعالى:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]

ب/٥- حد الحرابة.

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[4]

١- سورة النور : الآية ٢ .
٢- سورة النور: الآية ٤ .
٣- سورة المائدة: الآية ٣٨ .
٤- سورة المائدة : الآية ٣٣ .

التربية العلاجية للأمراض العضوية:

نقصد بالتربية العلاجية للأمراض العضوية ، توجيه من أصيب بمرض إلى طلب الاستشفاء بكلام الله تعالى، بحيث يبتعد عن العلاج بالشعوذة والتلبيسات التي يقوم بها السحرة والمنجمين ، آملين بذلك أن نحافظ على حسن سلوك المريض وفق ما يريد الله تعالى، وكما أن القرآن الكريم هو شفاء للنفوس فهو أيضا شفاء للأبدان من الأسقام قال تعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1]

أي تقويم واستصلاح للنفوس، كالدواء الشافي للمرض ، وقيل أن "من" هنا للبيان فإنَّ كله كذلك وقيل إنها للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء[2].

ويمكننا أن نقول أن التربية العلاجية للأمراض العضوية في القرآن الكريم يمكن استخدامها عن طريق الأمور التالية.

أولا: عن طريق الرقية الشرعية بالآيات القرآنية:

أ- العلاج بسورة الفاتحة :

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)[3]

وهذا ما دل عليه ما حدث مع بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ

١- سورة الإسراء : الآية ٨٢ .

٢- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن محمد البيضاوي ت(٧٩١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، مرجع سابق ، ج٣ ص/ ٤٦٣ .

٣- أخرجه الدار مي، سنن الدارمي، كتاب/ فضل القرآن ، باب/ فضل فاتحة الكتاب، رقم/ ٣٢٣٦ .

الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ثُمَّ قَالَ قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ومما يؤكد على صحة العلاج بفاتحة الكتاب ما ورد عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنْ الْعَرَبِ فَقَالُوا إِنَّا أُنْبِئْنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رُقْيَةٍ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ قَالَ فَقُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَجَاءُوا بِمَعْتُوهٍ فِي الْقُيُودِ قَالَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بُزَاقِي ثُمَّ أَتْفُلُ فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ قَالَ فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا فَقُلْتُ لَا حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كُلْ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ[2].

١- أخرجه، البخاري، صحيح البخاري، ك/ الإجارة، ب/ ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، رقم/ ٢١١٥ .

٢- أخرجه أبو داوود ، سنن أبي داوود ، ك/ الطب، ب/ كيف الرقى، رقم/ ٣٤٠٢ .

يتبين لن من خلال الأحاديث السابقة أن سورة الفاتحة هي شفاء من الأمراض و الأسقام كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا بدوره يعزز ثقة المسلم بربه و صدق والتوجه إليه.

ب- العلاج بسور الإخلاص والمعوذتين من السحر والعين:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى من ألم في جسده قرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:" أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا[1]".

وقد عالج جبريل عليه السلام رسول الله بسورتي الفلق والناس ، من السحر الذي عمل له، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما أستفتيته فيه،أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ما شأن الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومن طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في ماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي أوران فجاء البئر وأستخرجه، كفأنه نقاعة الحناء فإذا هو مشاطة رأس إنسان وأسنان من مشط وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر فأنزل الله تعالى هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد وأمر أن يتعوذ بهما فجعل كلما قرأ آية أنحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى أنحلت العقدة الأخيرة فكأنما أنشط من عقال) [2].

١- أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، ك/ فضل القران ، ب/ فضل المعونتين، رقم / ٤٦٢٩.
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ،ج/ ٢٠ ص/ ٢٥٣

ج- العلاج بما وصفه القرآن بان فيه شفاء :

لقد أرشد القرآن الكريم إلى الأهمية العلاجية للعسل فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]

قال الإمام القرطبي : قال الجمهور في قوله تعالى : (فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ) ، الضمير للعسل أي في العسل شفاء للناس ، واختلف العلماء في قوله تعالى(فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ) هل هو على عمومه أم لا فقالت طائفة هو على العموم في كل حال ولكل أحد، فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلا ، و حكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل، وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض فقيل له ألا نعالجك فقال ائتوني بالماء فإن الله تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ائتوني بعسل فإن الله تعالى يقول فيه شفاء للناس وائتوني بزيت فإن الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاءوه بذلك فخلطه جميعا ثم شربه فبرىء ومنهم من قال: إنه على العموم إذا خلط بالخل ويطبخ فيأتي شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء، وقالت طائفة إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من لأدوية في بعض وعلى حال دون حال ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطا ومعينا للأدوية في الأشربة والمعاجين [2].

١- سورة النحل : الآية ٦٩ .
٢- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت (٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج/١٠ ، ص/ ١٣٧

وقال الإمام البغوي[1]: يخرج من بطونها شراب يعني العسل ، مختلف ألوانه أبيض وأحمر وأصفر فيه شفاء للناس ، فعن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا قال قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ[2]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(عليكم بالشفاءين القرآن والعسل) [3].

د- العلاج بالدعاء :

والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به ، والساعد ساعد قوي ، والمانع مفقود حصلت به الكناية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بيم قلبه ولسانه في الدعاء، أوكان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

قال تعالى في بيان استجابته دعاء نبيه أيوب عليه السلام :

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[4]

١- الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي ،ت(٥١٦) ، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج/٣ ، ص/ ٧٣ .
٢- أخرجه البخاري، صحيح البخاري ، ك/ الطب ، ب/ دواء المبطون ، رقم / ٥٢٧٧ .
٣- أخرجه ابن ماجه ، سنن ابن ماجه، ك/ الطب ، ب/ العسل ، رقم/ ٣٤٤٣ .
٤- سورة الأنبياء : الآيات ٨٣: ٨٤ .

قال ابن كثير :" يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوا من ثماني عشرة سنة وقد كانت من قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة في الدنيا فسلب جميع ذلك حتى رفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنه فإنها كانت لا تفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وان يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخرى فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا[1].

لقد ثبتت فاعلية الدعاء في علاج كثير من الأمراض التي يعرض لها الإنسان ، فكم من مريض عجز عنه الأطباء ، فكان شفاؤه دعاء صادقا في جوف الليل ، وكم من داء عجز الطب عن دوائه فكان علاجه دعاء خالصا مخلصا مكونا من كلمات ملؤها التضرع والتذلل

١- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ت(٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج/ ٤، ص/ ٤٠

الفصل الرابع :

سلوك الجبارين ولغتهم في القرآن الكريم :

تحليل للدلالات التربوية

(١)مفهوم الجبروت لغة واصطلاحاً:

أصل الكلمة (جَبَرَ) : الجيم والباء والراء أصل واحد وهو جنس من العظمة والعلو.[١] والكلمة على وزن مفلوت من الجبر والقهر، فالجبّار: المتكبر عن عبادة الله والذي لا يرى لأحد عليه حق

ومن أسماء الله الحسنى، الجبّار: وهو العالي فوق خلقه.

والجبّار من الملوك: العاتي، والجبّار الذي يقتل على الغضب، والجبّار القاتل بغير حق والجبّار: العظيم القوي الطويل.

ونخلةٌ جبّارة ، أي عظيمة سمينة.(٢)

ويقال : أجبرتُ فلاناً على الأمر، ولا يكون ذلك إلا بالقهر وجنس من التعظم عليه.[٣] ومما سبق يمكن أن نستنتج المعنى الاصطلاحي لكلمة "الجبروت".

فهي صفةٌ قائمةٌ على التكبر عن عبادة الله تعالى وعدم رؤية حقٍ لأحد، والتعالي على الناس والظلم والقهر لهم وأخذهم بالقوة و التعظم عليهم. وفيها معنى القوة والعظمة

وهذه الصفة صفة حقٍ لله سبحانه وتعالى، فهو جبّار السموات والأرض وهو العالي فوق خلقه أما أن يتصف بها المخلوقين، فلا يحق لهم ذلك، ومن اتصف بها منهم قصمه الله.

١- أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥)هـ معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م)، جزء ١ ص ٥٠١.
٢- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠)هـ لسان العرب ، (مصر: الدار المصرية للتأليف والنشر)، جزء ٥، ص ١٨٢، ١٨٣.
٣- معجم مقاييس اللغة، جزء ١، ص ٥٠١، مرجع سابق.

(٢)مفاهيم ذات صلة بمفهوم "الجبروت" :

(١)الظلم لغةً واصطلاحاً :

ظَلَمَ : ظُلْمًا ، ومظلمة فهو ظالم وظلوم وظلاّم، وهم ظلمة وظالمون.(١) فالظلم : وضع الشيء في غير موضعه، وفي أمثال العرب في الشبه: من أشبه أباه فما ظلم" قال الأصمعي ما ظلم: أي ما وضع الشبهَ في غير موضعه.

وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد.

والظلم : الميل عن القصد والعرب تقول: إلزم هذا الصواب ولا تظلم عنه، أي: لا تجُرْ عنه وقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢)

يعني: أن الله تعالى هو المحيي المميت الرازق المنعم وحده لا شريك له فإذا أشرك به غيره فذلك أعظم الظلم لأنه جعل النعمة لغير ربها.

والظلم، اسم يقوم مقام المصدر، والظلمة، المانعون أهل الحقوق حقوقهم.(٣)

وظلمهُ حقه: نقصهُ إياه، وظلم الأرض: حفرها في غير موضع حفرها، أو حفرها ولم تحفر قبل، وظلم الوادي: بلغ الماء منه موضعاً لم يبلغه قبل.(٤)

ومعنى الظلم في الاصطلاح:

عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور. وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.(٥)

وهنا تظهر الصلة بين مفهوم الظلم ومفهوم الجبروت فالظلم هو تجاوز الحد والتعدي فهو إذاً صفة من صفات الجبّار وصاحب الجبروت في مجاوزته للحد وتعديه على الغير بغير

١- الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩م). جزء ٣، ص ٦٦٤.
٢- سورة التين : الآيات ١: ٢ .
٣- لسان العرب، جزء ١٥، ص ٢٦٦، مرجع سابق.
٤- معجم متن اللغة، جزء ٣، ص ٦٦٤، مرجع سابق.
٥- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(٨١٦)هـ كتاب التعريفات، (القاهرة: دار الرشد، ١٩٩١م) ص ١٦٤.

وجه حق وفي كتب الأخلاق يربطون مفهوم الظلم بالخطيئة، في أن الظلم ينطوي بالبداهة على خطيئة والظالم هو على الدوام ظالم حيال شخص، وظالم باقترافه خطيئة نحو ذلك الشخص وذلك عندما يغتصب حق هذا الشخص، والظالم ينطوي على الانحياز.(١)

(٢)الطغيان لغةً واصطلاحاً :

طغى يطغو ويطغى: الطغيان والطغوان، جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأطغاه المال: أي جعله طاغياً.

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (٢)

أي طغيانهم، وقال قتادة: بعث الله عليهم صيحة، وطغى الماء والبحر: ارتفع وعلا على كل شيء فاخترقه، وكل شيء جاوز القدر فقد طغى، كما طغى الماء على قوم نوح.(٣)

وطغى السيل: جاء بماء كثير، وطغى البحر هاجت أمواجه، والطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال.(٤)

والطغيان في الاصطلاح : مجاوزة الحد في العصيان.(٥)

وتظهر الصلة بين مفهوم الطغيان ومفهوم الجبروت في أن صاحب الجبروت متجاوز للحد في عصيانه وكفره وباطله ولا يلتفت لأحدٍ ولا يحسب حساب أحد، وقد ظهر هذا المعنى فيما قصه الله علينا في القرآن من قصة قارون الذي جاوز الحد في الإعجاب بنفسه والترفع عن الناس والعصيان بعد أن كثرت كنوزه فكان عاقبته أن ابتلعته الأرض. وهذا مصير كل طاغية متكبر.(٦) وسيأتي الحديث عن قصته لاحقاً بتفصيل أكثر.

١- د. عادل العوّا، دراسات أخلاقية، (دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨٣م) ص٢٠.
٢- سورة الحاقة الآية:٥
٣- لسان العرب، جزء ١٩، ص ٢٣١، مرجع سابق.
٤- الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م) ص٣٩٣.
٥- كتاب التعريفات، ص ١٦٠ ، مرجع سابق.
٦- د. عبد الله عبد الرحيم العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، (بيروت: المكتبة العصرية). ص٢٣٦.

(٣)القهر لغةً واصطلاحاً :

القهر : الغلبة والأخذ من فوق.

والقهّار : من صفات الله عز وجل، فهر خلقه بسلطانه وقدرته وصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً.

والقهّار : للمبالغة، والقاهر: هو الغالب جميع الخلق.

وتقول أخذتهم قهراً أي من غير رضاهم.(١)

والقهر : الأخذ على طريق التذليل، وقهرهُ قهراً: غَلَبهُ، وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين أذلاء.(٢)

ووجه الصلة بين مفهوم القهر ومفهوم الجبروت: أن صاحب الجبروت يمارس القهر والإجبار والتذليل للناس ليخضعوا لأوامره كرهاً ويصبحوا أذلاء أمامه مما يعطيه الاستعلاء والتجبّر عليهم. والقهر هي صفة حق لله وهي لا تصح لأيّ من خلقه، لأن الله هو المتعالي على كل خلقه والخلق ضعفاء أمامه.

(٤)العنف لغةً واصطلاحاً :

عنفَ عنفاً وعنف به فهو عنيف: لم يكن ذا رفق بامره.(٣)

وهو ضد الرفق، واعتنف الأمر: أخذه بعنف، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر، وأعنف الشيء: أخذه بشدة، والعنيف: الذي لا يحسن الركوب وليس له رفق بركوب الخيل وقيل الذي لا عهد له بركوب الخيل.(٤) وعنفه : عيّره ولامه وقرعه بشدة والعُنْفُ الشدة والمشقة والخرق بالأمر وقلة الرفق.(٥)

١- لسان العرب، جزء ٦ ، ص ٤٣٣ ، مرجع سابق.
٢- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٤م) جزء ١٣، ص ٤٩٥.
٣- معجم متن اللغة، جزء ٤ ، ص ٢٢٢ ، مرجع سابق.
٤- لسان العرب ، جزء ١١ ، ص ١٦٣، مرجع سابق.
٥- معجم متن اللغة ، جزء٤ ، ص ٢٢٢ ، مرجع سابق.

دوافع الجبروت

عند التأمل في قصص الجبارين في القرآن الكريم وما جرى معهم، وعداوتهم لرسل الله ورفضهم دعوتهم، نلاحظ أن أسباب ودوافع جبروتهم وطغيانهم تتلخص فيما يلي:

(١) الاغترار بالمال والصحة والقوة والجاه والعشيرة والأنصار ونسيان العاقبة: والغرور هو أن ترى أفراد هذا الخُلُق يحتقرون كل من عداهم، ويتطاولون إلى ما ليس في قدرتهم ويتدخلون فيما ليس من شأنهم، ويحكمون على ما لم يحط به علمهم، حتى ليترفع أحدهم عن الإصغاء إلى نصيحة والاستماع إلى رأي، والخضوع لكبير والإجلال لعالم.(١)

فاغرار الإنسان بماله وأنه يملك ما لا يملكهُ غيره. وأنه يستطيع بماله أن يفعل كل ما يريد وأن يعبّد الناس له ، لأن الناس بطبعهم يميلون إلى الذي كَثُرت أمواله ويتقربون منه علّهم يحصلون على شيء من ذلك، وصدق الشاعر إذ يقول:

رأيتُ الناس قد مالوا ... إلى من عندهُ مال
ومن لا عنده مال ... فعنهُ الناس قد مالوا

فيغتر بهؤلاء الحشد ويظن أنه معظَّم في الدنيا وينسى الآخرة فيدفعه إلى الجبروت كما هو حال قارون الذي تجبّر بماله حتى خسف الله به الأرض ، وسيأتي تفصيل قصته فيما بعد

أم الإغترار بالصحة والقوة، فهو دافع أساسي للجبروت بحيث لا يرى الشخص أن أحداً يستطيع أن يجاريه في قوته وجبروته فيدفعه إلى الاستعلاء ورؤية النفس على النسا وإجبارهم على الخضوع له كما هو حال النمرود الذي واجهه سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبان ضعفه أمام قوة الله تعالى.

١- د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ، ط٤، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ)، ص١١.

وأما الإغترار بالجاه والعشيرة والأنصار، فيرى صاحبه أن أحداً لا يملك هذا الحشد والحشم وأنه يستطيع الاستعلاء على الناس وقهرهم والتجبّر عليهم بقوته وعشيرته مما يُعمي الله بصيرته ويُنسيه آخرته فيطغى في الأرض ويعيث فيها الفساد. كما هو حال فرعون مع قومه وحاشيته وحال صاحب الجنتين في سورة الكهف الذي رأى نفسه أكثر أموالاً وأولاداً فدفعه إلى الكفر ونسيان الله فقصمه الله تعالى، وسيأتي تفصيل هذه القصص لاحقاً

فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شُبهةٍ وخُدعةٍ من الشيطان، فيعتقد الإنسان فيه أنه على خير ويظن بنفسه الخير كما في غرور الكفار الذين غرتهم الحياة الدنيا واغتروا بما عندهم من الخير حتى نسوا العاقبة، ويظنون أنهم لو رجعوا إلى الله فسيكونون أوفر حظاً وأسعد حالاً من غيرهم وهذا أشد أنواع الغرور.[1]

(٢)الكبر والطغيان ورفض إعمال العقل:

فالكبر آفة تؤثر على النفوس والقلوب البشرية فيترتب عليها:

أ-عدم رؤية الحق.

ب-عدم الاعتراف به.

ج-عدم الاعتراف بالفضل لأولي الفضل.

د-يمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه.

فيدفعهم ذلك إلى التجبّر واستصغار الناس والاستهانة بأمرهم. كما فعل قوم فرعون عند دعوة موسى عليه السلام لهم مع أن نفوسهم أيقنت بها إلا أنهم أنكروها، قال تعالى:

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا... ﴾[2]

١- عبد السلام هارون، تهذيب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (مصر : دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٧م)، ص ٤٠٣،٤٠٤.

٢- سورة النمل من الآية:١٤

فيرى المتكبر أن قدره فوق أقدار الناس فيستنكف أن يكون معهم أو تبعاً لأحدٍ منهم، وقد يؤدي إلى طغيانه عليهم ويرفض قبول أي نصيحة أو أي حق يعارض هواه وما يمليه عليه من الترفع عن الناس فيرفض اتباع الحق.

وقد ذم الله تعالى الكبر، وذم كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿... كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [1]، والمتكبر لا يتكبر إلا إذا استعظم نفسه باعتقاده أن لها صفة من صفات الكمال الدنيوي من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار، فيعجب الإنسان بنسبه الشريف ويستحقر من ليس له ذلك النسب ويُعجب بجماله ويتفاخر به على الناس ويُعجب بماله فيستحقر الفقير قليل المال ويذله ويُعجب بقوته وشدة بطشه ويتكبر به على أهل الضعف ويتكبر على الناس بكثرة أعوانه وأنصاره.[2]

(٢)حب الرئاسة والجاه والمال :

والجبّار يحب الرئاسة على الناس وأن يكون له حشم ومال كثير حتى يستعلوا به على الناس، فهم يعارضون كل شيء يسلبهم مكانتهم وتجعلهم تابعين لأحد، لذلك يرفضون الإيمان بالله واتباع الحق لأنهم يظنون أن ذلك يسلبهم جبروتهم وجاههم وسلطانهم فيعادون المؤمنين.[3]

فالجبارين لحرصهم على الرئاسة والجاه رفضوا الإسلام وعادوا دعاته حتى لا يفقدوا سلطانهم على الناس.

١- سورة غافر من الآية:٣٥

٢- تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي، ص ٣٨٧ ، ٣٨٩، ٣٩٠، مرجع سابق.

٣- أساليب الدعوة والإرشاد، ص ٣٠٠، مرجع سابق.

وقد ذمّ الله عز وجل في القرآن الكريم حب الجاه والرئاسة فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا... ﴾[1]، فقد جمع بين إرادة الفساد والعلو، وبيّن أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعاً.

والمال والجاه هما ركنا الدنيا، وذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس، ويقدر على أن يتصرف بها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه.

وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً، ويبغي أن تكون له الأحرار عبيداً بالطبع والطّوع،إذاً فالجاه: قيام المنزلة في قلوب الناس فتعتقد تلك القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه، فبقدر ما يعتقدون من عماله تُذعن له قلوبهم، وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب، وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه.

وقد ذم الله عز وجل المال أيضاً فقد قال تعالى من أجل كراهية حبه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2] فمن اختار ماله على ما عند الله فقد خسر وغُبن خسراناً مبيناً. وأن الحرص والطمع فيه يجرّ صاحبه إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات.[3]

وهذا ما كان من الجبارين في حرصهم على الرئاسة والمال والجاه مما أدى بهم إلى لزوم الباطل والتعنت و التكبر والبعد عن قبول الحق واتّباعه.

١- سورة القصص من الآية:٨٣

٢- سورة التغابن الآية:١٥

٣- تهذيب إحياء علوم الدين للغزالي، ص ٤٧٣، ٤٧٤، ٣٦٥، مرجع سابق.

(٤)الجهل المركب :

والجبّار غارق في الجهالة. ولا يشعر بجهالته وهذا ما يسمّى الجهل المركب فهو يكفر بربه ويرفض الحق ودعاته بل ويصف الحق بأنه ضلال ويرمي أصحابه بالسفاهة وخفة العقل ويؤلب عليهم ويكيد ضدهم ويعاديهم بل ويستغرب منهم ويدعي أنه هو على الحق وهم على الباطل.

ثم إن الجبّارين يعادون أتباع الحق ويستهزئون بهم زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون وأنهم لخفة عقولهم تبعوا دعاة الحق، ويدّعون أن الأنبياء الكرام مفسدون في الأرض وأنهم هم المصلحون و المدافعون عن الناس وحقوقهم وأنهم هم الذين يريدون الخير لهم وهذا من أجل الاحتفاظ بسلطانهم وجبروتهم على قلوب الناس واستعبادهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما حدثنا عنه القرآن الكريم من موقف فرعون مع موسى عندما دعاه إلى الحق فقام بتأليب الناس عليه والكيد له، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ... ﴾[1]

فهذا الجهل بالدين وردّ دعوة الأنبياء المكرمين بل وتأليب الناس عليهم والإفساد في الأرض والاستخفاف بالمؤمنين هو من صفات الجبّارين أصحاب العقول الضيقة الأفق الذين لا يرون أبعد من مصالحهم الذاتية.

السمات الأسلوبية لخطاب الجبارين :

الذي يتابع ما يتقوله ملاحدة هذا العصر ، ومدعو العلمانية ، يلحظ تقارب مفردات خطابهم ، وأنماط تفكيرهم ،وأسلوب عداوتهم ، وطرائقهم في الجدل والنقاش . وقد

١- سورة التغابن الآية:١٥

دعانا هذا إلى محاولة البحث عن جذور هذه الفئة – ولا نقول المدرسة – من البشر في التاريخ الإنساني الذي لا نجد له مصدراً أصدق ولا أوثق من القرآن المحفوظ

فقد روى القرآن الكريم قصص الظلمة والطغاة والجبارين بدءاً من ابن آدم قاتل أخيه ومروراً بأقوام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وإذا نظرنا في قصص أولئك الجبارين سنجد تشابهاً كبيراً يجمع بينهم على صعيد الكفر والجبروت والإرهاب والقسوة يدفعهم إلى ذلك عوامل كثيرة منها :

١- الاغترار بالمال

٢- الاغترار بالسلطة والمنصب

٣- التكبر عن الاعتراف بالحق

٤- الجهل الفاضح

وإذا كانوا قد تشابهوا في دوافع معاداة الحق الأبلج ، فإن من المتوقع أن يكون تعبيرهم عن هذه المعاداة متشابهاً أيضاً . ومن ثم فستسعى السطور القادمة لتحليل البنية الأسلوبية لخطابهم سواء أكان ذلك الخطاب موجهاً إلى من يدعونهم إلى الحق ، أم موجهاً إلى أنصارهم وأتباعهم المغلوبين على أمرهم .

أولاً : الأسلوب الخبري :

استخدم الجبارون في خطابهم الأسلوب الخبري ، وهو كما يقول البلاغيون " ما يحتمل الصدق والكذب لذاته " ، في محاولة منهم لإبهام من يخاطبونه بأنهم صادقون ، كما نلحظ في قول النمروذ (الذي حاج إبراهيم في ربه) حين قال به إبراهيم عليه السلام : ربي

الذي يحيي ويميت فقال ﴿... أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ...﴾[1] فأداء المعنى بهذا الأسلوب الخبري المباشر دون استعمال أي أداة من أدوات التوكيد ، يدل على ما امتلأت به نفسه من غرور وانتفاخ وإعجاب ولكن الدافع الحقيقي لهذا التعبير هنا هو الجهل المطبق . لأن مفهوم الإماتة والإحياء عند هذا الطاغية مرتبط بما يملك من أسباب مادية

وقد ورد استخدام الأسلوب الخبري كثيراً على ألسنة الجبارين فقد جاء في خطاب قوم إبراهيم كما في قوله تعالى على لسانهم حين سألهم إبراهيم عليه السلام عن التماثيل التي يعكفون علي عبادتها : ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾[2] . وفي قولهم ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾[3] وفي قوله تعالى عنهم :

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾[4]

كما ورد استخدام الأسلوب الخبري على لسان قوم إبراهيم أيضاً في سورة الشعراء في حوار إبراهيم عليه السلام معهم . قال تعالى :

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤﴾[5]

١- سورة البقرة من الآية:٢٥٨
٢- سورة الأنبياء الآية:٥٣
٣- سورة الأنبياء الآية:٦٠
٤- سورة الأنبياء الآيات:٦٤:٦٥
٥- سورة الشعراء الآيات:٧٠:٧٤

ويظهر من استخدامهم هذا الأسلوب أن دافعهم إلى استعماله إنما هو الجهل بحقيقة تلك الآلهة الزائفة التي لا تنفع ولا تضر. وإن عبادتهم إياها ما هي إلا ضرب من تقليد الآباء السابقين .

وورد الأسلوب الخبري أيضاً على لسام قوم لوط عليه السلام حين رأى منهم رغبة في إيذاء ضيوفه فعرض عليهم أن يتزوجوا من بناته ويكفوا أذاهم عن ضيوفه قال تعالى على لسانهم: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [1] وقد يكون الدافع إلى استعمال هذا الأسلوب هنا هو الاستكبار والعناد والإصرار على الأذى وعدم الرغبة في الاستجابة للهدى والرشاد .

وورد الأسلوب الخبري كذلك على لسان قوم ثمود في ردهم على نبي الله صالح عليه السلام حين تعجب من استعجالهم بالسيئة فكان جوابهم عجيباً ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [2]

ثانياً : أسلوب التوكيد :

ومما يتصل بالأسلوب الخبري اللجوء إلى توكيد الكلام رغبة من أولئك الجبارين في إلباس الباطل ثوب الحق عن طريق تأكيد الكلام ليبدو وكأنه حقيقة ، وقد ورد استخدام التوكيد كثيراً على لسان فرعون في القرآن الكريم لأنه بالغ من بين الجبارين في ادعاء الألوهية حتى صدقه أكثر قومه وعبدوه وحين تبين للسحرة الذي جاء بهم من أقاصي البلاد أنه على الباطل أعلنوا رفضهم لألوهيته وآمنوا بنبوة موسى عليه السلام . وأعلنوا ذلك في قوة وتصميم وإيمان لا يتزعزع . فماذا يملك هذا الطاغية الجبار غير التهديد والتشكيك ؟

١- سورة الأنبياء الآية:٥٣

٢- سورة النمل الآية:٤٧

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ...﴾ (1).

فهو يستخدم التوكيد بالحروف " إن – اللام " في قوله (إنه لكبيركم) . والتوكيد باللام والنون (فلأقطعن .. ولأصلبنكم ..) وورد التوكيد في خطاب فرعون للسحرة قبل أن يؤمنوا حين سألوه﴿... أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (2) وحين أوشك الخسران أن يحيق بفرعون وأنصاره ، ثارت ثائرته وتوالت تعبيراته ساخنة طافحة بالمرارة والخذلان . وتوالت أساليب التوكيد في محاولة يائسة لجمع شمل أنصاره وتبصيرهم بالخطر.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (3)

ثالثاً : أسلوب الشرط :

يحمل أسلوب الشرط بطبيعة تركيبه ما يحمله كل من الإغراء والتحذير من تأثير نفسي في المخاطب . فحين يسمع المخاطب فعل الشرط ينتظر جوابه قلقاً مترقباً متحسباً وفقاً لطبيعة فعل الشرط التأثيرية . فإذا كان صدر جملة الشرط يحمل إغراء ، انتظر السامع أن يجد في جملة جواب الشرط وجزائه ما يدفعه إلى هذا السلوك أو ذاك . وإذا حملت جملة صدر الشرط تخويفاً فزع السامع وتلهفت نفسه لمعرفة الجزاء الذي يكشفه

1- سورة طه من الآية:71
2- سورة الشعراء من الآيات:41:42
3- سورة الشعراء الآيات:53:56

عجز جملة الشرط وإذا كان الإغراء والتحذير هما وجهي العملة الشرطية من حيث الدلالة ، فإن الغالب على أسلوب خطاب الجبارين إزاء خصومهم هو التحذير والتهديد والوعيد كما يظهر أكثر ما يكون في سورة الشعراء على ألسنة معظم الجبارين الذين سردت تلك السورة قصصهم ، وسجلت حواراتهم على مدى تاريخ البشرية . فقوم نوح لا يستجيبون لدعوته . ولا يكتفون بكفرهم وعنادهم . بل يهددونه قائلين﴿..لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[1] ومن خطاب هؤلاء الكفرة الفجرة تظهر نبرة التهديد القاسية في قولهم (لتكونن من المرجومين) فلم يقولوا مثلاً (لنرجمنك) ليكون التهديد له وحده . بل استعملوا (من) التبعيضية وجعلوه مجرد " واحد " من المرجومين أي أنهم سيرجمونه هو ومن آمن به . وذلك حتى يقطعوا من نفسه أدنى أمل في المقاومة ، أو تفكير في الاستنصار بأتباعه المؤمنين . وبمثل هذا الخطاب نفسه ، خاطب قوم لوط نبيهم ، غير أن تهديدهم كان بطرده من بلده وليس برجمه كما قال قوم نوح ، وذلك لأن لوطاً كان أشد تقريعاً لقومه وازدراء بأفعالهم القبيحة

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[2].

فجواب أسلوب الشرط هنا هو إبعاده ومن آمنوا معه من بلدهم حتى يستريحوا تماماً من عار تعييرهم بأفعالهم الشنعاء .

فالرجم هنا ، وإن كان سيلحق الأذى بالمرجوم مؤقتاً ، لن يوقف سيل اللوم والمعايرة أما نوح فقد كان خطابه لقومه رقيقاً لا عنف فيه ولا لوم ولا تحقير

١- سورة الشعراء من الآية:١١٦

٢- سورة الشعراء الآيات: ١٦٥:١٦٧

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[1].

فكان جزاء الشرط في مقابل هذا الوعظ الهيِّن الليِّن التهديد بالرجم ، والرجم لن يؤدي بالضرورة إلى الموت ، بل قد يكون لمجرد الردع والإيذاء البدني ، أما الإبعاد والنفي فهو قتل محقق وإن كان قتلاً معنوياً ، فضلاً عما فيه من تخلص من أسبابه .

فهذان نموذجان من أسلوب الشرط حين ورد على لسان أمتين من الأمم الظالمة ، وفي النموذجين كان جواب الشرط وجزاؤه التهديد مرة بالرجم ومرة بالنفي .

وقد يلجأ الجبارون الظلمة في استعمالهم لأسلوب الشرط إلى التعجيز. كما ورد على لسان قوم عاد وثمود كما قال تعالى في سورة فصلت ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

فجملة الشرط هاهنا تتكون من (لو + الفعل) في قولهم : (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) والمعروف أن (لو) تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع حدوث الفعل ، والجواب هنا محذوف وقد جاء في الآية ما يدل عليه ودخلت " الفاء

١- سورة الشعراء الآيات: ١٠٦:١١٦

٢- سورة فصلت الآيات:١٣:١٤

" التي تلحق بجواب الشرط ، على ما جاء بديلاً عن الجواب ومترتباً عليه . والتقدير : لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ولو أنزل ملائكة – بدلاً منكم أيها الرسل البشر – لآمنا ، ولأنه لم ينزل ملائكة فإننا كافرون بما تدعوننا إليه . وهنا ملحظ مهم وهو أن القوم استعملوا في خطابهم لفظ (ربنا) فكأنهم موقنون بوجود الله ولكن غرور القوة وجبروت الجاه والمال والسلطة هو الذي دفعهم إلى طريق الشر .

يدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾ [1].﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ...﴾ [2].

رابعاً ، استخدام الأمر ،

من السمات الأسلوبية في خطاب الجبارين ، تفضيلهم لصيغتي الأمر والنهي لما في هاتين الصيغتين من جبروت واستعلاء . فالأمر في أصل دلالته يقصد به طلب فعل الشيء على جهة الاستعلاء ، والنهي يقصد به الكف عن فعل الشيء على جهة الاستعلاء . ولذلك نرى الجبارين يكثرون من استعمالهما وبخاصة حين يضيق الخناق عليهم . ففي سورة يونس نجد فرعون حائراً حاسماً أمام آيات الله المعجزات التي أيد الله تعالى بها نبيه موسى عليه السلام فيلجأ لفعل الأمر موجزاً حاسماً مستعصماً بسلطته وقوته ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [3] والأمر هنا على أصل دلالته فهو يعني الإتيان بالسحرة بالفعل . وكذلك جاء استعمال الأمر على حقيقته على لسان قوم إبراهيم عليه

١- سورة فصلت من الآية:١٥

٢- سورة فصلت من الآية:١٦

٣- سورة يونس الآية:٧٩

السلام حين سفّه أحلامهم وسخر من آلهتهم ، وانهال عليها تحطيماً وإهانة . فلما رأوا ما حلّ بآلهتهم وعرفوا أن الذي فعل ذلك هو إبراهيم ﴿... فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[1] فلما حاوروه فأفحمهم في الحوار وأوقفهم على حقيقة آلهتهم التي لا تنطق ولا تنفع ولا تضر تصاغروا وشعروا بالضعف العقلي وأبى عليهم غرورهم أن يلينوا للحق ، وينصاعوا للدليل ، فلم يجدوا إلا ما يملكون من سطوة القوة ، وغرور السلطة فماذا فعلوا ؟ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2] والأمر هنا على حقيقة دلالته أيضاً ، فقد نفذوه وألقوا به في النار ولكن الله تعالى نجاه بمعجزة خالدة .

ولكن الجبارين قد يستعملون " الأمر " ولا يردون به حقيقة دلالته . فقوم شعيب حين نهاهم نبيهم عن تطفيف الكيل وأمرهم بالعدل في الميزان ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾[3] فاستعمال الأمر هنا (أسقط علينا كسفاً من السماء) لا يقصد به الإتيان بفعل يعلمون سلفاً أنه لا يقدر عليه . وهذا يدل على مدى غلظ قلوبهم وتمكن الجحود والعمى منها .

وكذلك يظهر الأمر الدال على الغرور في سلوك قوم سبأ الذين كفروا بنعمة الله ولم يشكروا له ما أفاء عليهم من نعم الزروع المثمرة والطرق الآمنة ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾[4] فاستعمال الأمر هنا (باعد بين أسفارنا) صادر من

١- سورة الأنبياء من الآية:٦١
٢- سورة الأنبياء الآية:٦٨
٣- سورة الشعراء الآيات:١٨٥:١٨٧
٤- سورة سبأ من الآية:١٩

الأدنى للأعلى فيراد به الدعاء . فلما دعوا على أنفسهم جاءت الاستجابة سريعة معبراً عنها بحرف " الفاء " (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) لتبشيع ظلم الإنسان لنفسه والتنفير منه .

خامساً : استخدام النهي :

والنهي هو الصورة المقابلة للأمر في خطاب الجبارين . ومعناه الأصلي طلب الكف عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام . وقد يتلازمان في لغة الجبارين فكفار مكة حين رأوا تزايد أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم شعروا بالخوف على سلطانهم ومراكزهم فطلبوا من أبتاعهم بصيغة الأمر والنهي ألا يستمعوا للقرآن وأن يعبثوا بالمسلمين حيث يقرأ بعضهم القرآن

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

وكذلك يلجأ أصحاب الجنة الظالمون حين غدوا على جنتهم عازمين أن يحرموا الفقراء ما كان عودهم أبوهم عليه من الصدقة ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] فالنهي هنا على حقيقته وقد ورد مصحوباً بتوكيد الفعل المنفي بالنون زيادة في تأكيد النهي عن الفعل . وقد ورد الخطاب نفسه على لسان قوم نوح عليه السلام حين نهى بعضهم بعضاً عن إتباع نوح وترك آلهتهم كما يظهر في سياق قصتهم في سورة نوح ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

١- سورة فصلت الآية:٢٦

٢- سورة القلم الآيات:٢٣:٢٤

٣- سورة نوح الآيات:٢٢:٢٣

نماذج من ممارسات الجبارين في القرآن الكريم ومضامينها التربوية

السلوك الفردي للجبارين في القرآن الكريم :

(١)قصة النمرود مع سيدنا إبراهيم عليه السلام

ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1].

هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ... ﴾[2]، فجرت آية ذكر النمرود مجرى الحجة على مضمون الجملة التي سبقتها وهي (الله ولي الذين آمنوا..) أو كالمثال لها، فقد ساق الله عز وجل بعدها ثلاثة شواهد على هذا القول وكانت آية النمرود أولها وأجمعها لأنها اشتملت على ضلال الكافر وهدى المؤمن وكان المقصود من هذا التمثيل حال المشركين في مجادلتهم النبي-صلى الله عليه وسلم -في البعث بحال الذي حاجّ إبراهيم في ربه.

والاستدلال في الآية مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال الإلهية لغيره لانفراده عز وجل-بالإحياء والإماتة، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس.

ومعنى قوله (الذي حاجّ إبراهيم في ربه): أنه خاصمه خصاماً باطلاً في شأن صفات الله رب إبراهيم، وهذا الشخص كان كافراً لا محالة لقوله تعالى: (فبُهت الذي

١- سورة البقرة الآية : ٢٥٨

٢- سورة البقرة من الآية : ٢٥٧

كفر) وقد كان ملك جباراً، كان ملكاً في بابل، وأنه الذي بنى مدينة بابل، وبنى الصرح الذي في بابل، واسمه نمرود.[1]

وقد قال النمرود ما قال وأقدم على هذا الغلط العظيم وسَهُل عنده بسبب ازدهائه وإعجابه بنفسه بعد أن فضّل الله عليه بأن آتاه الملك وخوّله ذلك. واحتج إبراهيم عليه بحجة واضحة يدركها كل الناس أن الرب الحق هو الذي يُحيي ويُميت، فلذلك ابتدأ الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات ثم أعقبه بدلالة الإماتة، فإنه لا يستطيع تنهيه حياة الحي إلا الله عز وجل.

فجاء النمرود بمغالطة عن جهلٍ أو غرور في الإحياء والإماتة إذ زعم أنه يعمد إلى من حكم عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله، فكان جواب إبراهيم أن عدل عن الاعتراض بأن هذا ليس من الإحياء المحتجّ به ولا من الإماتة المحتج بها، فأعرض عنه لما علم من مكابرة خصمه وانتقل إلى ما لا يستطيع الخصم انتحاله، ولذلك بُهت، أي عجز ولم يجد معارضة.[2]

وهذا النمرود عدو الله وعدو إبراهيم الذي كذّب بما جاء به من عند الله ولاد على إبراهيم النصيحة جهلاً منه واغتراراً بحلم الله عنه فتمرد على ربه مع إملاء الله إياه، وتركه تعجيل العذاب على كفره به ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان. وكانت نهايته أن عذبه الله سبحانه وتعالى بأضعف خلقه، وذلك بعوضة سلطها عليه توغلت في خياشيمه فمكث أربعمائة سنة يُعذَّب بها في حياته الدنيا.[3]

١- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، جزء ٣ ص ٣١،٣٢.

٢- التحرير والتنوير، جزء ٣، ص ٣٢، ٣٣، مرجع سابق.

٣- ابن جرير الطبري (٣١٠)هـ قصص الأنبياء، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٤م)، ص ١٧٩.

ثم ذكر ابن جرير الطبري روايات عن قصته وحاله وكيف سمع بإبراهيم عليه السلام وأخذ يعاديه والزمن الذي كان فيه النمرود والبلاد التي حكمها وحاله من شدة بطشه وتكبره واغتراره بقوته وسلطته وكيف كان ملكاً جبّاراً ومتكبراً على رعيته.

فالنمرود الجبار والدكتاتور الذي جلس على عرش الأفكار المهترئة وجهل الناس رأى جبروته وعظمته تهتزان.. لأنه كان يتصور نفسه إلهاً وحاماً مطلقاً على حياة وأموال الناس وأن رفاه وأمن وسعادة وتعاسة وأفراح وأتراح وآمال وبأس الناس عُبّاد الأصنام رهنٌ بإرادته وإشارة يده، لم يكن وحده مقصراً إذ عرّف نفسه إلهاً، بل الخطاة هم الناس الذين أضفوا عليه هذه الصفات، ورغم أنه كان بحاجة دائمة إليهم كانوا يدعونه إلهاً، بينما هو لا يعدو أن يكون كأحدهم يتحكم فيهم وبيده موتهم وحياتهم.

كان غارقاً في غروره وعبادة ذاته دون فهم، وكان يصر بكل قوة على أن يدعوه الناس إلهاً فعالاً لما يشاء ويمدحوه ولا يخافوا غيره، ولا يتوجهوا إلا إليه، وكان جهل الناس عاملاً مساعداً في ذلك، وفجأة يظهر من يحطم هذا الحلم ويظهره على واقعه من العجز وقلة الحيلة وعدم الاتصاف بصفات الرب وعدم استحقاق هذا الاسم أيضاً فاهتز النمرود أمام هذه الأجوبة المفحمة وبُهت ورأى كم هي حججه واهية أمام قوة حجّة النبي إبراهيم عليه السلام فخار وانكشف كذبه وزيفه.[1]

*الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجال السلوكي العام والمجال الفني/المهني للمربين :

١. أسلوب ضرب الأمثال منهج تربوي وطريقة للتدريس في تقريب المعاني إلى أذهان الدارسين.

١- د. شريف الرحماني، نفحات أخلاقية وعرفانية في القصص السعادية، (بيروت: دار المحجة البيضاء ١٩٩٢م)، ص ٨٥،٨٦،٨٨.

٢. أن يتعلم الإنسان في حياته اليومية أهمية التواضع وأن يعرف قدره، فلا يزهو بنفسه ولا يستعلي على الخلق لأن هناك من هو أعظم منه وأقوى، وأقدر عليه وقد يسلبه ما آتاه من النعم.

٣. شكر النعمة من الأسباب الموجبة لدوامها وكفرانها من الأسباب المؤدية إلى زوالها فالمسلم يشكر الله دائماً على نعمه.

٤. أن العظمة والقوة والجبروت هي من صفات الله عز وجل وليست لأحد من خلقه فلا يجوز للإنسان أن ينازع الله في صفاته، ومن فعل ذلك فإن الله معذبه لا محالة كما كان حال الأمم السابقة.

٥. أن التعلم يحتاج إلى صبر ومصابرة والاتيان على النفس مع ما يكون فيه من مشقة وجهد شديد حتى يحصل الإنسان العلم.

٦. احترام التخصصات من قبل المعلم ومراعاة القدرات عند الطالب واختيار المال الذي ينفع الطالب من أهم الأسباب التي تؤدي إلى نجاح العملية التعليمية وحصول الفائدة واستخدام الأدلة والبراهين المفحمة للخصم وتدريب المعلم على أسلوب الإقناع والحوار البنّاء

** ** **

(٢)قصة ابني آدم عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في سورة المائدة في قوله :

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[١]

هذه القصة في هذه الآيات من سورة المائدة وقعت موقع التسلية والتخفيف للمسلمين في أن كل من خصه الله تعالى بالنعم العظيمة في الدين والدنيا فإن الناس ينازعونه حسداً وبغياً فلتضيف هذه الأحوال على القلب ذكر هذه القصة وغيرها من القصص في السورة الكريمة.

فذكر هذه القصة عن ابني آدم وأن أحدهما قتل الآخر حسداً منه على أن الله تعالى قبل قربانه، فدلت الآيات على أن كل ذي نعمة محسود.

والقصة أن ابني آدم قابيل وهابيل وقعت بينهما منازعة وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب زرع، فقرب كل واحد منهما قرباناً، فطلب هابيل أحسن شاة كانت في غنمه وجعلها قرباناً، وطلب قابيل شر حنطة في زرعه فجعلها قرباناً ثم تقرب كل واحد منهما بقربانه إلى الله تعالى فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ولم تحتمل

١- سورة المائدة الآيات:٢٧:٣١

قربان قابيل فعلم قابيل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

وفي رواية أنهما تنازعا على الزواج من أختيهما فطلب منهما آدم أن يقربا قرباناً فتقبل الله قربان هابيل فقتله قابيل حسداً له، لكن القول الأول هو المختار من عامة أصحاب الأخبار.

وسبب قبول أحد القربانين ورد الآخر أن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال فقد قال الله تعالى في حكاية القصة: (إنما يتقبّل الله من المتقين)، وبعد أن أراد قابيل قتل هابيل وغلب على ظن هابيل هذا الأمر، قال له: إنك إذا قتلتني فإني لم أكن لأقتلك، وإذا فعلت أريد أن تبوء بعقوبة قتلي، لأنه يجوز للمظلوم أن يريد من الله عقاب ظالمه. فسهلت له نفسه قتل أخيه، فكأن النفس جعلت بوساوسها العجيبة هذا الفعل كالسهل عليه وروي أن قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل، فظهر له إبليس وأخذ طيراً وضرب رأسه بحجر فتعلم قابيل ذلك منه، ثم إنه وجد هابيل نائماً يوماً فضرب رأسه بحجر فمات، فخسر دنياه وآخرته.

وبعد قتله لم يدر ماذا يفعل به فبعث الله له معلماً يدله كيف يفعل بأن أرسل له طيرين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة، فتعلم قابيل ذلك من الغراب. وبعدها تحسّر وتلهف واعترف على نفسه باستحقاق العذاب وبعجزه عن إكرام أخيه بعد موته بأن يدفنه كما فعل الغراب فصار بعدها من النادمين على قتل أخيه لأنه لم ينتفع بقتله وسخط عليه بسببه أبواه وإخوته، وبسبب فعلته هذه كتب الله عز وجل على بني إسرائيل القصّاص.[1]

١- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، جزء ٤ ، ص ص ٣٣٦-٣٤٢.

وكان هابيل صاحب حلم، يصبر على أخيه قابيل في جنونه وثورته. وكان هابيل قوي يقدر أن يقتل قابيل ويستطيع أن يبطش به لكنه يخاف الله في أخيه، ويتوعده إن أقدم على قتله أن يتحمل ذنوباً لا طاقة له في حملها، وفي غضب الله عليه وأن جاءه على فعلته إن فعلها النار ومع كل ذلك وكل هذا التحذير الأخوي يُقدم قابيل على قتله ثم بعد أن ؟؟؟؟ من سيطرة الشيطان يبكي ندماً وحسرة على فعلته بأخيه.[1]

فقد جاءت هذه القصة لتبين صدق وإخلاص طرف، وسوء نية وعدم تقوى الطرف الآخر وكيف كان الحسد والبغض سبباً في قتل أحد الأخوين الآخر. بعد ما قدمه هابيل من وعظ لأخيه وتطهير لقلبه وتذكير له بما تقتضيه الأخوة من التسامح والبر والتحذير له من مصير القاتل، ومع ذلك لم يستمع له وارتكب جريمته البشعة وسولت له نفسه هذا الفعل وزينته له حتى أقدم عليه دون تردد، فجاء بعدها الحسرة والندامة بعد أن أعطاه الله درساً وشبه حاله بحال الغراب الذي قتل أخاه فأصبح من النادمين المتحسرين المتأسفين على قتله ظلماً وحسداً.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجال السلوكي والفني :

١. أن تقوى الله تعالى والإخلاص له في القول والعمل أساس لقبول ما يصدر عن الإنسان من تصرفات وأفعال.

٢. أن الناس في كل زمان ومكان فيهم الأخيار وفيهم الأشرار، فعلى المرء أن يتبع طريق الخير وأهله ويبتعد عن طريق الشر وأهله وينصحهم ويعظهم بالكلمة الطيبة وبالقدوة الحسنة وإلا فليهجرهم ولا يصاحبهم.

١- محمود زهران ، قصص من القرآن الكريم ، (القاهرة: مكتبة غريب)، ص ص ١٠-١٤.

٢- د. محمد سيد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم، (مصر: دار المعارف، ١٩٩٥م) ص ص ٤٧-٥٢.

٣. أن الحسد من الرذائل التي إذا تمكنت في النفس أوردتها المهالك، وزينت لها الظلم والبغي والجور.

٤. أن صاحب النعمة عليه المداومة على شكر الله عليها والاستعانة به على دوامها ورد كيد الحاسدين عنه في إرجاع هذه النعمة لله وأنه لا حول له ولا قوة في تحصيلها وأن صاحب النعمة دائماً محسود.

٥. أن ندم الإنسان عما بدر منه من أخطاء لا يعفيه من العقوبة لكنه قد يكون سبباً في تخفيفها عنه إذا كان صادقاً في رجوعه وتوبته.

٦. أن الإنسان قد يفعل الفعل فيكون سبباً في غضب الله فيعاقب الناس عقوبة جماعية ويشدد عليهم بسبب فعله فيكون عليه وزر الناس جميعاً.

٧. أن الإنسان قد يتعلم ممن هو أدنى منه في القدر والمنزلة والعلم لأن الله قد يجري العلم والحكمة على أضعف خلقه.

٨. أن التعلم العملي والميداني أبقى للأثر وأشد ترسيخاً في النفس من التعلم النظري القائم على التلقين.

٩. أن للإنسان كرامة ينبغي المحافظة عليها فالدفن من أنواع التكريم له حتى لا يتغير ويسوء منظره أمام الناس.

** ** **

(٢)قصة موسى مع فرعون وأعوانه

ذكرها الله سبحانه وتعالى في سبعة عشر موضعاً في القرآن الكريم ولكني أتعرض هنا بالدراسة لموضوعين. الأول من سورة الشعراء من الآية (١٠) إلى الآية (٦٨) والتي قال الله تعالى فيها:

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1]

والموضع الثاني في سورة غافر من الآية (٢٣) إلى الآية (٤٦)، والتي ذكر الله فيها حال فرعون مع أعوانه وأشهرهم هامان وذكر فيها قصة مؤمن آل فرعون وتبدأ الآيات بقوله تعالى: ﴿ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ .... ﴾[2].

ففي سورة الشعراء افتتح الله عز وجل الآيات بتذكير النبي عليه الصلاة والسلام بقصة موسى، وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش لتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم بأن سيدنا موسى قد كُذّب من قبل وهذه حكايته مع قومه، وقد أمر الله عز وجل سيدنا موسى بدعوة قومه إلى التقوى مع أنه تعالى نفى التقوى عنهم، وكان رد سيدنا موسى عليه السلام ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾[3] لعظم قوة فرعون وتألهه وطول مدته وما أُشربت القلوب من مهابته، وكان سيدنا موسى قد خُلق عليه حِدَّة وكانت في لسانه حَبْسة بسبب الجمرة في طفولته، وكان هارون وزيراً فصيحاً واسع الصدر، ثم ذكر موسى خوف القبط من أجل ذنبه وهو قتله الرجل الذي وكزهُ، فجاء الرد الإلهي أن لا تخف ذلك لأني لم أُحمّلك ما حُمِّلت إلا وقد قضيت بظهورك ونصرك، وكان أمر هارون بأمر موسى لأن هارون ليس بمكلَّم، ولكن قال لموسى (اذهبا) أي أنت وأخوك.

١- سورة الشعراء الآيات :١٠:١١

٢- سورة غافر الآيات :٢٣:٢٤

٣- سورة الشعراء من الآية :١١

والآيات التي أعطاها الله له هي كل الآيات وأعظمها العصى الذي وقع بها العجز واليد البيضاء، وكان أن طمأنه الله عز وجل أنه تعالى مستمع معه، على نحو التعظيم والجبروت لله تعالى (مستمعون) وكان القصد منه إظهار التهمُّم ليعظم أمن موسى عليه السلام، أو تكون الملائكة بأمر الله لها مستمعة.

وكان موسى عليه السلام مبعوثاً إلى فرعون بأمرين: الأول: أن يرسل بني إسرائيل ويزيل عنهم ذلّ العبودية والغلبة، والثاني: أن يؤمن فرعون ويهتدي.

فجاء رد فرعون عليه على جهة المنّ والاحتقار أننا ربيناك صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلنا فمتى كان هذا الذي تدعيه؟ وأنك قتلت القبطي وأنت في قتلك إياه من الكافرين إذ هو نفس ولا يحل قتله، فكان رد موسى أنني فعلت ذلك وأنا جاهل بأن وكزتي إياه تأتي على نفسه وأن الله بعد ذلك آتاني النبوة وحكمها، ثم حاجّه عليه السلام في منّه عليه بالتربية وترك القتل في أنها ليست نعمة في مقابل ما فعلت في بني إسرائيل من الظلم والقتل.

ولما لم يُجْدِ فرعون-لعنه الله-هذا الطريق من تقريره على التربية رجع إلى معارضة موسى عليه السلام في استفهامه عن رب العالمين استفهاماً عن مجهول من الأشياء فأجابه موسى عليه السلام بالصفات التي يتبين السامع منها أنه لا مشاركة لفرعون فيها وأنها ربوبية السموات والأرض وهذه المجادلة من فرعون تدل على أن موسى دعاه إلى التوحيد، ثم زاد موسى في بيان الصفات التي تُظهر نقص فرعون، وتبين أنه في غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون إلا ملك مصر فقط.

فلما انقطع فرعون-لعنه الله-في باب الحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعّد موسى عليه السلام بالسجن وهذا فيه ضعفه لأنه حارب طباعه معه وروي أن سجنه كان أشد من القتل، إذ كان في مطبق من الأرض لا ينطلق منه أبداً وكان مخوفاً.

وكان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى ما لا يردعه توعد فرعون فقال علي جمعة "التلطف مع فرعون والطمع في أن يأتيه بشيء بيِّن على صدقه، وهي معجزة العصا واليد البيضاء، فلما رأى فرعون ذلك هاله، ولم يكن له مدفع غير أنه فزع إلى رميه بالسحر وطمع بمعارضته لعلو علم السحر في ذلك الوقت، فقال للملأ حوله إنه يريد إخراجكم من الأرض فأشاروا إليه في جمع السحرة لمقاومته في يوم الزينة الذي يجتمع فيه الناس، فطلب السحرة من فرعون القرب منه والأجر في حال ظهورهم، وكان أن طلب موسى إليهم إلا يلقوا أولاً، فألقوها وأقسموا بعزة فرعون إنهم سيغلبون، فجاء الرد الإلهي على سحرهم بعد أن ألقى موسى عصاه أنها أكلت حبالهم وعصيهم، وعندما رأى السحرة أن هذه العصا خالية من السحر ورأوا فيها قوة الله أذعنوا وآمنوا فسجدوا لله تعالى مقرين بالوحدانية فعندما رأى فرعون أن أهل علمه قامت الحجة فيهم على صدق موسى عليه السلام بإيمانهم قال لهم موبّخاً على إيمانهم بموسى دون إذنه وأنه هو الذي علمهم السحر وتوعدهم بالعذاب فما كان منهم إلا أن صبروا واحتسبوا بأن مرجعهم إلى الله فيجازيهم على إيمانهم بالجنة وغفران الذنوب.

ثم أراد الله إظهار أمر موسى بنجاة بني إسرائيل وغرق فرعون فأمر موسى بالخروج ببني إسرائيل من مصر عن طريق البحر وأن فرعون سيتبعهم هو وجنوده فيكون هلاكه بالغرق في البحر، وكانت سنّة الله تعالى في أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فلم يستمتعوا بالمال والجنات وإنما كانت غنيمة لبني إسرائيل بسبب إيمانهم.

ثم ظهر لبني إسرائيل معجزة أخرى وهي فلق البحر بالعصا لما عَظُم عليهم لحاق فرعون بهم حتى كاد يدركهم، ومشوا على اليابسة التي كان البحر قد كشف عنها عند الفلق

وبعد أن جاوزوه تبعهم فرعون فأمر الله البحر بالعودة كما كان فغرق فرعون ومن معه وكان آية لمن بعده في معاداته وتجبره على الله.(1)

أما عن الموضع الثاني الذي في سورة غافر وما كان من حال فرعون مع أعوانه – قارون وهامان-وقصة المؤمن الذي دعا قوم فرعون إلى الإيمان فسأتعرض لها هذه القصة في عنوان خاص لاحقاً-إن شاء الله-.

وكان مناسبة القصة أنه تعالى لما ذكر ما حل بالكفار من العذاب والدمار، أردفه بذكر قصة موسى مع فرعون تسلية للنبي-صلى الله عليه وسلم –عما يلقاه من الأذى والتكذيب وبياناً لسنة الله تعالى في إهلاك الظالمين.

وأنه تعالى أرسل موسى إلى فرعون الطاغية الجبار ووزيره هامان وقارون صاحب الكنوز والأموال بالآيات البينات والمعجزات وهي معجزة العصا وا ليد، وحض الله تعالى هامان وقارون بالذكر من بين أعوان فرعون لمكانتهما في الكفر ولأنهما أشهر أتباعه وأنه لما جاءه موسى بالآيات كذّبه واتهم بالسحر وعذّب من آمن معه من بني إسرائيل بقتل الأولاد واستحياء النساء ليردهم عن دينهم، وأنه أراد أن يقتل موسى عليه السلام واستهزأ به أنه إن كان رسولاً فلينادي ربَه ليخلصه مني ليهون أمره أمام الناس وليبين أنه لا قدرة له فكيف هو نبي؟ وادعى أنه يريد حمايتهم من الكفران بدينهم ومن أن يفسد في الأرض بإثارة الفتن وتشريد الناس، فما كان من موسى عليه السلام إلا أن دعا ربه بالاستجارة من كيد فرعون لأنه جبار ولا يقدر على جبروته إلا الله تعالى الذي له الجبروت الحق.

ثم لما قام مؤمن آل فرعون بدعوة قومه إلى الإيمان ما كان من فرعون إلا أن طلب من وزيره على الشر والكفر هامان ببناء قصر ليبلغ ذاك الإله ليبين للناس كذب هؤلاء

١- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦)هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (الدوحة وزارة الأوقاف القطرية، ١٩٨٥م)، جزء ١١، ص ص ٩٣-١١٧.

الدعاة ليصدهم من الإيمان، إذ أنه خاف أن يتمكن كلام المؤمن من قلوب القوم. فما كان إلا أن أبطل الله عز وجل دعوى فرعون وأهلكه هو وأتباعه وأدخل هذا المؤمن الجنة.[1]

ففي عصر فرعون موسى كان بناء الشذوذ والإغراق قد اكتمل، فقد علا فرعون في الأرض وتفوق فيها ببسط السلطة على الناس وإنفاذ القدرة فيهم، وجعل أهلها شيعاً ورفع لافتة الحق الإلهي، وقد أسرف وتجاوز الحد في الظلم والتعذيب، وأنه طغى وأضل قومه وكان بعد إعلانه لنفسه إله هو المصدر الوحيد للتشريع في الأرض فبعث الله له موسى ليبين للناس كذبه وزوره وبهتانه.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

1. الوعظ والنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأولئك الذين ضلوا عن الطريق من أجل هدايتهم وإنقاذهم من العذاب.
2. تأثير البيئة المحيطة بالشخص وتشجيعها له في الطغيان والضلال سبب رئيسي في بقاءه على الخطأ والزلل وعدم التوبة والعودة.
3. استخدام الأدلة والبراهين والآيات من أجل دعوة الخصم إلى الإيمان والخضوع وهي من الأساليب التربوية النافعة للطالب في إظهار الدليل على القول.
4. الصبر على الخصم واستخدام المنطق في المجادلة والأدلة القاطعة التي لا يجد الخصم له منها منفذ أو انتقاد.
5. موافقة السلوك مع ما يدعو إليه أدعى إلى قبول الطرف الآخر للعلم والدعوة وثباتها في نفسه.

١- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار الصابوني، ١٩٩٧م)، جزء ٣، ص ص ٩١-٩٦.
٢- سعيد أيوب، سعيد أيوب، الانحرافات الكبرى ، القرى الظالمة في القرآن الكريم، (بيروت: دار الهادي ١٩٩٢م) ص ١٩٣-١٩٤.

٦. القوة البشرية المادية ليس بشيء أمام قوة الله عز وجل وجبروته وعظمته فهو قادر على كل شيء ويستطيع تغيير الأمور بقول "كن".

٧. أهمية التنوع في الأمثلة والتعدد ففي الأدلة لإثبات الشيء مما يؤدي إلى إيصال المعلومة إلى الطالب بسرعة وإدراكه لها ورسوخها.

٨. الأخذ بالأسباب مع الإيمان بقوة الله وقدرته على فعل أي شيء.

** ** **

(٤)قصة ابن نوح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في سورة هود في الآيات التالية في قوله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾[1] .

فأنه تعالى ذكر حال قوم نوح معه وما كان من تكذيبهم وانتهاء الحال بهم إلى العذاب بالغرق ونجاة نوح وأهله المؤمنين مع زوجين من كل نوع من أنواع الحيوانات، وما

١- سورة هود الآيات:٤٢:٤٧

كان من عظم الموج الذي تسير فيه السفينة حتى وصفه تعالى بأنه كالجبال، ورأى نوح أن ابنه ليس ممن ركب السفينة فناداه ليركب حتى ينجو وفي هذا النداء تضمين بالدعوة له بالإيمان بالله لأنه كان لا يزال على دين القوم ففي النداء دعوة للإسلام والنجاة وترك الكفر، فكان ردهُ أنه سيحتمي من هذا الفيضان بالجبل، لكن نوح عليه السلام كان موقناً أن الله لن ينجي إلا من ركب معه في السفينة، وهو في أثناء ذلك حال الموج بين الأب والابن فغرق الابن بعد أن ظن بجهله أن هذا الطوفان لن يبلغ رؤوس الجبال وتحركت شفقة الأب وطلب من ربه نجاة ابنه وإنفاذه وعده إياه بنجاة أهله وأن ابنه هذا من أهله، فجاء الرد الإلهي أن هذا ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم، لأن الوعد كان بنجاة من آمن منهم، وكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه، وكان التعليل لانتفاء كونه من أهله أنه عمل غير صالح وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب. ونهاه الله عز وجل عن السؤال الذي لا يجوز له أن يسأله فتاب إلى الله واستغفر واستجار به تأدباً واتعاظاً.[1]

وكانت هذه المشاهد وهذا النداء من نوح عليه السلام ورفع صوته بالاستغاثة من المضطر الذي اشتد به الضر وهاج به الوجد على ابنه. ولم يكن سؤاله لربه على وجه التضرع وإنما الاستفسار عن حقيقة الأمر. وكان الموج يضرب بكل عنف وأن الماء أطبق جميع الأرض وارتفع على رؤوس الجبال، وأنه أدرك نوح في النهاية أن عناية الله حالت بينه وبين الهلكة فشكر ربه واستعاذ بمغفرته ورحمته.[2]

١- سعيد حوى، الأساس في التفسير، (القاهرة: دار السلام ، ١٩٨٥م). جزء ٥ ، ص ٢٥٥٧،٢٥٥٨.
٢- الانحرافات الكبرى، ص ٥٦،٥٧، مرجع سابق.

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني،-

١. أن العقيدة هي الرابط الأساسي بين البشر فأخوة وأبوة الإيمان أعظم من أي نسب أو سبب.
٢. تأثير البيئة المحيطة في إيمان المرء أو كفره فالأصحاب والعشيرة والأهل والتربية لها أكبر الأثر في استقامة الإنسان أو انحرافه.
٣. الأخذ بالأسباب عاملٌ أساسي للنجاة، لكن تبقى قدرة الله وقوته فوق كل شيء فهو يقول للشيء كن فيكون.
٤. تأثير الأم في التربية على نشأة الأبناء فقد كانت زوجة نوح عليه السلام كافرة مما سبب في كفر ابنها.
٥. هذه القصة عزاء لمن يفسد أبناؤه ويبتعد عن طريق الحق، مع كون أباه من الصالحين كما هو حال الإمام مالك رحمه الله مع ابنه.
٦. حسن الأدب مع الله عز وجل في الخطاب ونسب النقص إلى النفس، وفي هذا سلوك تربوي جيد ليحسّن الطالب أدبه في خطاب معلمه داخل الصف.
٧. مراعاة الفروق الفردية في العملية التعليمية فقد يستوعب بعض الطلاب الأمور والعلم بسرعة بينما يعسر على آخرين فعلى المعلم مراعاة ذلك واتباع الأسلوب المناسب لهم

** ** **

(٥)قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف

ذكرها الله عزوجل في الآيات من سورة الكهف من الآية (٣٢) إلى الآية (٤٤) والتي قال فيها تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ... ﴾[1] .

يقول الله تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم ولهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين، أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، وفيهما الأنهار متفرقة هنا وهناك، فقال صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس أنا أكثر خدماً وحشماً وولداً.

وعندما دخل جنته بكفره وتمرده وتجبره وإنكاره للمعاد قال إنها لن تبيد اغتراراً منه لما رأى فيها الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة. وادعائه أنه عند المعاد إن كان هناك رجعة ليكون له أحسن من هذا الحظ وأن الله أعطاه هذا في الحياة الدنيا لكرامته عنده.

فأجابه صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار وأنكر عليه ما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل سلالته من ماء مهين، ثم صار رجلاً قوياً، ولا أقول بمقالتك الكافرة بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية، وحثه على شكر نعمة الله عليه وحمده إذا دخل جنته وأعجب بما

١- سورة الكهف الآيات :٣٢-٣٣.

فيها وما أعطاه الله له من المال والولد، وأنه المؤمن آثر الآخرة وطلبها على الدنيا ودعا على جنته التي ظن الكافر أنها لن تبيد ولن تفنى بالبوار فاستجاب الله له ووقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن فصفق كفيه متأسفاً متندماً، وكانت الولاية والقوة لله الواحد الأحد.[1]

وقصة صاحب الجنتين تدور حول تصحيح العقيدة، وهي قصة حدثت وتكررت على مستوى الفرد والدولة والجماعة ، تصور حالة من حالات الغرور والطغيان تحدث عند البعض نتيجة تملك عَرَض من أعراض الدنيا الفانية، مال أو جاه أو سلطان، مما يجعله ينسى نفسه وأن المرجع والمآب إلى الله، وقد تدفعه هذه الحالة إلى التطاول على المؤمنين وتنقصهم واتهامهم بأنهم لم يحسنوا التعامل مع الدنيا، ولم يفهموها على حقيقتها.

وفي مواجهة هذا الصنف، يعتز المؤمن بإيمانه، فلا ينخدع بظل زائف وزخارف ونقوش سرعان ما تنتهي، فقد علم من خلقه ولماذا خلقه وإلى أين المصير؟ لذلك هو يواجه صاحبه المبطل الذي أعمته الدنيا عن الدين.

فالنعمة تستوجب الشكر لا الجحود والكفر ومن جهل ذلك اليوم فغداً لا محالة سينجلي وينكشف الأمر له، والخوف كله من أن يضرب الإنسان كف نادم بعد فوات الأوان، فالقصة تعرض سنة من سنن الله الماضية في خلقه، وهي سنّة التدافع بين الإيمان والكفر والحق والباطل وفي ثنايا ذلك تأتي المشاهد المتقابلة، مشهد النماء والازدهار المتمثل في الجنتين، إلى مشهد الدمار والبوار ومشهد البطر والاستكبار المتمثل في صاحب الجنتين المشرك إلى مشهد الندم بعد فوات الأوان.

فسورة الكهف من السور المكية التي جاءت لتثبيت العقيدة وتثبيت فؤاد النبي عليه السلام وأصحابه للثبات والاستمرار فجاءت تؤدي الغرض، فإن كان كفار مكة قد

١- ابن كثير الدمشقي (٧٧٤)هـ، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار الخير، ١٩٩٠م) جزء ٣ ، ص ص ٩٣ ـ ٩٥

افتخروا بأموالهم وأشياعهم على فقراء المسلمين، فهذا من الجهل بمكان وهو لا يستوجب الافتخار لاحتمال أن تنقلب الحال وإنما الفخر الحقيقي هو بالإيمان.[1]

ويعرض الله سبحانه وتعالى في هذا النص قصة حوار ديني جرى بين رجلين جمعت بينهما صحبة، وكان الحوار حول قضيتين:

الأولى . قضية الإيمان بالله الخالق الرب الذي لا شريك له في ربوبيته، فلا شريك له في إلهيته

والثانية . قضية الإيمان باليوم الآخر الذي يحاسب الله تعالى الناس على ما قدموا وأخروا في رحلة الحياة الدنيا ثم يجازيهم في جنات النعيم أو في النار بعذاب أليم.

وكان أحد الرجلين كافر بهاتين القضيتين بتأثير الغرور بزينة الحياة الدنيا وفتنتها. فهو ذا إثراء وسعةٍ من العيش وزينة من الحياة الدنيا وذو قوة بأنصاره من أولاده وغيرهم ولقد أنساه ما هو فيه من نعمة أن الله عز وجل هو الذي آتاه هذا.

أما الآخر فكان رجل مؤمن داعية إلى دين الله حريص على هداية الضالين وإرشادهم إلى الله إلا أنه لم يؤت سعة من المال ولا كثرة من الأولاد والأنصار فجاءت معاقبة الله لهذا المغرور وتأديبه ليرده إلى صوابه ويوقظه من غفوته ويقدم ما يقنعه بالجزاء المؤجل يوم الدين فأتلف جنته ولم يكن له فئة من دون الله ينصرونه فيحمون جنته من الإتلاف وما كان هو بقوته منتصراً على مقادير الله العقابية، فندم وقلّب كفيه على فقد جنته فاتعظ بما جرى له فصار يقول مكرراً يا ليتني لم أشرك بربي أحداً.[2]

١- د. سعيد عبد العظيم، قصص القرآن عظات وعبر، (الإسكندرية: دار العقيدة للتراث، ٢٠٠١م)، ص ص ٥٩-٦١.
٢- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٦م)، ص ص ٤٩٠-٥٠٤.

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١. ضرب الأمثال وتشبيه حال بحال من الأساليب التربوية الجيدة لإيصال المعلومة بسرعة إلى ذهن الطالب فكأنها شيء واقع أمامه.
٢. النصح والإرشاد للصاحب من الصفات الطيبة في الإنسان فعلى المسلم أن يحرص على نصح صاحبه وإنقاذه من الشر.
٣. أن النعم تحتاج إلى شكر لتدوم وتبقى وأن خير المال المال الحلال في يد الرجل الصالح ينفق منه في سبيل الله، وأن الإنسان لا يُعيَّر بفقره لأن هذا رزق الله.
٤. فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر والجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من ملذات الدنيا وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات.
٥. السعي إلى تحصيل خير الآخرة والحرص عليها أكثر من الدنيا وحسن الظن بالله.
٦. أن قوة الله لا حدود لها فقد تدمِّر أي شيء بأمر "كن".
٧. الندم لا ينفع حيث لا مناص من أمر الله تعالى وعندما يقع القدر.
٨. أهمية النظام في حياة المتعلم، كما كانت الجنتان منظمتين أحسن نظام.
٩. الاهتمام بالنواحي الجمالية في فناء المدرسة كالتشجير ونباتات الزينة مما يشجع على الدراسة.

** ** **

(٦)قصة قارون صاحب فرعون

ذكرها الله عز وجل في سورة القصص في الآيات من (٧٦) إلى (٨٢) والتي قال الله سبحانه فيها:﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ..... ﴾[1] .

كان قارون-لعنه الله-من بني إسرائيل واختلف في قرابته من موسى عليه السلام وأكثر الروايات على أنه ابن عم موسى، فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم وعد من تكبره أنه زاد في ثيابه شبراً أو ظلمهم وطلب ما ليس حقه وأن الله تعالى أعطاه من الأموال المدخرة ما كانت مفاتيح صناديقه تثقل حتى تميل الجماعة الكثيرة، ثم إن قومه وعظه بعد الفرح والبطر بالدنيا نتيجة حبها والرضا بها، وأن يقصد من هذه الكنوز والغنى الدار الآخرة وثوابها بصرفها إلى ما يكون وسيلة إلى الآخرة، مع عدم نسيانك حظك من الدنيا وأحسن إلى عباد الله كمثل إحسان الله إليك بأن آتاك كل هذه النعم وأن يترك الفساد في الأرض والظلم والجور.

فكان رده عل من نصحه في أن ما هو فيه من النعم والأموال والذخائر كانت من الله من غير سبب واستحقاق من قبله بأن قال: أن ما أوتيته كان لي من الله لعلم مختص بي دونكم فرد الله عليه تنبيه على خطئه في اغتراره وعلمه أنه ليس من عنده وإنما كان من عند الله تعالى وأنه تعالى كان قادراً على إهلاكه كما أهلك من هم من قبله ممن كان أكثر منه قوة معنوية وحسية وأكثر مالاً ونفراً حتى لا يغتر بما اغتر به.

١- سورة القصص الأيات :٧٦:٧٧

وفي يوم خرج على قومه في زينته وحشمه فقال جماعة من ضعيفي الإيمان جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار أنه ليت لنا مثل ما له من المال إنه ذو حظ وبخت وسعد في الدنيا. فرد عليهم من كان ذا علم بأحوال الدنيا والآخرة بأن ثواب الله خير من مال هذا المغرور المتجبر وأن الله سيجزي الصابرين على الطاعات وعن المعاصي والشهوات

ثم جاء الجزاء الإلهي لهذا المغرور أن خسف الله به وبداره وبماله الأرض وأنه يتجلجل في الأرض لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. فلم تكن له جماعة يدفعون عنه عذاب الله وما كان هو قادر على دفع هذا العذاب عنه.

وبعد ذلك أدرك الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون بأن الله عز وجل له الحكمة في إيتاء من يشاء المال وفي حرمان من يشاء لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يوجب التضييق وإنما هو حكمة إلهية. وأن الله منّ على هؤلاء بأنه لم يعذبهم كما عذّب قارون بالخسف بل تجاوز عن تقصيرنا في تمنينا مثل ما أعطى قارون.

وجاء في النهاية التقرير الإلهي أن أجر الآخرة وثوابها لا يكون إلا للذين لا يريدون العلو والفساد في الأرض والذين لا يريدون الكفر والاستكبار وأن خير الجزاء والعاقبة يكون للمؤمنين المتقين.[1]

وقارون هذا اختاره فرعون لأنه بغى على الناس كلها وخاصة على بني إسرائيل، لقد كان مكلفاً بجباية الضرائب، وتوفير الأموال التي يطلبها فرعون مما صار قارون بذلك أغنى الناس ولكثرة أمواله هذه كان يمتلك عربات مرصعة بالبرونز والنحاس ومطعمة بالذهب والفضة التي إذا ركبها ومشى في زينته تحت أشعة الشمس توهج كالذهب وأنه أراد أن

١- محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠)م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، (بيروت دار إحياء التراث العربي)، جزء ١٩-٢٠، ص ص ١١٠-١٢٥.

يؤلب بني إسرائيل على موسى بأن يغريهم بالمال والذهب فرد عليه العقلاء منهم أن ثواب الله خير مما هو فيه من المال والثراء.

وكان هذا انحراف عن جادة الصواب بل عن الإيمان بالله إذ اغتر قارون بما له وذهبه وأنه من فعل مثل هذا الفعل كان له مثل مصير قارون، وما أن خرج قارون بذهبه وحشمه وخدمه إذ بالأرض تهتز وتتزلزل فتبتلع القصر ومن فيه خلال لحظة، وكان لهذا الخسف أبلغ الأثر في النفوس، فأدرك قومه أن هذه عاقبة الكبرياء والاستبداد وهي عاقبة المؤامرات على الأنبياء للنيل منهم.[1]

والمال نعمة كبرى من نعم الله تعالى ينعم به على بعض عباده فمنهم من يشكرها ويؤدي حق الله فيها ومنهم من يتخذها سلاحاً يهدد به الفقراء ويتعالى به على المساكين ويدعي أن هذا حصّله بجهده وليس لله عليه فيه فضل.

وهذا ما كان من قارون ولما خسف الله الأرض به حمد المؤمنون الله على العافية وعرف الذين تمنوا مكانه بالأمس خطأهم فتابوا واستغفروا الله، فكان قارون عبرة لكل مغرور متجبر معجب بماله وسلطانه.[2]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:

١. أن النعم تحتاج إلى شكر ليديمها الله عز وجل وأن عدم شكرها وكفرانها سبب في زوال النعمة.

٢. أن العزة والكبرياء لله فمن نازع الله عز وجل في الكبرياء قصمه الله وعذبه كما عذّب قارون.

١- سميح عاطف الزين، قصص الأنبياء في القرآن الكريم، ط٥ ، (الدار الأفريقية العربية، ١٩٩٧م)، ص ص ٤٢٨-٤٣٢.

٢- د. محمد السيد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٤م)، ص ص ١٢٧-١٣٠.

٣. أن النصيحة للإنسان واجب على كل مسلم، فعلى المسلم أن يسعى إلى نصح أخيه المسلم بما ينفعه في حياته وآخرته.

٤. عدم الاغترار بالمظاهر وعدم السعي إلى تحصيل الدنيا ونسيان الآخرة بل على الإنسان أن يسعى أولاً إلى تحصيل خير الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا وأن يستخدم المال كوسيلة للتوصل إلى طاعة الله ورضاه والفوز بجنانه.

٥. أن يسعى المسلم إلى تحصيل الرزق الصالح في الدنيا والتمتع به بما يرضي الله تعالى لأن الله خلق هذه النعم للمؤمنين ليتمتعوا بها في الدنيا بما يرضيه.

٦. الطبيعة الإنسانية متنوعة وعلى المعلم أن يراعي ذوي الاحتياجات الخاصة والضعاف، فهم يحتاجون إلى رعاية تعليمية ونفسية خاصة بهم.

٧. مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين كما راعى القرآن الكريم الفروق بين الناس في الإيمان.

٨. التفكر في حكمة الله في خلقه من الإنعام على بعضهم بالمال الكثير وعدم إعطاء الآخرين وهذا يكون في مصلحتهم فعلى المسلم أن يسأل الله الرزق ولا يعترض على قضائه

السلوك الجماعي للجبارين في القرآن الكريم

(١)قصة قوم نوح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في أحد عشر موضعاً ولكني سأتعرض هنا - فقط - لما ورد في سورة هود في الآيات من (٢٥) إلى (٤٨) التي قال فيها الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ... ﴾[1]

وأتعرض بشكل سريع إلى الموضع في سورة الأعراف في الآيات من (٥٩) إلى (٦٤) في قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ... ﴾[2]

بعد أن ختم الله عز وجل بالحث على التذكير في قصة سيدنا موسى عطف عليه ذكر نبأ غيره من الرسل تثبيتاً و تسلية وتأييداً وتعزية للنبي عليه الصلاة والسلام لئلا يضيق صدره بشيء مما أمر بإبلاغه حرصاً على إيمان أحد ولو كان أقرب الناس إليه لأن نوح أُرسل إلى قومه وكان حريص على إيمانهم وإنذارهم عذاب الله تعالى إذا عبدوا غير الله. فما كان من رؤساء القوم إلا أن صدوه وقالوا إنما أنت بشر آدمي مثلنا فكيف تدعي النبوة وأن الذين اتبعوك هم أدنى الناس عندنا كالحائل، وكان اتّباعهم لك بديهة من غير تأمل، وهذا لا يدل على سداد للشيء الذي اتبعوه لسببين : الأول: رذالتهم في أنفسهم. والثاني: أنهم لم يفكروا فيه. وأنه لا فضل لكم في مال وعز علينا مما يدل على كذبكم.

١- سورة هود الآيات :٢٥-٢٦

٢- سورة الأعراف الآية:٥٩

ثم بدأ سيدنا نوح عليه السلام بالجواب على قولهم مبيناً لضلالاتهم غاضاً الطرف من شفاعتهم شفقة عليهم ومحبة لنجاتهم فقال: (يا قومي)، مكرراً هذه اللفظة تذكيراً لهم أنه منهم حتى تمنعهم القرابة من حسده أو اتهامه، في حين أنه إن كان على برهان ساطع مصدقه وبما جاء به من عند الله أنه آتاه النبوة وأكرمه بها وهي عميت عليهم لضعف عقولهم فهل ألزمكم بها وأنتم كارهون لها وفي هذا إشارة إلى أنها لم تعم عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها ولكنهم تركوها لعنادهم ونفيهم فضله.

ثم أبان لهم أنه لا يريد منهم شيء من مالٍ أو أجر وإنما يريد الأجر من الله فلم يكن يريد الغرض الدنيوي لأن هذا أدعى إلى نفور المدعو عنه وعدم تصديقه، وأنه أخبرهم أن هؤلاء الذين تزدروهم لن أطردهم لأنهم أقروا بالإيمان لله وحده فإنهم سيلاقون الله المحسن إليهم بعد إيجادهم وهدايتهم وإنما أنتم تفعلون أفعال الجهل فتكذبون الصادق وتعيرون المؤمنين بما لا يعنيهم وتنسون لقاء الله.

ثم أخذ نوح عليه السلام ينفي عن نفسه الاتهامات التي يوجهونها له ويريدونها منه في أنه لا يملك مفاتيح خير الدنيا وفي أنه لا يعلم الغيب وفي أنه ليس بملك، حتى تطلبوا مني ذلك ولا أقول لكم أن الذين تحتقرون من أتباعي لن يجازيهم الله خيراً على إيمانهم وإنما أمرهم إلى الله وإن فعلت ذلك كنت ظالماً جائراً.

فكان ردهم عليه لما استوفى ما أبرموه من أقوالهم أنك أردت فتنتنا وصرفنا عن آرائنا بالجدال وأكثرت من ذلك فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت صادقاً في وعدك فرد عليهم أن هذا العذاب بيد الله يبعثه متى أراد وأن نصحي وتذكيري لكم لن ينفعكم إن أراد الله أن يضلكم ويركبكم غير الصواب فإن إرادة الله تغلب إرادة العبد فهو ربكم وهو أدبر بكم.

فأوحى الله إلى نوح عليه السلام أن يصنع السفينة لأنه لن يؤمن له إلا من آمن، وكان هو يصنع السفينة وقومه يهزأون منه لأنه يصنع السفينة في مكان ليس فيه ماء وكان هذا الأمر لأن عذاب الله آت لا محالة لإغراق القوم الظالمين وجعل الله علامته أن يرتفع الماء في البئر وأمره أن يحمل في السفينة المؤمنين ومن كل نوع من الحيوانات زوجين لأن الماء سيعم الأرض جميعاً، وبعد الركوب في السفينة كان الموج كالجبال وحدثت قصة ابن نوح-سبق الكلام عنها-ثم أمر الله الأرض أن تبلع الماء وأن تقلع السماء عن الإمطار ورست السفينة على الجودي وحمد نوح ربه على نجاته ونجاة المؤمنين.[1]

وفي سورة الأعراف عرضت بشكل سريع لقصة سيدنا نوح وحاله مع قومه وأنه أخبرهم أنه جاء لإصلاحهم وإرادة الخير لهم ثم إنهم رفضوا دعوته واتهموه بالضلال فما كان جزاءهم إلا الغرق وأنجاه الله بالسفينة هو ومن آمن معه.[2]

فالقرآن الكريم ينبئ أن قوم نوح كانوا أهل أوثان، فبعث الله إليهم نوحاً يخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق، والعمل بما أمر الله به رسله وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن فشكاهم نوح إلى الله تعالى واستنصره عليهم فأوحى الله إليه بصنع السفينة لأنه سوف يوقع العذاب بهم وجعل التنور له آية على وقوع العذاب.[3]

كان خروج القوم عن سنّة العدل الاجتماعي التي أودعها الله في أعماق الفطرة فقاموا بتصنيف عباد الله وفقاً لما عندهم من أموال وأولاد وجاه أو مكانة ثم كفروا وعكفوا

١- برهان الدين غبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥)هـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، جزء ٣، ص ص ٥١٩-٥٤٠.

٢- صفوة التفاسير، جزء ١، ص ٤٢٠،٤١٩. مرجع سابق.

٣- قصص الأنبياء – لابن جرير الطبري، ص ص ٩٦-١٠٤، مرجع سابق.

على أصنامهم وصدوا عن سبيل الله يحافظون على الأصنام تحت لافتة سنة آبائهم القومية أو يصدون عن سبيل الله بطرح عادات وتقاليد وثقافات لا تدع لفكر الفطرة سبيل داخل المجتمع وأمر مثل هذا استوجب بعث الرسول لإنذارهم ثم إيقاع العقوبة عليهم لكفرهم وصدهم عن الدعوة.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١. أن لا يكون لأي داعية إلى فكر ما غرضه الدنيوي من تحصيل مال أو جاه أو منصب لأن هذا سبب في رفض فكرة وعدم قبول دعوته.
٢. أن يعدل المعلم في معاملته بين طلابه فلا يميز أحدهم على الآخر لغرض من أغراض الدنيا فالعدالة في الصف الدراسي وفي التعليم والتقويم أساس لنجاح عملية التعليم وخلق الألفة والمودة بين الطلاب.
٣. احترام التخصصات المهنية في الحياة وتنشئة الطلاب على حب التربية الحرفية وتعلم الحرف والمهن العملي التي تساعد على نمو المجتمع.
٤. أن لكل بداية نهاية فكما تبدأ الدعوة إلى الله وما يجد الداعية فيها من الصعوبة تنتهي بنصر الله له وتأييده على الكفار.
٥. الأخذ بالأسباب وبذل الجهد في كل عمل يقدم عليه الإنسان ثم بعدها يتوكل على الله في أموره.
٦. التلطف بالمدعو ومراعاة حاله واستخدام أسلوب لين معه ليؤدي إلى إيمانه.

** ** **

١- الانحرافات الكبرى، ص ٣٢،٣١، مرجع سابق.

(٢)قصة قوم إبراهيم عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في أربعة مواضع في القرآن الكريم، سأتناول هنا بالذكر ما ساقه الله من قصة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء في الآيات من (٥١) إلى (٧٢) في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ ... ﴾[1]

وما ذكره الله عز وجل عنه في سورة الشعراء من الآية (٦٩) إلى الآية (٨٩) التي قال الله تعالى فيها:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝ ... ﴾[2]

بيّن الله سبحانه وتعالى في سورة الأنبياء نعمته على خليله إبراهيم عليه السلام الذي آتاه الاهتداء لوجوه الصلاح من قبل الأنبياء الآخرين كموسى وهارون أو من قبل محمداً صلى الله عليه وسلم أو من قبل استنبائه أو بلوغه وأنه تعالى كان يعلم أنه أهل لما آتاه وجامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال.

فقال في وقت من أوقات رشده محقراً للتماثيل التي يعبدها أبوه وقومه وموبخاً على إجلالها دون الله تعالى وهي لا تستحق ذلك متسائلا: ما هي هذه التماثيل التي تستحق هذه العبادة، فكان ردهم أنهم وجدوا آباءهم لها عابدين فقلدوهم، فرد عليهم إنكم أنتم وآباؤكم ضالون بعبادتكم هذه، فردوا عليه أنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله كان على وجه الملاعبة فأضرب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه أن الرب

١- سورة الأنبياء الآيات:٥١:٥٢

٢- سورة الشعراء الآيات:٦٧:٧٠

الحقيقي هو رب السموات والأرض الذي خلقهن وأنه يؤمن به ثم توعد آلهتهم بالكسر بعد ذهابهم إلى عيدهم،فقطعها أجزاءً وترك الصنم الكبير وعلّق الفأس في رأسه ليسألوه ويقيم الحجة عليهم بذلك.

وعندما رأوا ما حل بآلهتهم من التحطيم تذكروا أن إبراهيم كان يعيبهم فجاءوا به ليعرفوا هل هو فعل هذا الفعل؟ فأسند الفعل إلى كبير الأصنام غيظا منه لما رأى من زيادة تعظيمهم له.

وعندما فكروا بعقولهم في قول إبراهيم علموا أنهم ظالمين بعبادتهم من لا ينطق ولا يسمع ولا يتكلم ثم أخذوا يجادلوا ويكابروا في أنهم كيف يسألون من لا ينطق فقال إبراهيم منكراً لعبادتهم، أنكم كيف تعبدون الذي لا يملك لكم النفع ولا الضر وتضجر منهم على إصرارهم على الباطل وقبّح فعلهم في عدم استخدامهم لعقولهم.

فأخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة وطلبوا حرقه للانتقام لآلهتهم، فرد الله عز وجل كيدهم في نحورهم وجعل النار ذات برد وسلام عليه، فكانوا أخسر من كل خاسر لما كانوا على باطل وكان إبراهيم على الحق ونجّاه الله وأعطاه الأولاد الصالحين وجعلهم أئمة للناس.[١]

وفي سورة الشعراء جاء أمر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقصص على كفار مكة خبر إبراهيم الهام وشأنه العظيم حين تساءل عن عبادتهم للأصنام ليبين سفاهة عقولهم في عبادتهم ما لا ينفع ولا يضر ويقيم عليهم الحجة في أنهم لا يسمعون دعاءكم ولا ينفعونكم ولا يضرون وأنهم احتجوا على ذلك أن آباءهم كانوا عابدين لها، فما كان منه إلا أن تبرأ منها وعاداها وذكر صفات الإله الحق الذي يستحق العبادة فهو

١- شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (١٠٦٩)هـ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، (بيروت. دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، جزء ٦، ص ص ٤٤٨-٤٥٧.

الخالق والهادي وهو الرازق والشافي وهو المحيي والمميت وهو الذي يغفر الذنوب والخطايا يوم الدين، ثم دعا الله أن يجعل له الفهم الصحيح ويجعله من الصالحين ويجعل له ذكراً حسناً في الناس بعده ويغفر لوالده الذي رفض الإيمان بما جاء به وأن لا يذله يوم العرض عندما لا ينفع المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم.[1]

وهنا تظهر الحكمة في المواقف فالدعوة بالموقف كالدعوة بالسلوك تدفع المدعو إلى التوقف كثيراً، وربما تكون نقطة التحول في حياته لذا كان للنبي إبراهيم عليه السلام هذا الموقف الذي يتجلى فيه الحكمة التي جوهرها العلم والحلم في موقفه مع أبيه موقف الداعي الذي لا يتجاوز حدوده والذي يحاول تليين قلب ذلك الأب الكافر بكل أسلوب.

وفي موقفه مع الكفار والأصنام ورفضه لعبادتها وإقامة الحجة والبرهان على قومه بزيف ما يعبدون وضلاله وأنهم مخدوعون في ذلك بحجة أهم وجدوا آباءهم الأسبقون يعبدون هذه الأصنام فتبعوهم دون إعمال منهم لعقولهم في عدم حصول المنفعة والضرر منها.[2]

لقد بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ليدعو الناس المرضى في قلوبهم إلى الإيمان ويوقظهم ويهديهم سواء السبيل ؛ لذا فإن الله أخذ بعنايته الحفاظ عليه وقيادته، والله رؤوف رحيم بالعباد ولا يتركهم سُدى ويهيء لهم من أمرهم رشداً وينبههم إلى السعادة، وإذا عصى قوم وما أرادوا الهداية فإن ظلمهم يقع على عاتقهم.

وكان إبراهيم عليه السلام يصدع بواجبه وما أمره الله به، وكبقية رسل الحق فإنه كان من البشر، ولذا فقد أوذي لرد دعوته إلى العدل والإنسانية والإيمان بالله تعالى من قبل قومه الذين وقفوا في وجهه بعنف وقسوة.

١- صفوة التفاسير ، جزء ٢ ، ص ٣٥١، ٣٥٢، مرجع سابق.
٢- د. علي جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها، (المنصورة: دار الوفاء، ١٩٨٦م)، ص ١٥٠،١٥١.

لذا واجههم سيدنا إبراهيم بزيف عبادتهم للأوثان بكل قوة وثبات على الحق فما كان منهم إلا المكذبين والصدر وإلحاق العذاب به من الحرق بالنار فأنجاه الله منها ومنهم.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- الثبات على الحق والصدع به والدعوة إليه حتى وإن كان الرد والصد من الطرف الآخر، لأن غاية الداعية تبليغ الدعوة للناس.

٢- الشفقة على الأقارب وخصوصاً الأب ودعوته إلى عبادة الله حتى ينجيه من عذابه يوم القيامة.

٣- استخدام الحيلة والمعاريض من الأساليب الجيدة في البعد عن الكذب وفي تحقيق غايات الإنسان وبلوغ أهدافه بكل سهولة.

٤- انتزاع الاعتراف والجواب من المتعلم بدعوته إلى التفكر والاستنتاج أسلوب تربوي ناجحة في ترسيخ المعلومة في ذهن الطالب وحثه على التفكير.

٥- تأييد الله عز وجل للمؤمنين الموحدين وإنقاذهم من كل كرب ومن كيد الذين يعادونهم مما يشعر أن الله مع عباده المتقين.

٦- التأدب مع الله عز وجل في الخطاب بأن أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه مع أن الله عز وجل هو المسبب له وأسند الشفاء لله، ليصف الله عز وجل بخير الصفات بعد أن أرجع كل أمور حياته إلى الله وأنه هو المتصرف فيها.

** ** **

١- نفحات أخلاقية وعرفانية في القصص السماوية، ص ٦٧،٦٨. مرجع سابق.

(٢)قصة قوم صالح عليه السلام

ذكرها الله عز وجل في ثمانية مواضع ، وسأتناول بالدراسة هنا ما ورد في سورة الأعراف في الآيات من (٧٣) إلى (٧٩) في قوله تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ... ﴾[1]

ومروراً سريعاً على قصته عليه السلام في سورة هود الآيات من (٦١) إلى (٦٨) في قوله تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[2]

فقد ذكر الله تعالى قصة ثمود الذين كانوا في سعة من العيش، فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا، فبعث الله لهم صالحاً نبياً من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم إلى الله فلم يتبعه منهم إلا القليل.

وبعد أن جاءهم بالآية الدالة على صدق دعوته وهي الناقة التي أخرجها الله له من بطن الصخرة وكان لها يوم أكل خاص ويوم شرب خاص، فكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، ترد غباً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون.

ثم إن صالحاً نهاهم عن مسها بشيء من الأذى إكراماً لآية الله، فلا ينهروها ولا يمنعوها من الماء والكلأ، وذكّرهم بنعم الله عليهم وهو جعلهم خلائف في الأرض وزيادتهم في

١- سورة الأعراف الآية :٧٣
٢- سورة هود الآية :٦١

الخلق بسطة واتخاذ القصور في السهول ونحت الجبال بيوتاً، وذكرهم بأنعم الله عامة وهي آلاء الله جميعاً ليدعوهم إلى الإيمان به وترك الكفر والشرك فقال رؤساء الكفر لمن كان مستضعفاً من قوم صالح ممن آمن معه على جهة الاستهزاء بإيمانهم وتأكيدهم كفرهم بما جاء به صالح.

ثم كان منهم عقر الناقة والاستكبار عن امتثال أمر ربهم ومن اتباع دينه وشرعه وقالوا لصالح عليه السلام مستهزئين أن يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم إياه إن كان كما يقول حقاً مرسلاً. فوعدهم به صالح بعد ثلاثة أيام فأصابتهم الرجفة وهي الصيحة أو الزلزلة الشديدة فأصبحوا هامدين لا يتحركون موتى، فتولى صالح عنهم بعد إهلاكهم ومشاهدة ما جرى لهم وقال متفجعاً متحسراً عليهم أني قد بلغت ونصحت لكنكم لم تستمعوا لقولي ولم تنتصحوا بنصيحتي، ليسمع ذلك من كان معه من المؤمنين فيزدادوا إيماناً، وانتفاء عن معصية الله واقتضاء لما جاء به نبيه عن الله.[1]

وفي سورة هود يبيّن صالح عليه السلام لقومه نعم الله في بداية دعوته أنه تعالى ابتدأ خلقهم من الأرض فخلق آدم من تراب ثم ذريته من نطفة ثم جعلهم عمّاراً وسكاناً لها، وطلب منهم استغفاره من الشرك والرجوع إليه بالطاعة، فأجابوه أنه كان فيهم سيداً قبل هذه المقالة، فلما قالها انقطع رجاؤهم فيه وهي نهيهُ إياهم عن عبادة الأوثان التي كان يعبدها آباؤهم من قبل، فرد عليهم أنه على برهان وحجة واضحة من الله على قوله، وأنه مؤتمر بأمره ولا أحد يمنعه من عذاب الله إن عصاه، فما يزيدوه غير تضليل وإبعاد عن الخير وجاء بالناقة برهان على صدق دعوته وأمرهم أن يتركوها ترعى في أرض الله ولا ينالوها

١- أبو حيان الأندلسي (٧٤٥) هـ تفسير البحر المحيط (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، جزء ٤، ص ص ٣٣٠-٣٣٥.

بشيء من السوء فيحل عليهم العذاب، لكنهم عصوا أمره وعروها فأمهلهم ثلاثة أيام ثم جاء العذاب ونفذ الوعد الحق فأنجى الله صالحاً والذين آمنوا معه وأهلك الباقين.[1]

فقد كانت ثمود قوم صالح تمثل الوارث السفيه الذي لم يتعب في جمع المال وقد اجتمع عليه شبابه وفراغ وقته وكثرة ماله ففسد خلقه واعوجت سيرته وساءت حالته فلم يعتبر بما نكب به آباءه وأجداده.

فقد ورثوا قوم عاد بعد أن أهلكهم الله بالريح العاتية لو لم تتعظ ثمود بما جرى لعاد يوم خلفوهم في الأرض واستعمرهم الله فيها فاستمرءوا النعمة ولم يشكروا عليها وبطروا بها وكفروا وعبدوا الأوثان ثم ما كان منهم إلا أن عصوا رسول الله وعقروا الناقة فاستحقوا العذاب بالرجفة وهم نائمون.[2]

كانت ثمود أمة من أمم الانحراف، والانحراف لابد وأن يترك تحت رماده بذور يصلح زرعها على أرض معسكر الانحراف، الذي يستلم الراية فيما بعد، وهذه البذور تظل تحت الأرض لفترة حتى يأتي من يتعهدها حتى تكبر وتصبح شجرة من الدنس في نهاية الطريق، وإذا كانت ثمود قد تعهدت شجرة ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا... ﴾[3] التي قام كفار قوم نوح بتسليمها لكفار قوم هود، فإن ثمود كان لها السبق في إضافة معنى آخر يقبل بشرية الرسول بشروط وهو أن لا يكون واحداً كما حكى القرآن عنهم ﴿...أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[4]، ثم اتسعت هذه الشروط فيما بعد وكان في اتساعها كارثة.

١- صفوة التفاسير، جزء ٢، ص ١٩،٢٠، مرجع سابق.
٢- قصص من القرآن-محمود زهران، ص ص ٢٨-٣١، مرجع سابق.
٣- سورة الشعراء من الآية :١٥٤
٤- سورة القمر من الآية :٢٤

وهذا كل ما سبق من اعتراضهم على الرسالة والرسول يصب في النهاية في مصلحة الجبابرة الذين إذا ادعوا الرسالة يمكن أن يلوحوا بما لديهم من عدة وحشد وحشم وأنصار ليدفعوا الناس إلى تصديقهم.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- الصبر والمصابرة في دعوة الناس وتعليمهم وإمساك النفس عن التأفف والضجر بالجهد الشديد واحتمال المتعلم مهما كانت حاله.

٢- أن النعم تستوجب الشكر عليها لا الكفر حتى تدوم على صاحبها، فمن آتاه الله النعم عليه شكرها وعدم كفرها وعليه الإيمان بالله واتباع رسله لا الكفران به وعبادة غيره، ممن لا يستحق العبادة.

٣- الامتحان والاختبار لمعرفة القدرات عند الطلبة أسلوب جيد لتثبيت التعليم وليتكون عند المعلم فكرة عن طاقات طلابه، فيراعيهم في مستوياتهم العلمية أثناء الحصة الصفية

٤- تعلم الصبر على المكاره وترك العجلة وطلب حصول الأمر بسرعة لأن العجلة من الشيطان وتؤدي في النهاية إلى الفشل.

٥- أهمية التدليل على التعليم بأن يكون له حقيقة علمية سواء كان هذا الدليل ملموساً أم عقلياً لتثبت المعلومة في ذهن الطالب.

٦- إمهال الطالب وإعطاؤه فرصة للتفكير والبحث حتى يصل إلى النتائج السليمة بكل أريحية.

** ** **

١- الانحرافات الكبرى، ص ٩٨،٩٩، مرجع سابق.

(٤)قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر

ذكرها الله عز وجل مرة واحدة في سورة غافر في الآيات من (٢٨) إلى (٤٥)، حيث بدأها الله سبحانه بقوله:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

فقد بيّن الله عز وجل حال هذا الرجل المؤمن وكان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى سراً، وقيل كان إسرائيلياً، وكان يكتم إيمانه عن فرعون وأنه استغرب من فعل فرعون وأعوانه في إقدامهم على قتل رجل بسبب قوله ربي الله إنكاراً منه عظيم وتبكيت شديد على فعلهم مع أنه أحضر لتصبح قوله هذا بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم ليعترفوا به وليلين بذلك جماحهم.

ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال: لا يخلو من أن يكون كاذباً أو صادقاً فإن كان الأول يعود عليه كذبه ولا يتخطاه وإن كان الثاني يصبكم بعض ما يعدكم إن تعرضتم له. فالله عز وجل لا يهدي شخص للنبوة ويؤيده بالبينات إن كان مسرفاً كذاباً

ثم ذكّرهم أنهم الآن ملوك مصر عالين فيها لا يمنعهم أحد فمن ينصرنا جميعاً من الله وقال هذا لأنه منهم في القرابة ولينصحهم في أنه مساهم به أيضاً، وبيّن لهم أنه لا يعلمهم إلا الصواب ولا يدخر منه شيئاً.

ثم أخذ بتحذيرهم من عذاب الله أن يحل عليهم مثل ما حل بالأقوام السابقة من قوم نوح وعاد وثمود وأن الله لم يظلمهم ولكن كانوا هم الظالمين ثم استمر في تحذيرهم وخوفه عليهم من يوم الحساب الأعظم في الآخرة حين ينصرفون من الحساب إلى النار إذا

١- سورة غافر الآية :٢٨

بقوا على كفرهم وعنادهم ليس لكم من الله من معين أو ناصر أو مُبْعد عنكم العذاب. ومن أراد الله أن يضله فليس له هادٍ دونه. وقد جاءكم من قبل رسول وهو يوسف بالبينات وشككتم به أيضاً حتى إذا قبض قلتم أنه لن يبعث الله رسول من بعده من غير حجة ولا برهان على ذلك، ومثل هذا الخذلان يخذل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه. ثم عاد المؤمن وطلب من قومه أن يتبعوا قوله ليهديهم إلى سبيل الخير والفلاح. ثم افتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها، لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة. وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر، وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزيف.

ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾[1]. وبذلك أدى هذا المؤمن المهمة.[2]

وهذا المؤمن من قوم فرعون كان كالصاعقة على فرعون وملأه، وهو من أقرب المقربين له بل قيل إنه وزيره وابن عمّه، قد هداه الله إلى دين التوحيد القويم وبعث في نفسه نور الإيمان الحق، وكشف له سبيل الرشد، فوقف هذا الرجل ليعلن على الملأ إيمانه ودفاعه عن موسى ضد القتل.

١- سورة غافر الآية :٤٥

٢- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨)هـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار الفكر) ، جزء ٣ ، ص ص ٤٢٣-٤٣٠.

وراح يذكرهم بقوة الله وبطشه فثارت ثائرة القوم وهمّوا بقتله أو إيداعه في السجن حتى يرتدع ويرعوي.(١)

لقد كان مؤمن آل فرعون من جملة الملأ-الأشراف والأسياد-وهذا من عجائب التدبير أن تصل الدعوة إلى أمثاله، ولربما لو آمن رجل منهم لأسلم بإسلامه خلق كثير، وقد كان فرعون طاغوتاً، يُعبد من دون الله، فخرج نبي الله موسى يدعوه ويدعو قومه لعبادة الله وحده، فآمن به من أراد الله سعادته وكان منهم مؤمن آل فرعون الذي أخذ على نفسه الدفاع عن موسى عليه السلام ضد القتل، وأخذ يبين للناس صدق دعواه ويضرب لذلك البراهين والأدلة حرصاً منه على إيمانهم ودعوة لهم إلى التصديق بما جاء به موسى عليه السلام لينقذهم بذلك من عذاب الله يوم القيامة، وكان هذا المؤمن يكتم إيمانه بعد أن وقع الحق في قلبه، ويجوز كتمان الإيمان إذا خاف على نفسه وقد يكون كتمانه وإخفاء الشعائر سياسة شرعية واجبة الأخذ والانتشار يمليها النظر الشرعي.

وقد كان دفاع مؤمن آل فرعون عن نبي الله موسى دون سب ولا لعن، لكنه تسلل إلى قلوبهم بالنصيحة الرقيقة الممزوجة بالتخويف والإقناع، واستخدام أسلوب حكيم في الإقناع وهو أسلوب استدراج المخاطب عندما رأى من عزم فرعون على قتل موسى فأراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها أنه متعصب له وأنه من أتباعه فجاءهم بطريق النصح والملاطفة.(٢)

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- الاعتبار بالأمم السابقة واستخدامها كمثال للتدليل على القول وأنه قد يحصل للإنسان ما حصل لهم إذا اتبع طريقهم ونهج نهجهم، وفي هذا دعوة للطالب إلى

١- قصص الأنبياء في القرآن الكريم-سميح الزين، ص ٤٢٧،٤٢٨، مرجع سابق.
٢- قصص القرآن عظات وعبر، ص ص ٣٣٧-٣٤٣، مرجع سابق.

الإتعاظ من أمثال الطلاب الكسالى والمهملين في دروسهم وأن مصيرهم كان هو الفشل فلا يسير على ما ساروا عليه بل يجد ويثابر.

٢- عدم الاستهانة بأي شخص مهما تكن قدراته ضعيفة ، لأن الضعيف وغير المعروف بالعلم قد يعمل الشيء الكثير.

٣- الإيمان بالله سراً وإخفاؤه عن الناس لسبب فيه مصلحة كبرى جائز بل قد يكون في بعض الأحيان واجبا على الفرد لحماية حياته.

٤- التلطف في الدعوة والتلطف مع المتعلمين مما يعطي حافزا إلى حب العلم والاستمرار به عند طلابه.

٥- حرص الفرد على مصالح الجماعة التي ينتمي إليها وإرادة الخير لها في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٦- استخدام أسلوب الحوار والنقاش في إيصال العلم إلى طلابه يساعد على إثراء معلوماتهم وتعليمهم أسلوب الحوار البناء وكيفية النقاش والكلام المفيد مع الآخرين.

٧- ذم الدنيا والتقليل من شأنها ومن متاعها والحث على طلب الآخرة والسعي إلى تحصيل خيرها من رضى الله عز وجل والفوز بالجنات.

** ** **

(٥)قصة مؤمن أنطاكية

ذكرها الله عز وجل في سورة يس في قوله تعالى:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (١)

وقد سبق ذكر قصة مؤمن أنطاكية ذكر قصة أصحاب القرية التي جاء إليها اثنان من المرسلين فكذبوهما فعزز الله ببعث الثالث لهما مما زاد في إقامة الحجة عليهم، وكانت قصتهم تلك مثلاً أراد الله ضربه عن طريق نبيه المبلغ عنه محمد صلى الله عليه وسلم لكفار

١- سورة يس الآيات :٢٠:٣٨

قريش وما كان في هذه القصة من تسلية للنبي عليه السلام بذكر ما حدث مع الرسل السابقين.

ثم ما كان من أصحاب القرية إلا أن كذّبوا هؤلاء المرسلين وتشاءموا منهم، فردوا عليهم أن شؤمكم عليكم وأننا أردنا بدعوتنا هذه الخير لكم والنجاة من النار يوم القيامة بأن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وأننا لا نريد أجراً مادياً أو معنوياً منكم على دعوتنا وإنما أجرنا على الله لأننا مبلغون منه لإنذاركم من عذابه إن كفرتم.

ثم يأتي ذلك الرجل من المدينة ليعزز دعوة هؤلاء المرسلين وكان مسرعاً في المجيء لحرصه على إيمان قومه، فطلب من قومه اتباع المرسلين الذين لو أراد شيئاً لأنفسهم لطلبوا الأجر، ثم عرّض لهم أنني كيف لا أعبد الذي فطرني وخلقني وإليه مرجعكم على جهة التعريض بهم أنكم أحرى أن تعبدوه لأن مرجعكم إليه وهذا احتجاج منه عليهم، وأضاف الفطرة إلى نفسه، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر، والبعث إليهم، لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً.

ثم قال مشنعاً عليهم كيف أتخذ من دونه أصناماً لا يغنون عني شيئاً ولا يدفعون عني الضر ولا يخلصوني من البلاء فإذا فعلت ذلك كنت ذا خسران ظاهر ثم خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم وطلب منهم أن يكونوا شهوداً له بالإيمان، فما كان من قومه إلا أن وثبوا عليه وقتلوه فخرجت روحه ودخلت الجنة، فلما رأى ما فيها من الخير الكثير تمنى أن يعلم قومه بما هو فيه من الغفران والنعيم، ومعنى تمنيه فيه قولان:

الأول : أنه تمنى أن يعلموا مجالسه ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته.

والثاني : تمني ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله.

فكان بَعدُ أن عاقب الله هؤلاء القوم بسب كفرهم وأهلكهم بصيحة واحدة.[1]

واشتمل هذا النص على تعليم من الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن يوجّه علاجاً لقومه، بأن يقدم لهم صورة ن صور الإقناع الذي يحمل عصا الإنذار بالعقاب المعجّل للذين لم يؤمنوا به رسولاً، ولم يؤمنوا بما جاء به عن ربه.

وهذه الصور هي ضرب هذا المثل لما هم فيه من عنادٍ وإصرار على الكفر بما كان عليه أصحاب قرية وثنية جاءها مرسلون من غير أهلها، فدعوهم إلى الإيمان الحق وإلى ترك الكفر والباطل، فكذبوهم في كونهم رسل ربهم فأكدوا لهم أنهم صادقون مرسلون حقاً وأنه ليس عليهم إلا البلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة وأنهم ليسوا مكلفين أن يلزموهم إلزاماً على الإيمان، فأصر أصحاب القرية على تكذيب الرسل وهددوهم بالقتل رجماً بالحجارة.

ونصر هؤلاء الرسل الثلاثة رجل من أصحاب القرية جاء من أقصى المدينة يسعى فدعاهم إلى الإيمان برسل ربهم وحاورهم وناظرهم وأخيراً أعلن إيمانه بربه فغضبوا وثاروا عليه وقتلوه، فوجد عند ربه مغفرة وإكراماً عظيماً فتمنى أن يعلم قومه بذلك، والله أوقع بعد ذلك العذاب على قومه بكفرهم.[2]

فقصة صاحب يس توضح حقيقة الإيمان وقيمة اليقين، وكيف تكون الاستجابة لداعي الحق، وفعل الله بأوليائه وتصور الصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

فصاحب يس الذي ذكرته السورة تنويهاً له وإعلاء لشأنه لم تذكر اسمه ولا بلده ولا سنه وكل ذلك طواه القرآن، لأنه لا فائدة ترجى من البحث فيه، وليس هو الهدف من القصص القرآني، وإنما الهدف إظهار العلاقة بين الخير والشر وعاقبة كلٍّ منهما، الأمر الذي يدعو العباد إلى الإيمان وفعل الخيرات ويخوفهم من الكفر وفعل المنكرات.

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م) جزء ٨، ص ١٤ ، ١٥.

٢- فقه الدعوة إلى الله، ص ٤٢٥، ٤٢٦، مرجع سابق.

فهي دعوة إلى الاستقامة على منهج الله ومتابعة طريق الأنبياء والمرسلين، وكان الغرض الأساسي منها إقامة واجب العبودية في كل عصر ووقت ودعوة الخلائق لإسلام الوجه لله جل وعلا، وإبلاغ الحق للخلق، فهي تذكرة سيقت مساق القصة في بساطة أسلوب وسلاسة عرض تصل إلى شغاف القلوب من أيسر الطرق لتحقق هدفها وتبلغ مرامها.[1]

* الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :

١- أن الإيمان بالله ولو كان زمنه قصيرا ، فإنه يؤدي إلى تحقيق رضا الله طول العمر والفوز بجنانه إذا كان الإنسان فيه صادقاً وكان هذا الإيمان نابعاً من القلب واستخدم لتحقيق غايات عظمى.

٢- إن صاحب أي فكرة جديدة لابد أن يتسلح بأدلة قوية كما كان موقف مؤمن يس من الاستدلال على قومه بالآلهة التي لا تضر ولا تنفع.

٣- الابتعاد عن التشاؤم والتطير كما فعل أصحاب القرية.

٤- التشكيك والإشاعات والكذب من الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى إفساد المجتمع وخلخلة ترابطه.

٥- عدم انتظار الأجر على فعل الخير من الناس بل يبتغي فاعله الأجر عند الله تعالى.

٦- التلطف بمخاطبة الأعداء ومن يُرجى صلاحه، ومنه يؤخذ التلطف في معاملة التلميذ مما يورث عنده السكينة وحب العلم والمعلم.

٧- الاهتمام بطلب القوة المادية إذا احتاجها الإنسان لتأييد رأيه.

** ** **

١- قصص القرآن عظات وعبر، ص ٢٦١، ٢٦٢، مرجع سابق.

(٦)قصة أصحاب الجنة في سورة القلم

ذكرها الله عز وجل في الآيات من (١٧) إلى (٢٢)، والتي قال الله تعالى فيها،

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[١] .

وهذه القصة قد تكون متداولة ومعروفة، لكن السياق القرآني يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده، ويكون هذا هو الجديد في السياق القرآني

ومن خلال حوادثها ونصوصها نلمح مجموعة من الناس ساذجة بدائية أشبه في تفكيرها وتصورها وحركتها بأهل الريف البسطاء السذج، وهذا مناسب لمستوى المخاطبين في القصة الذين كانوا يعاندون ويجحدون، لكن نفوسهم ليست شديدة التعقيد إنما هي أقرب إلى البساطة والسذاجة. ففي القصة سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده أو فيها حيوية في العرض فكأن السامع يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى.

فأصحاب هذه الجنة في الدنيا يبيّتون أمراً وهو أن للمساكين حظ من ثمر هذه الجنة على أيام صاحبها الرجل الصالح، لكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمارها الآن ويحرمون المساكين فقرروا قطع الثمار في الصباح الباكر دون علم المساكين وبيّتوا ذلك وعقدوا النية عليه، فكانت المفاجأة أن أهلك الله الجنة في الليل وعندما أصبحوا ذهبوا إليه بعد أن تنادوا خلسة دون إشعار أحد وكانوا يهمسون أنهم لن يعطوا اليوم مسكيناً واحداً وكانوا قادرين في ظنهم على الحرمان والمنع، وهم يتفاجأون بعد أن رأوها وظنوا أنهم أضلوا

١- سورة القلم الأيات :١٧:٢٤.

الطريق ثم أيقنوا بالخبر أنهم حُرموا ثمرها بسبب المكر والتبييت وكان هذا عاقبة البطر والمنع فيتقدم أوسطهم وهو أعقلهم فيطلب إليهم التوبة إلى الله من هذا العمل ويتلاومون على فعله وكذلك كان الابتلاء بالنعمة.[1]

وقد صوّر القرآن الكريم هذه القصة بأسلوبه البليغ الحكيم لأحوال البشر والنفوس البشرية تصويراً معجزاً، وكانت هذه القصة مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فقابلوه بالتكذيب والمحاربة.

ويبدو أن قصة أصحاب الجنة كانت معروفة لأهل مكة، ولذا ضرب الله تعالى المثل بها حتى يعتبروا ويتعظوا.

فالآيات تدل على أنه تعالى امتحن كفار قريش بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف بسبب كفرهم بنعمه وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم كما ابتلى من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمرها تدميراً، بسبب بخلهم وامتناعهم عن أداء حقوق الله منها. فأنزل بهذه الحديقة بلاء أحاط بها فأهلكها فصارت كالشيء المحترق الذي قطع ثمره ولم يبق منه شيء ينفع.

ثم جاءت الخاتمة تبين النتيجة النهائية أنه مثل هذا العذاب الذي نزل بأصحاب الجنة يكون عذاب أهل الكفر والشرك وأما عذاب الآخرة فهو أشد وأبقى وأعظم لو أنهم من أهل الفهم والعلم فيدعوهم ذلك إلى الإيمان.[2]

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤م)، جزء ٦ ، ص ص ٣٦٦٤-٣٦٦٦.
٢- القصة في القرآن الكريم-محمد الطنطاوي، ص ص ٩٤٢-٩٤٩، مرجع سابق.

* **الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني :**

١- سوء عاقبة الجاحدين لنعم الله، إذ هذا الجحود يؤدي إلى زوال النعم، وشكرها يؤدي إلى دوامها وزيادتها.

٢- تنوع حالات النفس الإنسانية وتدرجها من حال غناها إلى حال فقرها، وفي حال حصولها على النعمة وفي حال ذهابها من بين أيديها، فعلى المعلم أن يراعي هذا التنوع واحتياجات كل نوع من طلابه حتى ينجح في إيصال العلم لهم.

٣- ضرب الأمثال من الأساليب التربوية الناجحة في ترسيخ المعلومة في ذهن الطالب والتنوع فيها يؤدي إلى تنوع العلوم والمعارف.

٤- أن الله عز وجل قد يبتلى أحد من عباده ليختبرهم في إيمانهم أو ليردهم إلى جادة الصواب إذا حاد عنها لطمع نفس أو مادي.

٥-أن النفس أمارة بالسوء فعلى المسلم أن يحذر من وساوس النفس ووساوس الشيطان وأن يتبع ما يرضي الله في ذلك.

** ** **

(٧)قصة أصحاب الأخدود

ذكرها الله عز وجل في سورة البروج في قوله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ ﴾[1]

صُدِّرت هذه القصة بجملة دعائية من الرب سبحانه وتعالى على أصحاب الأخدود والآيات بدأت في سورة البروج بالقسم بالسماء ذات البروج والقسم باليوم الموعود والقسم بالشاهد والمشهود على أنهم-أي كفار مكة-ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يتأسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من أقوامهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله تعالى بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم.

وقد روي في صحيح مسلم[2] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان فيما سبق ملك وكان له ساحر وأنه كبر فأراد أن يعلم أحداً يخلفه في عمله فأُحضر له غلام فكان يعلمه وأنه في طريق الغلام كان راهب، فكان الغلام يجلس إليه حتى أحب كلامه وأنه بعد أن أتم العلم حدثت حادثة الدابة التي في الطريق التي عرف الغلام من خلالها أن أمر الساحر

١- سورة البروج الآيات:٤:١٢.

٢- الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، (الرياض: دار المغني، ١٩٩٨م) ص ١٦٠٠، كتاب الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود. الساحر والراهب والغلام، حديث (٥٣٢٧).

باطل وأمر الراهب خير، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص وكان للملك جليس أعمى فطلب من الغلام شفاءه فقال له الغلام أن الشافي هو الله وطلب منه الإيمان به ليشفيه، فآمن فشفاه الله ثم سأل الملك هذا الجليس عمّن شفاه، فأخبره أنه الله تعالى، فغضب لأنه عبد إلهاً غيره وكان قد نصّب نفسه إله للناس جميعاً فدله الجليس على الغلام بعد التعذيب ثم عذّب الغلام فدله على الساحر فقتل الساحر والجليس وأراد قتل الغلام فلم يفلح بشتى الطرق، فدله الغلام على طريقة قتله والتي كان فيها إيمان الناس جميعاً برب الغلام، فعلم الملك بذلك، فأمر بالأخدود فشُق وهو الحز في الأرض وأوقد فيه النيران وأمر أعوانه أنه من لم يرجع عن دينه من الناس ألقوه فيه ففعلوا.

فقد لعنهم الله حين أوقدوا النار العظيمة اللهب وأحدقوا بها قاعدين حولها ليشرفوا على قتل المؤمنين ويشهدون على ذلك.

ولم يكن ما أنكروه عليهم سبباً لعذابهم فجاء باستئناف مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يُخشى عقابه وحميداً منعماً يُرجى ثوابه والله شاهد على كل شيء وعد للمؤمنين ووعيد شديد لمعذبيهم فإن علمه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما، بأنهم فتنوا المؤمنين المطروحين في الأخدود بالأذية والتعذيب ثم لم يتوبوا من فعلتهم ذلك وعن كفرهم لهم عذاب أليم ونار محرقة بسبب فتنتهم للمؤمنين.(١)

تصدر قصة الغلام وأصحاب الأخدود في وقت تتوالى فيه أخبار المذابح الجماعية وحرب الإبادة التي تتم للمسلمين في كل مكان، فقد قتل أصحاب الأخدود وقتل الغلام

١- أبو السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١)هـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت دار إحياء التراث العربي)، جزء ٩، ص ١٣٥-١٣٧.

والراهب والأعمى، ولا سبب لذلك إلا أنهم أسلموا وجوههم لله، فسنن التدافع بين الإيمان والكفر والحق والباطل ماضية في الخلق.

وكما كانت المواجهة بين الملك الطاغية وجنده من جهة والغلام والراهب والأعمى وأصحاب الأخدود مواجهة عقائدية وليست صراعاً على الملك أو الأمتار والتراب كل ذلك جملة الصراع العقائدي أو الأيديولوجي كما يعبر البعض.

فقصة الغلام وأصحاب الأخدود ، فهي معين لا ينضب بالدروس والفوائد، وزاد للغرباء الذين يسيرون على درب الاستقامة في وقت تغيرت فيه القيم وتبدلت فيه الموازين.[1]

وملخص القصة أن جماعة من المؤمنين الصادقين، ثبتوا على إيمانهم وإخلاصهم العبادة لخالقهم، فعذبهم أعداؤهم عذاباً شديداً، حيث حفروا لهم حفراً في الأرض، ثم أضرموا فيها النار، ثم ألقوا بالمؤمنين فيها وقد حكى القرآن ذلك بأسلوبه البليغ المؤثر.

فكانت الآيات تعجب من حال هؤلاء المجرمين، حيث عذّبوا المؤمنين، لا لشيء إلا من أجل إيمانهم بخالقهم، وكأن الإيمان في نظرهم جريمة تستحق الإحراق بالنار.[2]

*** الدروس والقيم التربوية المستفادة من القصة في المجالين السلوكي والفني:**

١- أن الحياة جعلها الله عز وجل نزاعاً موصولاً بين أهل الحق وأهل الباطل، إلا أن سنة الله تعالى قد جعلت العاقبة للمؤمنين الصادقين.

٢-أن الجزاء من جنس العمل فقد عذّب الله تعالى أصحاب الأخدود بالنار كما عذّبوا المؤمنين بالنار في الأخدود.

١- قصص القرآن عظات وعبر، ص ص ٣٨٥-٣٩٢، مرجع سابق.
٢- القصة في القرآن الكريم – طنطاوي، ص ص ٩٥٠-٩٥٧، مرجع سابق.

٣-أن أصحاب دعوة الحق دائماً معرضون للبلاء والاضطهاد والقتل في كل زمان ومكان وهذه سنة الله تعالى في عباده أن أهل الحق منهم محاربون من دعاة الكفر والضلال وهي سائرة إلى يومنا هذا ولا أدل عليه مما يجري في زماننا من القتل والتعذيب للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا.

٤- دعوة الجبارين والعصاة للتوبة مع كل ما يفعلونه وما فعلوه من الذنوب والآثام لأن باب الرجاء مفتوح وباب التوبة مفتوح والله هو التواب الرحيم.

٥- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في ثنايا القصة وهو أسلوب تربوي ناجح في العملية التعليمية.

٦- استخدام المعاريض للبعد عن الكذب كما هو حال الغلام عند قوله للساحر والأهل والتعمية على الراهب.

٧- أن الكرامات للأولياء شيء مشروع وله أصل في الدين فنؤمن به.

٨- الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم كما اعترف الراهب بفضل الغلام عليه.

٩- كتمان السر وما فيه شر إذا انتشر للحفاظ على أمن المجتمع وسلامته

الفصل الخامس :

مــع

ســورة طـــه

مع سورة طـه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾[1].

الأول : (تثبيت الرسول ﷺ والتخفيف من معاناته) :

تبدأ السورة بحرفين : " الطاء والهاء ؛ للتنبيه إلى أن هذه السورة كهذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف[2] " ، وقيل : هو اسم النبي ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمداً وروى عن النبي ﷺ أنه قال : " لي عند ربي عشرة أسماء " فذكر أن فيها طه و يس . وقيل هو أسم للسورة ومفتاح لها[3] ، والنص يحتمل هذا وذاك ؛ فالآية التالية تخاطب النبي محمداً ﷺ : " ما أنزلنا عليك القرآن لتتعذب بفرط تأسفك على كفار قريش "[4] " لكن تذكيراً لمن يخشى ؛ أي لمن شأنه أن يخشى الله تعالى ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته"[5] ، و " هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه

---

(١) سورة طه : الآيات ١ : ٨ .
(٢) في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٣٢٧ .
(٣) تفسير القرطبي ج١١ ، ص ١٦٦ .
(٤) تفسير البيضاوي ، ج٣ ، ص ١٤٢ .
(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٠ .

القادر على ما يشاء ، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها وخلق السماوات العلي بارتفاعها ولطاقتها " (١) .

ثم يعرف القرآن بعض صفات الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ، ويأتي بصفة الرحمن ليتناسب المراد في رفع الشقاء عن رسوله ﷺ ، وتجلي الرحمة عليه ؛ فهو سبحانه الرحمن المهيمن المستوى على العرش استواء معلوماً ، وكيفا مجهولاً لتصورات البشر ، كما يروى هذا المعني عن الإمام مالك - رحمة الله - (٢) .

ولله ما في السماوات وما في الأرض ؛ فهو مالكها والمتصرف فيها ، ويعلم ويملك ما بينها من الفضاء وما تحت الثري من تراب أو كل شيء فيه رطوبة ، فلا شيء يخرج عن ملكه ولا يستر عن علمه وقدرته .

وكذلك فإن الله مطلع على نفس النبي ﷺ ، ويعلم خلجات قلبه وذكره :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ .... ﴾ (٣) .

أي : تعلن به فإنه يعلم السر وأخفي . قال الحسن : السر ما أسره الرجل إلى غيره وأخفي من ذلك ما أسره من نفسه " (٤) .

فهو سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝ ﴾ (٥) .

يعرّف نبيه ﷺ بصفاته سبحانه كما عرفّها لموسى - عليه السلام - فهو رب كل شيء ولا إله سواه ، له الصفات والأسماء الحسنى بدأها بهذه السورة بالرحمن ، فهو سبحانه يرسل إلى فرعون مدع الألوهية رسلا يقول لهم :

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١٤٢ .
(٢) قال : الاستواء معلوم،والكيف مجهول،والسؤال عن هذا بدعة " ، الزرقاني ، محمد عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .
(٣) سورة طه : الآية ٧ .
(٤) معالم التنزيل ، ج٣ ، ص ٢١٢ .
(٥) سورة طه : الآية ٧ .

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1].

وهو القادر سبحانه أن يأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر.

وروي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائه إلا واحداً؛ من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" [2].

المضامين التربوية في هذا المقطع من السورة:

١. النداء في مطلع السورة باسم من أسماء نبيه – على هذا التفسير – يفيد التحبب ورفع المعنويات لأداء الرسالة.

٢. عدم التشديد على النفس وتحميلها فوق طاقتها؛ فالمشقة والشقاء مقصد مرفوض في الشريعة، وكان الله سبحانه قد حذر آدم من قبل من الوقوع في الشقاء في قوله

﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[3].

٣. التذكير بالقيم يفيد منَ عنده أرضية صالحة للتفهم والخشية لله فيسارع عند الذكري لتصحيح السلوك.

٤. القدرة لله تعالى والملكية المطلقة والعلم المحيط بكل شيء، يعطي الانطباع للإنسان في تلقي المنهج الإلهي باطمئنان وراحة نفسية، لاستحالة الخطأ في التوجيه.

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.
(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٦٣.
(٣) سورة طه: الآية ١١٧.

٥. مراقبة الله للإنسان في السر والعلن ، تجعل الإنسان والمجتمعات تنصاع إلى كل عمل خيّر وتنقطع عن أعمال الشر، طالما أن صفحتها مكشوفة عند الله.

٦. " في تمهيد نبوته ﷺ بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد . فإن هذه السورة من أوائل ما نزل"[1].

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝ ﴾[2].

الثاني : (قصة موسى عليه السلام) :

الباب الأول : موسى النبي .

(أ) المبحث الأول : تكليف موسى بالرسالة :

تسرد هذه الآيات الحديث عن موسى عليه السلام كيف ومتى حمل أعباء الرسالة الإلهية وتبدأ الآيات " باستفهام وإثبات وإيجاب معناه : أليس قد أتاك "[3] ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ ﴾[4]. لم يكن أتاه حديث بعد ثم أخبره[5].

(١) تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص ٤٢ .
(٢) سورة طه : الآيات ٩ : ١٦ .
(٣) تفسير القرطبي ، ج١١ ، ص ١٧١ .
(٤) سورة طه : الآية ٩ .
(٥) قال الكلبي ، تفسير القرطبي ، ج١١ ، ص ١٧١ .

و " من هنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى ، وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه ، وذلك بعدما قضى موسى الأجل الذي كان بينه هو وبين صهره في رعاية الغنم" [1] .

ويبدو أن موسى حنّ لأرض الوطن ورغب في زيارة أمه وأخته فاتجه نحو الطور يريد مصر " إنها جاذبية الوطن والأهل تتخذه القدرة ستاراً لما تهيؤه لموسى من أدوار " [2] .

وفي ظلمة إحدى الليالي رأى ناراً من بعيد ، فأمر أهله بالمكوث ليذهب ويأتي بقبس[3] . من النار للدفء أو يجد أحداً عندها يدله على الطريق أو أقرب طريق وكانت المفاجأة حيث سمع صوتا يناديه من غير أن يرى صاحب الصوت :

﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ﴾[4]

والخطاب هنا فيه تعريف وتكليف وتطمين ، والآية تفيد أن موسى قد ضل الطريق فجاءه التطمين : ﴿ .... إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ﴾[5] ، والوصف للمكان بالقدسية يعطي انطباعا جديداً لوجوب اتخاذ موقف مناسب فيه ، فكان الأمر بخلع النعلين ، ليدع لموسى المجال في الاستجابة والامتثال لأمر الرب سبحانه دون أن يغرق في متاهة التخيل للشكل المطلوب ، كما أن الاستجابة للأمر في خلع النعلين ينزع من النفس دهشتها لو هلة المفاجأة ، فلا يقف الشخص واجماً خائفاً منقبضاً بلا حراك .

بعد هذا التحرر من عقدة الخوف ، يأتي التكليف الجليل بحمل الرسالة :

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ ﴾[6]

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١٤٤ .
(٢) في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص ٢٣٣٠ .
(٣) القبس : " الشعلة من النار " ، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص٤ .
(٤) سورة طه : من الآيات ١١ :١٢ .
(٥) سورة طه : من الآية ١٢ .
(٦) سورة طه : الآيـــة ١٣ .

فالموضوع إذن جاء انتقائياً ، وممن ؟ من الله العلي العليم ؛ فالله يختار وموسى هو المختار من بين العباد كلهم ، فأي تكريم بعد هذا التكريم ؟.

ويشد الخطاب موسى فلا ينبس ببنت شفة [1] ، ويستمع للوحي كما أمر الله

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [2]

وكلمة التوحيد تلقي بظلالها على موسى لتؤكد له زيف ادعاء فرعون بالربوبية، وأن يوماً للحساب لا بد أن يأتي ليجازي كل امرئ بما كسبت يداه فاحذر أن يؤثر فيك إعراضهم عن يوم القيامة فيصيبك الهلاك .

بعض المضامين التربوية في مقطع السورة :

١. التعليم والتكريم للنبي محمد ﷺ بالأسلوب القصصي ؛ وذلك بقوله تعالى :

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ ﴾ [3] .

٢. المحافظة والرعاية للأسرة والزوجة والبحث عن أسباب الراحة لها .

﴿ ... فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ .... ﴾ [4] .

٣. المشاركة في أعباء الحياة بين الرجل والمرأة ، والصبر على تحمل المصاعب والمتاعب حيث كان موسى يبحث عن الطريق بعد أن ضل عنها ومعه أهله ﴿ ... أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ [5] .

٤. مخاطبة المكلف بأسمه دون وضع حواجز الألقاب أدعى للاستجابة وأحب إليه مما لو ناداه يا عبدي .. أو يا هذا .. كما أن المناداة بالاسم تزيل الوحشة في مثل ذلك الموقف الرهيب وتدعو للتحبب. ﴿ ..يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ .. ﴾ [6].

---

(١) أي لم يتكلم بكلمة ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج١ ، ص ٤٠٧ .
(٢) سورة طه : الآية ١٤ .
(٣) سورة طه : الآية ٩ .
(٤) سورة طه : من الآية ١٠ .
(٥) سورة طه : من الآية ١٠ .
(٦) سورة طه : من الآية ١١: ١٢ .

5. التعريف بقدسية المكان التعليمي ، يقوي في النفس قدسية العلم نفسه ﴿ ... إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾[1] . كما أن الالتزام بنظام معين وربما زي معين ، هو أيضا من مظاهر الانضباط التعليمي في صروحه المقامة ﴿ ... فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ... ﴾[2]. وتطبيق هذا النظام أو ذاك يعكس قابلية المتعلم للتلقي أو الرفض ، وبالتالي الاستفادة أو مجرد إضاعة الوقت

6. إشعار المتعلم بالاهتمام قبل الالتزام معنى جليل تشير إليه الآية الكريمة ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾[3] .

7. التعريف بمجمل المنهج وعدم الإطالة وتقسيمه إلى مراحل يتخللها شيء من البحث في شؤون الواقع يمهد لقابلية أشد في الأتباع والتلقي وحمل الرسالة فبعد طلب الاستماع لما يوحي عرض الله سبحانه وتعالى لموسى بشكل إجمالي : تعريف وتكليف ، وحكمة وتحذير :

﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[4] .

8. الصلاة والعبادة لله بإخلاص ، والفكر الصحيح المسند ﴿ ... لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾[5]

أدوات ضرورية في تحمل مشاق الوصول إلى الهدف المنشود . وهذا التكليف لموسى - عليه السلام - جاء قبل الكشف له عن مهمة المواجهة لفرعون فيما بعد .

(1) سورة طه : من الآية ١٢ .
(2) سورة طه : من الآية ١٢ .
(3) سورة طه : الآيــة ١٣ .
(4) سورة طه : الآيــة ١٤ : ١٦ .
(5) سورة طه : من الآية ١٣ .

ب) المبحث الثاني : معجزة موسى إلى فرعون :

جاءت معجزة موسى تحمل معنى البساطة ، ومنتقاة من البيئة التي يعيشها موسى ، وتتناسب مع أسلحة الخصوم - السحرة - في الصورة والمضمون . وكانت بهذا مواكبة للتطور الذي توصل إليه نخبة المجتمع الفرعوني من علوم .

وبعد الدرس الماضي من التعريف والتكليف ، ودهشة موسى - عليه السلام - ، وما أصابه من الوجوم والعجب والسكوت في الاستماع ، يخرجه الخطاب من هذا الجو الصامت بطريق السؤال ، ليفيق على مرحلة أخرى بعدها ، ليحمل معجزة إلى جانب الرسالة تتوافق مع شدة وهول المواجهة مع فرعون .

وإذا كانت المعجزة تتألف من محورين ، محور العصا - الثعبان - كواحدة في مواجهة السلاح بسلاح مثله أو أشد منه ؛ فإن الثانية هي محور اليد البيضاء التي تخرج من غير سوء لمن أراد أن يستجيب للسلام الذي يدعو إليه موسى دون الحاجة إلى العنف وإراقة الدماء .

تقول د. الدجاني ، زاهية : " وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعجزة الثانية التي أفاض بها الله تعالى على موسى ، قد تشير إلى أن كفاح موسى المقبل مع فرعون كفاح سلمي " [1]

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] .

(١) المفهوم القرآني والتوارتي ، ص ٧١ .
(٢) سورة طه . من الآية ١٧ : ٢٤ .

المضامين التربوية :

١. السؤال والحوار : أسلوب تعليمي مفيد ، وهو ضروري لنجاح العملية التربوية شريطة أن يكون السؤال بقصد التنبيه والالتفات والتفاعل لا أن يكون السؤال تعجيزياً ؛ كما هو الحال فى بعض المناهج التدريسية الموجهة للأطفال فى المراحل التعليمية والابتدائية ، حيث يعرض السؤال عن شيء مجهول لم يخبر به الطفل سابقاً ولا يكاد يستوعب فهم جوابه فيقف الطفل حائراً عاجزاً .

وموسى عليه السلام فطن لهذا المعنى ؛ فدعا ربه جل وعلا أن يشرح له صدره حتى يتيسر أمره وأن يحلل له عقدة من لسانه . ويذكر كثير من المفسرين سبب عقدة لسانه التهامه لجمرة وهو طفل زمن فرعون . ويبدو أن القصة ضعيفة فلا يعقل أن يحمل الطفل جمرة بيده فلا تحرق يده لتصل إلى فمه . وأطال بعض الباحثين حول هذه النقطة في النقل والتحليل بين أقوال المفسرين والمفكرين المسلمين المحدثين ، وبعض نصوص العهد القديم ، وخلص إلى القول أن" العيب الذي كان في لسان موسى لم يكن هو قلة الفصاحة بل حبسة في لسانه ... وأن لسان موسى لم ينفك تماماً " [١] .

والذي أميل إليه هو قول المناوي من أن حل عقدة لسانه " يعني به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة ، وإنما كانت في قوته التي هي النطق " [٢] .

فموسى عليه السلام ليس عيي اللسان ، وإلا لما رأيناه يدير الحوار كله مع فرعون وطلبه مؤازرته بأخيه هارون عللها بأنه أفصح منه لسانا ، وهذا لا ينفي الفصاحة عن موسى بل يثبتها له ، كما ورد ذلك في سورة القصص :

---

(١) سورة طه : دراسة لغوية أسلوبية مقارنة ، ص ٧١-٧٢ .
(٢) التعاريف ، ج١، ص ٦١٨ - ٦١٩ .

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

فخوف موسى من تكذيب القوم له ، وخوفه من مطالبته بدم الرجل الذي كان من آل فرعون إذ قتله قبل البعثة ، ربما يضعف ذلك موقفه فلا ينطلق لسانه بالحجة .يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

ولا أجد دلالة على عي لسان موسى من قول الله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾[3].

فكلام فرعون جاء من قبيل الاستعلاء من جهة ، والاستخفاف بموسى عليه السلام من جهة أخرى .وإذا كان فرعون يتكلم عن تاريخ موسى قبل البعثة ؛ فماذا كان يمكن لموسى أن يبين وهو في قصر فرعون ، يرى الظلم والتقتيل لأطفال بني إسرائيل؟ أليس أهدر فيها دمه عند أول حادثة وكز فيها رجلا من آل فرعون فقضى عليه من غير قصد في قتلة ؟

وابن كثير في تفسيره يكشف عن كذب فرعون في ادعائه فيقول : " قلت : وعلى كل تقدير فإنما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذباً . بيناً واضحاً ... ويعني بقوله " مهين " كما قال سفيان حقير.... " ولا يكاد

(١) سورة القصص : الآية ٣٤ .
(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢ : ١٤ .
(٣) سورة الزخرف : الآية ٥١ : ٥٢ .

يبين " يعني لا يكاد يفصح عن كلامه .. وهذا ما قاله فرعون لعنة الله كذب واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد " [1].

وجملة القول أن موسى عليه السلام طلب من الله تعالى تأييداً معنوياً ومادياً لحملته القادمة مع فرعون وقومه .

المضامين التربوية في مقطع السورة الآنف الذكر :

1. انشراح الصدر وانطلاق اللسان قضية أساسية في خدمة الأفكار التي يدعو إليها المصلحون .
2. الاستنصار بأهل الفصاحة والبيان يخدم الدعوة الإيمانية من الناحية الإعلامية وهو عمل لا يقل أهمية عن المواجهة بالقوة المادية .
3. المدافعون عن الدعوة ، المؤازرون لقيادتها هم أحق الناس بالاشتراك في الحكم وهي دعوة صريحة لنبذ التفرد والديكتاتورية .
4. تقريب الأشقاء وأهل العشيرة لا يكون على أساس عشائري ، وإنما على أساس المقدرة والكفاءة والإخلاص والقيام بأعباء العمل .
5. نتاج الحوارات والمواجهات الفكرية يجب أن ينصب في معين التسبيح لله تعالى وكثرة الذكر وشكر النعم التي أنعمها الله على الأفراد والجماعات ومن هذه النعم الإيمان والصحة والعقل ، وإن واجه الإنسان ابتلاءات وتمحيصا وتشريداً كما حدث مع موسى عليه السلام .
6. إجابة الراعي أو المسئول أو المعلم لطلبات الرعية أو الطلبة إذا كانت تلك المطالب هادفة وبناءة وتخدم المصلحة العليا للفكر والعقيدة والعبادة .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧/ ١٩٨٧، ج٤، ص ١٤٠ .

٧. عدم التخوف من مواجهة معالي الأمور، إذا عزم المرء وتوكل على الله وأخذ بالأسباب.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

الباب الثاني : حياة موسى الاجتماعية .

(أ) المبحث الأول : موسى في طفولته :

تصور الآيات حالة الفزع والخوف التي كانت تعيشها الأسرة ولد فيها موسى وهي حالة ليست فريدة ؛ فالقرار الفرعوني في تقتيل أطفال بني إسرائيل ، دفع أم موسى ويوحى إلهامي من الله تبارك وتعالى ؛ أن تقذف وليدها في التابوت فتقذفه في البحر فليلقه البحر على الساحل الفرعوني ، ليربى في بيت عدوه وعدو الله ، رغم كراهيتهم لهذا الصنف من البشر ، بل تلقى المحبة على الطفل الرضيع إلقاء . وتمشي الأخت لتدل القوم على من يرضعه لهم ، بعد أن حرم الله عليه المراضع.

هذا المقطع يشكل حياة طفولة موسى منذ الولادة .

(١) سورة طه : الآية ٣٧ : ٤٠ .

المضامين التربوية فيه :

١. الوحي يكون أحياناً بالإلهام ، طالما أمر بخير وتحقيق مصلحة ولم يخالف نصاً ولا عقلاً [1] صحيح أن إلقاء الطفل في البحر مخاطرة ولكنها أقل بكثير من مخاطرة تقديمه قرباناً للظالمين .

٢. عدم اليأس والقنوط في اللحظات الحرجة ؛ فلا طريق مسدود أمام المؤمنين بالله الذي يجعل لمن يتقي الله مخرجاً .

٣. كثيراً ما يكون تدمير الظالمين فيما يحيكونه من تدبير ؛ ففرعون يذهب ملكه على يد من آواه ، وأتاه من حيث لا يحتسب .

٤. التماسك الأسري في البيوت الإيمانية يعطي نتائج عظيمة ، فمبادرة أم موسى ومشي أخته لقص أثره أدت ليس إلى نجاة طفل رضيع فقط ، وإنما لتغيير حقبة من التاريخ ما كانت لتحدث لو تهاون أفراد الأسرة وسلموا زمامهم للأمر الواقع - كما يقال - .

٥. العناية بالأمهات وتكريمهن والحرص على إبعاد الحزن وأسبابه عنهن مقصد عظيم من مقاصد الشريعة ، يجب وضعه في سلم أولويات الحياة الاجتماعية .

٦. الأفراد الذين يتعرضون للأزمات والنكبات ، عندهم قابلية الضلوع في أمور عظيمة إذا وافق ذاك قدر ليصنع بأيديهم .

٧. التوكل على الله والنظرة التفاؤلية للحياة تعطي فرصا حقيقية للنهضة والغلبة والنصر.

(١) الوحي والإلهام : هو الكلام الخفي الذي يدور في نفس الموحي إليه ، ويتفاعل مع هواجسه ومشاعره حافزاً إياه إلى التصرف والتنفيذ الفعلي أو القولي ، وليس هو وحي الأنبياء ، قصص القرآن الكريم ، ص ٤٧٦ .

ب) المبحث الثاني : موسى في رجولته وشبابه :

﴿ .... وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

هذه الآيات لم تفصل تفصيلا كاملا لحياة موسى عليه السلام ، وإنما تناولت ما يتناسب مع وقائع الأحداث والأدوار الرئيسة في مواجهة فرعون ودعوته إلى عبادة الله .

وهي أدوار تشكل عقداً في تسلسل القصة ؛ فقاتل للنفس مطلوب ؛ كيف سيواجه خصومه ؟ وغريب عاش بعيداً عن وطنه متخفياً متوجساً ؛ كيف يعود للظهور في الحياة عند طالبيه ؟

ثم تفصح الآيات عن نفوذ يد القدرة الإلهية في الموضوع من أوله إلى آخره .

المضامين التربوية :

١. النظرة الإيمانية لإزهاق الأرواح نظرة تحفظية ؛ حتى وإن كانت تلك الروح هي من الخصوم والأعداء ؛ فالقتل في حد ذاته ليس هدفاً في النزاعات .
٢. النفس الإيمانية تأبى أن تتعايش مع الخصومة والشجار والقتل وإن كان عن غير عمد . فقد أصاب موسى عليه السلام الهم والغم جراء ما فعل .
٣. جواز وإباحة الفرار من وجه المحاكمات التي لا تحكم بالعدل والإنصاف والإيمان :

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[2] .

٤. الفتنة والابتلاء والاختبار تصنع الرجال الأشداء ؛ فلا يحمد أن تواجه بالاعتراض والتذمر والارتياب .

(١) سورة طه : من الآية ٤٠ .
(٢) سورة الشعراء : الآية ٢١

الباب الثالث : عودة موسى لآل فرعون لدعوتهم .

(أ) المبحث الأول : حمل الرسالة إلى فرعون :

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ﴾(١).

مضمون الرسالة إلى فرعون : أن يرجع عن طغيانه :

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٢)

أي يتعظ ويخاف ويسلم .فإن قيل : كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم ؟ قيل معناه : اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما " (٣)

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ..... ﴾(٤).

" فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ومن شأنه أنه يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان" (٥) .

وتنشأ هنا صورة من صور الحوار بين الله سبحانه ونبييه موسى وهارون لينتقل المشهد من موقع مفاجأة موسى لربه عند الطور لـ " يطوي السياق المسافات والأبعاد

(١) سورة طـــه : الآيات ٤١ : ٤٨ .
(٢) سورة طـــه : الآيات ٤٣ : ٤٤ .
(٣) تفسير البغوي ، ج٣ ، ص ٢١٩ .
(٤) سورة طـــه : من الآية ٤٤ .
(٥) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٣٦ .

والأزمان ، فإذا هارون مع موسى ، وإذا هما يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون ، ومن التسرع في أذاه ومن طغيانه إذا دعواه " [1].

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

ويطمئن موسى لوعد ربه فذهب عنه الروع والخوف وقدم هو وأخوه إلى فرعون لتبليغه رسالة ربه .

المضامين التربوية :

١. انضمام هارون إلى موسى في دعوته يؤكد على مبدأ التعاون في مجال البر والتقوى وهو أمر مطلوب دائماً .

٢. كل طريق يحتاج إلى زاد ﴿ ... خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ... ﴾[3] ، وذكر الله تعالى خير زاد لمواجهة الصعاب ؛ فهو من جانب فيه استغاثة والتجاء إلى الله ومن جانب آخر يعطي القلب قسطاً من الهدوء والراحة والطمأنينة . وهو أمر لا غنى عنه في مثل هذه المواقف .

لذلك أشارت الآية : ﴿ ... وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾[4] أي لا تضعفا .

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) سورة طـه : الآيات ٤٥ : ٤٨ .
(٣) سورة البقـرة : من الآية ١٩٧ .
(٤) سورة طـه : من الآية ٤٢ .

٣. التغيير في المجتمعات يأتي عادة من جهة أصحاب القرار؛ فإذا كان المجتمع تحكمه المؤسسات؛ فالتغيير بحاجة إلى فعاليات الأفراد المنتمين إلى تلك المؤسسات.

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ .... ﴾[1].

وإذا كان المجتمع يخضع لحكم ديكتاتوري فالتغيير لا يتأتى إلا من جهة صاحب القرار فيه، وهو أعلى سلطة حاكمة؛ لذلك جاء التكليف لموسى وأخيه ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] هكذا مباشرة؛ فلا أحد غيره يملك قراراً في مملكته، ومع ذلك فهو طغى وتجاوز الحد، ولم يجد من يردعه.

٤. الدعوة باللين والحكمة والموعظة الحسنة تؤتي ثمارها:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

والرسول محمد ﷺ يؤكد على هذا المعنى بقوله " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه "[4].

٥. كلما زادت وقويت السلطة من غير وازع إيماني أو أخلاقي، وفي ظل غياب يبدأ المحاسبة؛ كان في المقابل زيادة في البطش والظلم والطغيان، وعدم التحكم في الانفعالات:

﴿ .... نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾[5].

ويقول النبي ﷺ: " إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان "[6].

---

(١) سورة الرعد: من الآية ١١.
(٢) سورة طه: الآية ٤٣.
(٣) سورة طه: الآية ٤٤.
(٤) صحيح مسلم، ج٤، ص ٢٠٠٤.
(٥) سورة طه: من الآية ٤٥.
(٦) مسند أحمد، ج٤، ص ٢٢٦.

٦. الخوف انفعال سلبي لا تقوم معه حضارة لأفراد ولا مجتمعات ، وهو داء يمكن معالجته بالإيمان والخوف من الله ، والوعي والعلم والتضحيات .

٧. التمادي في الظلم والعدوان يقرب أصحابه من الهلاك ؛ فكلما اشتدت الأزمات ، لا بد وأن تكون يد القدرة الإلهية تهيئ الأسباب للتغيير :

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] .

فالله سبحانه يعدّ موسى وهارون لمهمة هو يعلم أولها وأخرها ، ويعلم أسبابها ونتائجها .

ب) المبحث الثاني :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾[2] .

وعند هذا الحديفهم فرعون فحوى الكلام ومدلوله ، ولم يعلق على قضية بني إسرائيل فلا إنكار في تعذيبهم ، ولهوانهم عليه لم يلتفت حتى لموضوع خروجهم كأحد مطالب موسى والشيء الذي شده : قضية الربوبية :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[3] .

وبهذا فتح باب الحوار ، وهو اعتراف ضمني بالمقابل اعتراف الند والنظير ، بعد أن كان موسى طريداً مطلوباً .

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا

(١) سورة طـه : الآية ٤٦ .
(٢) سورة طـه : الآيات ٤٧ : ٤٨ .
(٣) سورة طـه : الآية ٤٩ .

يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

ويجيب موسى عليه السلام ويعرف صفات ربه وخالقه ، معرّضا بغفلة فرعون عن نعم الله التي يتنعم بها ولا يؤمن به ولا يشكره ، ويقرب إليه الإيمان بضرب الأمثلة الحسية ، وذلك بنزول المطر واختلاف النباتات ، ومن ثم البعث للأموات ولكن فرعون يكذب ذلك كله رغم الآيات والدلائل ، ويتهم موسى بالتآمر والسحر وكانت التهمة الأولى لإحباط المشروع السياسي لإخراج بني إسرائيل ، والثانية لنزع صفة النبوة التي جاء بها موسى وإنهاء الأفكار التي يحملها ، وهي أفكار بلا شك تؤثر على سلطان فرعون وتجبره وتسلطه وادعائه الربوبية .

ويطرح فرعون - متحدياً - لقاءاً يجمع موسى والسحرة ؛ ليثبت وجهة نظره ويصرف موسى وما جاء به من أفكار.

المضامين التربوية :

١. رفع الظلم عن الشعوب هو مطلب من أولويات العمل لبناء الدولة النموذجية فالدعوة إلى فرعون إلى أن يتذكر أو يخشى لم تترك فراغا وانتظاراً لأحقاب الزمن حتى يمن على الشعب بالرضى والعدل ؛ فكان لزاماً أن يصاحب ذلك إخراج بني

---

(١) سورة طـــه : الآيات ٤٩ : ٥٩ .

إسرائيل من أرضه وتخليصهم من عذابه فالشعب المقهور لا يقوى على العطاء والإبداع .

٢. من علامات نجاح الزعيم الصادق والمخلص : اهتمامه بقضايا شعبه وتخليصهم من نير الاستعباد والعذاب .

٣. أية دعوة لا يقيم أصحابها الدليل من الواقع على صدق أفكارها وصحة مسارها لا تكتب لها الحياة :

﴿ ..... فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] .

٤. ضرورة تفعيل الدور الإعلامي ونفي التشكيكات التي تثار من جهة الأعداء والاعتماد على الخطاب اليقيني ليسود السلام الحقيقي والاطمئنان ربوع الناس

٥. توظيف الآيات الكونية لإثبات دلالاتها العقدية ، وتصحيح المفاهيم العالقة في أذهان المنكرين للغيب .

٦. قبول التحدي القائم على أساس حصر الوجود والحياة والإنسان في النظريات المادية وإقامة المهرجانات العلنية من قبل المؤمنين المتمكنين في العلم والتخصص والثقافة ؛ لإنقاذ البشرية من علمنة العصر.

٧. عدم استهانة الدعاة بخصومهم وأساليبهم وقدراتهم ؛ مما يستدعي التهيؤ والإعداد الكافي للمواجهة الفكرية ، والتنبه لاحتمالات نقل الصراع وتسييسه بغرض الإيقاع والاتهام .

---

(١) سورة طــــه : من الآية ٤٧ .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ۝٦٣ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ۝٦٤ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦ ﴾[1].

(ج) المبحث الثالث: حوار موسى للسحرة :

يدرك موسى عليه السلام صنيع الكيد الفرعوني ، ويهاجم السحرة قبل النزال ليضعف شيئاً من عزيمتهم ومعنوياتهم :

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ ﴾[2].

وفعل السحر في هذا المقام لا يحسب على أنه مجرد ألعاب بهلوانية وتحويل العصى إلى أفاعي .فالجماهير المحتشدة في يوم الزينة أحد الأعياد الوطنية الفرعونية ، سوف تتجه في إيمانها لأحد الفريقين ؛ فإذا نجح السحرة تسببوا في إضلال الناس إلى يوم يبعثون لذلك تجرأ موسى في تسفيه أحلامهم بقوله :

﴿ ..... وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾[3].

ويبدو أن هذا الخطاب أثر في بعضهم ؛ فسارعوا إلى التناجي ليكونوا فريقا واحداً يؤيد فرعون ؛ فرددوا التهم التي ألقاها فرعون نفسها :

---

(١) سورة طـــه : الآيات ٦٠ : ٦٦ .
(٢) سورة طـــه : الآيـــة ٦١.
(٣) سورة طـــه : من الآية ٦١.

﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾[1].

أي : " ويستبدا بهذه الطريقة وهي السحر دونكم ، ويسيطران على مكاسبها المادية ومراتبها ، وهذا يدل على أن السحرة نظروا إلى موسى وهارون على أنهما منافسان خطيران لهم على صناعة السحر وأرباحها وفوائدها "[2].

ثم وصى بعضهم بعضاً بالاتحاد والقوة للفلاح والاستعلاء ، وخيروا موسى بالإلقاء فقدمهم موسى ليرى سحرهم وإعدادهم ، فألقوا الحبال والعصى فتحولت إلى مئات الثعابين [3].

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[4].

والخوف الذي انتاب موسى عليه السلام هو " أن يفتتن الناس قبل أن يلقي عصاه "[5] فخاف أن يتفوق السحرة ، وقد ﴿ ... وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[6] ولكنه أضمر هذا الخوف رغم أن الخوف الفطري لا يعيب ، والحنكة في المواجهات أن يتجلد المرء تجاه الأعداء .

ولم تطل هواجس موسى حتى جاءه الوحي من الله :

---

(١) سورة طـه : الآيـة ٦٣.
(٢) سبيل السعادة في سورة طه ، ص ٥٤ - ٥٥.
(٣) قيل في عدد السحرة : إنهم كانوا تسعة عشر ألفا ، وخمسة عشر ألفا . وعن ابن عباس : كانوا سبعين رجلا . انظر: تفسير ابن كثير ، ط ، بيروت ، ١٤٠١ ، ج٣ ، ص ١٥٩ .
(٤) سورة طـه : الآيات ٦٧ : ٦٩.
(٥) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .
(٦) سورة الأعراف : من الآية ١١٦.

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ ﴾[1].

وهكذا كان .. وألقي موسى عصاه ؛ فإذا هي حية كبرى تبتلع ما ألقاه السحرة.

قال القرطبي : " فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاغر فاه يبتلع حبالهم وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها " [2]

المضامين التربوية :

١. الاهتمام بالرأي العام وأثره ؛ ففرعون كان قادراً أن يقمع موسى فيسجنه أو يقتله عند لقائه وحواره ، ولكنه آثر ألا يفعل ذلك .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝ ﴾[3].

٢. الاهتمام بالبث الدعائي ، وتقويض مواقف العدو .﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ ... ﴾[4] فأثر قوله فيهم ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم ... ﴾[5].

٣. عدم إظهار الخلافات الداخلية وتعدد وجهات النظر فيما يتعلق بالحروب والمخاصمات ، والظهور بالموقف الثابت .

٤. الحرب الدعائية عادة تقلب الحقائق، ولا تعتمد المبادئ والأخلاق في عملها فالسحرة اتهموا موسى كما اتهمه فرعون من قبل أنه يريد إخراجهم من أرضهم في الوقت الذي كان موسى يريد إخراج بني إسرائيل وترك الأرض وما عليها لهم

٥. الصبر والصمود أمام صولة الباطل ؛ فالسحرة كانوا يرتجون ثواب الدنيا دون تمييز أو ترجيح لجانب الحق .

---

(١) سورة طـــه : الآيات ٦٨ : ٦٩.
(٢) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٢٢٢ .
(٣) سورة طـــه : الآية ٦٠ .
(٤) سورة طـــه : من الآية ٦١ .
(٥) سورة طـــه : من الآية ٦١ .

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[1].

ويروى عن علي بن أبي طالب ﷺ قوله : " صولة الباطل ساعة ، وصولة الحق إلى قيام الساعة " [2].

٦. الاستفادة من عنصر المفاجأة في المواجهات ؛ فموسى عليه السلام خير بين أن يلقي أو يلقي السحرة . فاختار أن يؤخر مفاجأته من جهة ويطلع على قوة وسلاح العدو من جهة أخرى ؛ لعله يجد الرد المناسب .

٧. كل كيد يقوم على أساس صناعة الأباطيل وتخويف الضعفاء .﴿ .... سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ... ﴾[3]. والتزوير وقلب الحقائق ؛ لا يكتب له الفلاح ولا النجاح .﴿ .. وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[4].

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .
(٢) خزانة الأدب ، ج١ ، ٧٤.
(٣) سورة الأعراف : الآيـة ١١٣ .
(٤) سورة طـه : من الآية ٦٩ .
(٥) سورة طـه : الآيـات ٧٠ : ٧٦.

(د) المبحث الرابع : حوار السحرة لفرعون بعد إيمانهم :
" الإيمان وتخلخل موازين القوى "

كل القوة المادية كانت بجانب فرعون وجنده - المكان والزمان والجمهور - ولم يخطر ببال أحد منهم أن موازين القوى ستنقلب في لحظة - لحظة التقام حية موسى جميع الأفاعي التي ازدحمت فيها حلبة اللقاء - وجاء التعبير بـ ﴿ .. تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ... ﴾[1] لتضفي على الجو سرعة الحركة للأكل[2] .فأسقط في يد السحرة ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾[3] فقد فرعون سلاحه الذي أعده وجمعه ، وانقلب على أصدقائه ومناصريه . ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾[4] .

اعترض على إيمان بغير إذنه واتهم وحكم وتوعدّ وعربد[5] . وبهذا حرف الحوار عن مساره وطبيعته .

إنه لم يفعل ذلك مع موسى ؛ ألان الهيبة والجلال اللذان اتسم بهما النبي بتأييد الله تعالى ؛ حيث قضى فقال :

﴿ ... لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]

أم لأن فرعون لم يتحمل صدمة النتيجة فأخذ يتخبط في قوله وفعله مع السحرة ؟ .

---

(١) سورة طـــه : من الآية ٦٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ص ٢٥٩٥ .
(٣) سورة الأعراف : الآيات ١١٧: ١٢١ .
(٤) سورة طـــه : الآيات ١١٧: ١٢١ .
(٥) عربد : العربدة : سوء الخلق . ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره ، لسان العرب ، ج٣ ص٢٨٩ .
(٦) سورة طـــه : من الآية ٦٩ .

في الصورة المقابلة اتسم السحرة بالإيمان والهدوء والقوة في المنطق والتحدي وتسلسل الأفكار.

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]

ونادراً أن يقف أحد موقف السحرة بعد إيمانهم ذلك الموقف الرهيب العجيب فتهديد فرعون ووعيده لم يضعف عزيمتهم، بل جاء إيمانهم يفوق التصور فأثروا الآخرة على الدين، وأثروا الدلائل والبراهين على زخارف الملك ووقفوا موقف التحدي، واعترفوا بذنوبهم في العهد السابق، وطلبوا المغفرة من الله، وأقروا بالآخرة وثوابها وتبرؤوا من النار وأصاحبها وطمعوا في الدرجات العالية في الجنة وانتهى أمر السحرة عند فرعون؛ "فقتلهم وصلبهم ... وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فخالف بين العضوين في القطع .... ويقال: إن أول من سن هذا القطع فرعون " [2].

المضامين التربوية:

1. المبادرة والإسراع في اقتناص فرص الخير، والتمسك بالحجج والبراهين:

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[3].

2. السجود علامة وشعار الإيمان يتصف به المؤمنون كل عصر؛ فلا ينبغي أن ينصرف لغير الله.

3. مناصرة أهل الباطل تنتهي بانقلاب بعضهم على بعض.

---

(1) سورة طـه: الآية ٧٢.

(2) تفسير الطبري، ج٩، ص٢٣-٢٤.

(3) سورة طـه: الآية ٧٠.

٤. إلقاء التهم جزافاً تدل على إفلاس فكري عند أهل الباطل ، وتشير بتضعضع موافقهم .

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ... ﴾[1] .

٥. التفنن في تعذيب البشر يدل على الانحدار الفكري والانحراف العقدي والتوتر النفسي لدى الظالمين المتسلطين .

٦. التضحية بالنفس والمال والشهرة والمنصب هي ضريبة المؤمنين المجاهدين في كل عصر ؛ يدفعونها كلما كانت مصلحة عامة تقتضي هذه التضحية .

٧. الإيمان الصادق يقتضي التبرؤ من الخطايا والتمرد على عمليات الإكراه والضغط الذي يمارس عادة من قبل أصحاب النفوذ لشراء الذمم والضمائر .

٨. الدعوة بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة لا بد أن تؤتي ثمارها ولو بعد حين. فالسحرة في لحظة إيمان استعادوا الأفكار والتعاليم التي سمعوها من هارون وموسى فيما مضى ليترنموا بها على مسمع فرعون والجماهير الحاضرة يوم الزينة الذي تحول إلى يوم بئيس في تاريخ فرعون .

٩. خمود الدعاية المضللة بعد انكسار شوكتها وهزيمتها ؛ فإيمان السحرة وسرد بيانهم الإيماني لم يجد مقاطعة ولا معارضة كلامية من فرعون وقومه ولا وجد حواراً ، وانتهى الإعلام الفرعوني عند آخر تهديد ووعيد لهم ، ولم يؤثر فيهم .

١٠. المواقف الإيمانية العظيمة تشكل تزكيه واقعية للنفس وتمهد الطريق إلى الجنة .

---

(١) سورة طـــه : من الآية ٧١ .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾(1).

الثالث : (الطور الجديد في حياة بني إسرائيل) :

(أ) المبحث الأول : غرق فرعون بعد خروج بني إسرائيل :

بعد أن أنهى فرعون حسابه مع السحرة ؛ أراد أن يأتي بموسى وبمن معه للمحاكمة أو القصاص ، ولكن أمر الله تعالى سبق لموسى ؛ فأوحي الله سبحانه إلى موسى أن يخرج بعباده ليلاً تجاه البحر ، ولفظة عباد هنا للتشريف للمؤمنين الذين اتبعوا موسى .

ومسير الليل كان قد تدرب عليه موسى من قبل ، وهو خبير في الطريق التي أعد لها فخرج مطمئنا بوعد الله ﴿ ... لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾(2) وأسرع فرعون وجنده في اللحاق بهم ؛ فشاهد بعضهم بعضاً عند شاطئ البحر ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(3) . ويجيب موسى إجابة الواثق ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾(4) .

---

(1) سورة طـــه : الآيـــات ٧٧ : ٨٢ .
(2) سورة طـــه : من الآية ٧٧ .
(3) سورة الشعراء : الآيـــة ٦١ .
(4) سورة الشعراء : الآيـــة ٦٢

وهنا يضرب موسى البحر بعصاه فينشق البحر وينعزل الماء فيعبر موسى ومن معه ويتبعهم فرعون وجنده لاحقين بهم ؛ فيخرج موسى وقومه ومن معه ، ويغرق فرعون وجنوده ، وبهذا يكون فرعون جر على قومه الويل والهلاك وما هداهم سبيل الرشاد .

ويذكر الله سبحانه بني إسرائيل بما أنعم عليهم ليبدؤوا حياة آمنة مطمئنة وأنزل عليهم من السماء رزقاً وحذرهم من الطغيان حتى لا ينزل بهم غضبه فاتحاً لهم باب التوبة لمن يخطئ ويستغفر.

المضامين التربوية :

1. المبادرة والسرعة في درء الأخطار والاستعانة على ذلك بالسر والكتمان حتى لا يستفيد العدو من خبر تحركات المؤمنين ﴿ ... أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى... ﴾[1] أى سربهم ليلاً .
2. رفع المعنويات والتطمينات الحقيقية للجند هو درس للقيادة في دعم أفرادها في الملمات الصعبة ﴿ ... لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝٧٧ ﴾[2] .
3. الحرص واليقظة والتنبؤ لتحركات العدو وملاحقاته .
   ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ ... ﴾[3] .
4. التواضع في وصف النصر الذي تحققه الأمة ، وعدم الإطالة في التشنيع والمهاترات فالنص القرآني اختصر القضاء على فرعون وجنده بقول ﴿ ... فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۝٧٨ ﴾[4] .

(1) سورة طـــه : من الآية ٧٧ .
(2) سورة طـــه : من الآية ٧٧ .
(3) سورة طـــه : من الآية ٧٨ .
(4) سورة طـــه : من الآية ٧٨ .

5. الهدف من المواجهات بين المؤمنين وأعدائهم في المنظر الإسلامي تحقيق الهداية للبشر، ورفع سلطان القيادات الضالة التي تعمل على انحراف مسيرة الإيمان عند الناس ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾(1).
6. الاهتمام بالإصلاحات الداخلية، وخصوصاً الاقتصادية منها وتحقيق الأمن الغذائي كمطلب رئيس، وذلك فور انتهاء المواجهات مع الأعداء. ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾(2).
7. التحذير من الرخاء والحياة الرغيدة أن تؤدي بأصحابها إلى الطغيان ومن ثم حلول غضب الله تعالى، حال عدم الشكر على نعمه. ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ... ﴾(3).
8. التعامل مع الأخطاء والزلات العابرة بروح التسامح شريطة الإيمان والاجتهاد في المجال الإصلاحي والتسديد نحو الهداية. ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾(4).

﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ

(1) سورة طــه : الآيــة 79 .
(2) سورة طــه : الآيــة 80 .
(3) سورة طــه : من الآية 81 .
(4) سورة طــه : من الآية 82 .

إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾(١).

ب) المبحث الثاني : تجسيد ردة بني إسرائيل في قصة السامري :

ما بين نجاة بني إسرائيل من فرعون في البحر وقضية السامري وصناعة العجل، وبين غياب موسى لميقات ربه ؛ كانت ردة لبني إسرائيل خلال فترة وجيزة، لا تتجاوز الأربعين يوماً ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾(٢).

وموسى عليه السلام يوصي أخاه هارون وهو يستشعر شيئاً من الفساد في نفوس بني إسرائيل ؛ فقد سبق وأن سألوا موسى أن يجعل لهم صنماً ليعبده . يقول الله تعالى ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(٣).

وعند مواعدة موسى لميقات ربه يلبث بنو إسرائيل أن انقلبوا على أعقابهم كفراً وظلماً . ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(٤).

وكان " موسى اختار من قومه سبعين رجلاً حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة ، فسار بهم ، ثم عجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه عز وجل ، وخلف السبعين وأمرهم

---

(١) سورة طــه : الآيات ٨٣ :٨٩ .
(٢) سورة الأعراف : الآيــة ١٤٢ .
(٣) سورة الأعراف : الآيــة ١٣٨ .
(٤) سورة البقــرة : الآيــة ٥١ .

أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ ﴾[1] قال مجيباً لربه تعالى: ﴿ ... وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤ ﴾[2]؛ لتزداد رضا ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ... ﴾[3] أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون"[4] ﴿... وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥ ﴾[5].

وبغض النظر عن شخصية السامري وقوميته؛ فالنصوص توحي بأنه رجل استغل فترة غياب موسى، ونزعة الصنمية في نفوس بني إسرائيل؛ فصنع لهم عجلاً من الحلي برسم التزيين في عيد لهم قبيل الخروج من مصر"[6].

وكان السامري استخدم شيئاً من موروث الدين والإيمان والآيات؛ فأخذ ملء كفه من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام[7] فنبذها "على حلية بني إسرائيل فانقلبت عجلاً"[8] فعبدوه وقالوا قولاً فاحشاً كما أخبر عنهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ ﴾[9].

وعندما رجع موسى إلى قومه غضب غضباً شديداً وأنب قومه على ما فعلوا فاعتذروا بأعذار لا وجه لها ولا شبهة، وكان يكفي أن يدركوا حقيقة العجل الصنم وهو لا يتكلم ولا يجيب ولا يملك ضراً ويملك نفعاً.

---

(1) سورة طـه : من الآية ٨٣.
(2) سورة طـه : من الآية ٨٤.
(3) سورة طـه : من الآية ٨٥.
(4) تفسير البغوي، ج٣، ص٢٢٧.
(5) سورة طـه : من الآية ٨٥.
(6) روح المعاني، ج١٦، ص ٢٤٦.
(7) التبيان في تفسير غريب القرآن، ج١، ص ٢٨٩.
(8) الدر المنثور، ج٥، ص ٥٩٦.
(9) سورة طـه : من الآية ٨٨.

المضامين التربوية :

١. ابتعاد القيادة عن مسرح الأحداث تترك فراغاً يمكن أن يستغل من قبل المغرضين فغياب موسى في ميقات ربه استغلة السامري ؛ فأضل القوم عن سواء السبيل

٢. التربية الإيمانية تحتاج إلى فترات طويلة متعاقبة ؛ حتى تمسح الرواسب الجاهلية العالقة في أذهان ونفوس حديثي العهد بالإيمان .

٣. خطورة الفتن الفكرية والعقدية حيث تؤدي غالباً إلى الضلال وربما الكفر والإلحاد

٤. التمسك بأمور دينية تشريعية ؛ لا يكفي ولا يدل على سلامة الاعتقاد بالضرورة فبنو إسرائيل أرادوا التخلص من أوزار الحلي المستعارة من القبط بزعمهم فألقوها في صياغة العجل الذي عبدوه ؛ حيث استدرجهم لذلك السامري .

٥. ضرورة الوعي والتنبيه لدعوات المغرضين في استغلال بعض الأحكام الدينية عند البسطاء من الناس .

٦. التلطف بالجهلة والمنحرفين في دعوتهم وتصحيح مسارهم وسلوكهم حتى لا يتسع الخرق على الراتق . ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ... ﴾[1] .ولفظة " يا قوم " فيها شيء من التحبب والتقرب .

٧. الاستماع إلى حجة الجاهل وإن كان لا قيمة لها ، ولكنها في النهاية تفيد في معرفة مصدر الضلال الذي ينفث في خلد الجاهلين ﴿ ... فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾[2] .

---

(١) سورة طـــه : من الآية ٨٧ .
(٢) سورة طـــه : من الآية ٨٧ .

٨. استخدام الخطاب والحوار العقلاني وقطع الشبهات عقلا ، ومقصد من مقاصد الشريعة لا غني عنه ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾[2].

(ج) المبحث الثالث : هارون في مواجهة المحنة :

لم يترك هارون عليه السلام " الحبل على الغارب "[3] في فتنة إسرائيل وعبادتهم العجل وإنما حاورهم وبين لهم ، وخاطب عقولهم ووجدانهم ، وتودد إليهم :

﴿ ... يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴾[4]

يقول هارون : " إنما فتنتم به - العجل - إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيهم الخوار ؛ ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه "[5].

(١) سورة طـــه : الآيـــة ٨٩ .
(٢) سورة طـــه : الآيات ٩٠ : ٩٤ .
(٣) الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم حبلك على غاربك ؛ أي اذهبي حيث شئت - الناقة - ، مختار الصحاح ، ص ٤٧٠- ٤٧١ .
(٤) سورة طـــه : من الآية ٩٠ .
(٥) تفسير الطبري ، ج١ ، ص ٢٨٢ .

ولكن القوم لم يستجيبوا لنصح خليفتهم النبي : ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[1] ؛ " أي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى ؛ فننظر هل يعبده كما عبدناه " [2] .

ويعود موسى عليه السلام على أخيه هارون في الحوار بعد أن انتهى من حوار قومه الذين أوصلوه إلى طرف خيط الضلال " السامري " ، وكان حواراً قاسياً مع هارون فأين الأثر والدفاع عن الدعوة وهو موكل بها ومستخلف من قبل موسى ، ونبي مشارك منذ بداية الدعوة والنبوة ؟ .

فنجد موسى صب على أخيه " جام غضبه منكراً تقصيره في تحمل مسؤوليته فيطلب منه أخوه ألا يشمت به الأعداء ؛ فقد استضعفوه وكادوا يقتلونه "[3] .

ونجد الانفعال الناتج عن غضب موسى يتحرك وينتقل بصورة عنيفة فيشد رأس أخيه ولحيته ، ونجد في المقابل شخصية هارون الهادئة الرزينة من غير انفعال فهو عليه السلام محاور ودبلوماسي من الطراز الفريد ، ولم يكن ذلك عن ضعف ولا هوان فهو غلب المصلحة العليا وأخذ بأخذ الضررين ؛ مداراة لبني إسرائيل خشية الانقسام والاختلاف والتفرق ﴿ .... إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[4] .

وهكذا نجد هارون أهدأ أعصاباً وأملك لانفعاله من موسى ؛ فهو يلمس في مشاعره نقطة حساسة ، ويجئ له من ناحية الرحم وهي أشد حساسية ، ويعرض له وجهة نظرة في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره ، وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو

(١) سورة طـــه : الآية ٩١ .
(٢) تفسير القرطبي ، ج١١، ص ٢٣٧ .
(٣) لغة الحوار في القرآن الكريم ، ص ٤٩ .
(٤) سورة طـــه : الآية ٩١ .

إسرائيل شيعاً ؛ بعضها مع العجل وبعضها مع نصيحة هارون ، وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمراً " [1] .

واستطاع هارون بحنكته وهدوئه أن يمتص الغضب الثائر في نفس موسى ليتجه مبدأ المحاسبة والمحاكمة في مساره الصحيح والأساس، وعدم إهدار الجهود في معالجات جانبية ؛ فنرى موسى بعد ذلك قد اتجه إلى السامري يحاوره ويحاكمه

المضامين التربوية :

١. قوة السلطان توجد عند الناس رادعاً أقوى من سحر الموعظة وحجة العقل والبيان وهي هنا متمثلة بموسى عليه السلام ؛ فكان غيابه قد أغرى الإسرائيليين في التمرد على وعظ هارون ونصيحته ؛ لذلك نرى في الأثر : " إن الله لينزع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن " [2] .
٢. الجهل والضلال يقترنان غالبا بالعناد ، ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ [3] .
٣. الثقافة والفصاحة والبيان علامات فارقة في بناء الشخصية السياسية المحنكة
٤. الانقسام والتفرق والاختلاف كبيرة لا تقل خطورة عن الانحراف العقدي والفكري ، بل إن الدولة تستوعب الخلاف ، ولكن الاختلاف والنزاع والتفرق لا يقيم دولة ولا يساهم في إنشائها .
٥. الصبر والتحمل للانفعالات الشخصية ظاهرة صحية في استيعاب الخلاف لتغليب المصحة العامة .

---

(١) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٨

(٢) هذا الأثر ذكره ابن كثير مرفوعاً في تفسيرة ، ج٣ ،ص ٦٠ ، وذكره ابن تيمية في فتاويه منسوباً إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه . أنظر مجموع الفتاوي ، ج١١، ص٤١٦ .

(٣) سورة طـــه : الآية ٩١ .

٦. تفعيل الاتصال بين أفراد الدعوة ورجالات الحكم والسياسة ، وسائر الأجهزة والمؤسسات - ومنها التعليمية - يثري العملية التربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها في معالجة الأخطاء أولا بأول ؛ فانقطاع الاتصال بين موسى وهارون كان له أثر سلبي في مجتمع بني إسرائيل .

٧. القوى الفكرية والدينية مسئولة بشكل رئيس في تقويم وتصحيح مسار المجتمعات فموسى أخذ بلحية أخيه ورأسه الديني ؛ في إشارة إلى الدور والفكري (العقلي).

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[1] .

د) المبحث الرابع : محاكمة السامري :

علم موسى من بني إسرائيل أن بذرة الانحراف عندهم في فترة غياب موسى كانت بفعل السامري ؛ فسأل موسى السامري عما فعل فاعترف السامري في تعريض واضح لإبراز قدراته العلمية والدينية ، وإن شاب ذلك كله إقرار بما سولت له نفسه من شر عاد بالضلال على بني إسرائيل .

ويرى الخفاجي [2] : أن " حال شخصية السامري لا تختلف عن شخصية فرعون .... فهو الرجل الموهوب الذي برع في فن صناعة التماثيل ، كما وضح في صنع تمثال أجوف لعجل من البقر ، وهو أيضاً صاحب معرفة بالعلوم التطبيقية المتعلقة بالمعادن وخواص

(١) سورة طـه : الآيات ٩٥ : ٩٨ .
(٢) رؤية فنية لنص قرآني ، ص ٦٣.

الصوت الفيزيائي ، وهو ذو حظ وافر من المعرفة اللاهوتية المصرية القديمة ، التي أعادته إليها بعد إيمانه بموسى وربه " ويبدو أن شخصية السامري هي أقرب إلى شخصية السحرة منها إلى شخصية فرعون ؛ فسمة الاستكبار والتعالي الفرعوني لم تظهر فيه خلال الحوار مع موسى .

وإذا كان المجتمع الفرعوني يعج بالعجائب من علوم السحر والعمارة والطب والتحنيط ؛ فإن شخصاً كالسامري يحرص بمواهبه أن يكون له في المجتمع شهرة تشير إليه بالبنان ؛ هذا هو الهدف الظاهر فألبسه لباس الدين كما يفعل المشعوذون والكهنة لاكتساب شيء من الشرعية المزيفة فيما يفعلون ؛ لذلك كانت المحاكمة التي عقدها له موسى ﷺ ، تجازيه بعقوبة من جنس العمل ؛ لذلك كان القرار الموسوي : ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ... ﴾[1] والمعنى : " اذهب مطروداً لا يمسك أحد لا بسوء ولا بخير ولا تمس أحداً وكانت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى ؛ عقوبة العزل وإعلان الدنس المدنس ؛ فلا يقربه أحد ولا يقرب أحداً " [2] .

أما ما يخص إعراضه عن الآخرة والثواب فجزاؤه يوم القيامة

﴿ ... وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ... ﴾[3] .

ويبقى الإله المصنوع من المعدن ؛ فينسبه موسى إلى صانعه المهين ﴿ ... وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ... ﴾[4] . تبرؤا ورداً على مقولتهم : ﴿ ... هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾[5] .فلم ينس موسى إعادة الاعتبار إلى نفسه و إلا أخيه وإلى

(١) سورة طـه : من الآية ٩٧ .
(٢) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٩ .
(٣) سورة طـه : من الآية ٩٧ .
(٤) سورة طـه : من الآية ٩٧ .
(٥) سورة طـه : من الآية ٨٨ .

العقيدة والرسالة التي يحمل ، ولم ينسى أن يعيد العجل المصنوع إلى حالته الأولى بالصهر والإحراق ﴿ ... لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾[1] أي : لنذرينه في البحر[2] .

" وعلى مشهد الإله المزيف يعلن موسى - عليه السلام - حقيقة العقيدة[3] : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[4] ؛أي:"وسع علمه كل شيء" [5] .

المضامين التربوية :

١. مشروعية سؤال المتهم حول ما ينسب إليه ، وإتاحة المجال له للدفاع عن نفسه تحقيقاً لمبدأ العدالة في المحاكمات .
٢. تفاوت الناس بالملاحظة والعلم وتقرير مبدأ الفروق الفردية ﴿ ... بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ ... ﴾[6].
٣. المعاقبة للمسيء بالمقدار الذي يفسده وأن تكون العقوبة من جنس العمل .
٤. التعريض بالمواقف المنحرفة ؛ حتى وإن كانت منسوبة لأشخاص من ذوي اعتبارات معينة، ﴿ .. وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا .. ﴾[7].
٥. إخفاء مظاهر الفساد والإضلال بحيث لا يفسح أي مجال لتعلق أصحاب الأهواء بها ﴿ ... لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾[8].
٦. عدم صرف العبادة إلا الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) سورة طـــه : من الآية ٩٧ .
(٢) الدر المنثور ،ج٥، ص٥٩٧ .
(٣) في ظلال القرآن ، ص ٢٣٤٩ .
(٤) سورة طـــه : من الآية ٩٨ .
(٥) زاد المسير ، ج٥ ، ص ٣٢٠ .
(٦) سورة طـــه : من الآية ٩٦ .
(٧) سورة طـــه : من الآية ٩٧ .
(٨) سورة طـــه : من الآية ٩٧ .

٧. العلم الحقيقي هو العلم الذي يتلقاه الناس عن الإله الواحد الأحد الذي يعلم كل شيء ووسع علمه كل شيء .

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾(١).

الرابع:(العبرة والعظة من القصص القرآني،وذكر بعض أهوال يوم القيامة):

الباب الأول : النفخ في الصور وحشر المجرمين .

والخطاب هنا للنبي ﷺ بعد انتهاء قصة موسى في السورة .

وهي واحدة من قصص عديدة منها ما مضى ومنها ما هو قادم .

وهذا " الوعد الجميل بتنزيل أمثال ما مر من أنباء الأمم السالفة . وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عليه السلام ، وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل " (٢) .

وفي الآيات تثبيت للنبي ﷺ تكثيراً وزيادة في معجزاته ومحل عبرة واستبصار للمكلفين (٣) .

وإذا كان القرآن يذكر العبر والأحداث والتاريخ ، ويذكر بها فإن الإعراض عنه وعن توجيهاته يعتبر نكسة في حياة المعرضين وسوف يحمل نتيجة ذلك كل فرد معرض وزراً .

---

(١) سورة طـــه : الآيات ٩٩ : ١٠٤ .
(٢) تفسير أبى السعود ، ج٦ ، ص ٤٠ (المسمى : إرشاد العقل السليم .....)
(٣) تفسير الفخر الرازي ، ج١١ ، ص ١١٣، (المسمى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب).

والوزر هنا يأتي بصيغة المفرد ليكون وحده مشعراً بالثقل الذي يوازي كل الأوزار يوم القيامة :

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾[1].

وكفى بذلك حملاً لعقوبة " ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه "[2]. واليوم المشار إليه يوم رهيب هو ينفخ فيه في الصور فتسمعه الأموات وتخرج من قبورها ، وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[3].

وفي سورة طه تكشف الآية عن حال المجرمين الذين أعرضوا عن الذكر الحكيم كيف يكون حالهم وكيف تمتقع ألوانهم فتتحول من هول الموقف إلى اللون الأزرق :

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[4].

ويرى البيضاوي في تفسيره أن المجرمين يحشرون يوم القيامة " زرق العيون وصفوا بذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها عند العرب ؛ لأن الروم كانوا أعدى أعدائهم وكانوا زرق العيون "[5].

وتفسير الآية محل خلاف والبيضاوي أجهد نفسه في تحميل النص ما لا يحتمل فالآية تقول : ﴿ .... وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[6].فحصر الزرقة في العيون

---

(١) سورة طـه : الأيات ١٠٠ : ١٠١ .
(٢) تفسير البيضاوي ، ج ٤ ، ص ٦٩.
(٣) سورة النمل : الآية ٨٧ .
(٤) سورة طـه : الآية ١٠٢ .
(٥) تفسير البيضاوي ، ج٤ ، ص ٦٩ .
(٦) سورة طـه : من الآية ١٠٢ .

وقوله إن الزرقة أسوأ ألوان العين غير مسلم ، والجمال نسبي مختلف المقاييس ، وكون الروم أعدى أعداء العرب كما يقول لا يلزم من ذلك بغض ألوان عيونهم .

وروى ابن عباس قال : لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس : ما تقول في مجاهدة بنى الأصفر ؟ قال يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني أفتتن أفتاذن لي في الجلوس ولا تفتني ؟ (1) .

وفسر النسفي الآية ﴿ .... وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾(2) ؛ " أي عمياً ... وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق " (3) وهو تعليل قريب لو انحصرت الزرقة في العيون .

وفي " خزانة الأدب " : أحال بعض الألوان إلى المجاز ؛ فقال الأزراري "والموت الأحمر كناية عن الفقر ، والعدو الأزرق : الشديد العداوة والأصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ﴿ .... وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي عطاشاً " (4) .

والعلاقة بين النفخ في الصور وحشر المجرمين يوم القيامة أنهم صموا آذانهم عن سماع الذكر في الحياة الدنيا فجاء نفخ الصور ليخرق أسماعهم ويفزع قلوبهم .

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾(5)

ثم تشير الآية إلى الحوار الجاري بين المجرمين ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ... ﴾(6) أي يقول بعضهم لبعض ﴿ ... إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾(7)أي في الدار الدنيا لقد كان لبثكم

---

(1) مجمع الزوائد، ج٧، ص٣٠ . والحديث رواه الطبراني في الكبير ج ١١، ص٦٣، بلفظ قريب وفي الأوسط وفيه يحي الحماني وهو ضعيف .
(2) سورة طه : من الآية ١٠٢ .
(3) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٦٧ .
(4) خزانة الأدب ، ج٢ ، ص ٤٩٨ .
(5) سورة ق : الآية ٤٢ .
(6) سورة طه : من الآية ١٠٣
(7) سورة طه : من الآية ١٠٣ .

فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها ، قال الله تعالى : ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ... ﴾[1] أي في حال تناجيهم بينهم ﴿ ... إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ... ﴾[2] أي العاقل الكامل فيهم ﴿ ... إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[3] أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد "[4].

ويترك المجرمون أمام مصيرهم المشئوم لا يجابون ولا يرد عليهم أحد في نجواهم وحوارهم لينتقل الحديث بعدها إلى الجبال ونسفها وهي الأكبر شأناً والأعظم حجماً ووزناً فمن يعبأ بهم بعدها ؟ .

المضامين التربوية :

١. الاهتمام بدراسة التاريخ والاعتبار بقصص الغابرين .
٢. القرآن سجل مشرف للمؤمنين فيه وسوف يرفع من شأنهم ويخلد ذكرهم في الحياة كلما اتبعوه .
٣. الإعراض عن القرآن يجلب اللعنة على الأمم والأفراد وسيكون ذلك يوم القيامة من أعظم الأوزار.
٤. النفخ في الصور ينبه المكلفين إلى ضرورة الاستماع والإنصات في الحياة الدنيا وأن المعرضين إذا استثقلوا الاستماع في الدنيا فلن يكون صوت الحق أصعق من نفخ الصور ولا حمل الأمانة أثقل من حمل الأوزار يوم القيامة .
٥. الذكر وتعاليمه ينفخ الحياة والروح والنور في المقبلين عليه في الدنيا والصور ينفخ الحياة في الأموات فلن يفلت المجرمون من قبضة العقاب .

---

(١) سورة طه : من الآية ١٠٤ .
(٢) سورة طه : من الآية ١٠٤ .
(٣) سورة طه : من الآية ١٠٤ .
(٤) تفسير ابن كثير ، ج٣، ص ١٦٦ .

٦. الجدل والحوار الدائر بين المجرمين يدل على تمسكهم بالحياة الدنيا فهم ما زالوا يسألون عن لبثهم فيها ويقع منهم خطأ إحصاء الأيام وكأنهم ما ماتوا ولا استراحوا ولا ناموا فهم من نكد الدنيا إلى عذاب الآخرة لا راحة ولا هناء .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

الباب الثاني ، نسف الجبال ،

هذا المقطع من الآيات يكشف جانباً من نفسية العرب في الصدر الأول من الإسلام وهم حديثوا عهد بجاهلية .

فهم مأخوذون بتشكلات المادة في الكون ، منبهرون أمام عظمة الجبال والنص القرآني يجيب على تساؤلهم بعنف ينزع من قلوبهم تلك العظمة للمادة ؛ فالعظمة لا تكون إلا لله وحده خالق الكون وخالق الجبال .

والنبي ﷺ يمسح قلوب المؤمنين بيده الحانية فيخفف عنهم عناء التفكر في هذه الجبال ليصل بهم بالأسلوب القصصي إلى الحقيقة والهدف فلكل قصة عبرة ولذلك نجد في مسند أحمد ما يرويه أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال: " لما خلق الله ﷻ الأرض ؛ جعلت تميد فخلق الجبال ، فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد ؛ قالت : يا رب فهل من

---

(١) سورة طـه : الآيات ١٠٥ : ١١٠ .

خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال: نعم الماء ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم الريح ، قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله[1]

إذن العمل الصالح ومنه الصدقة الخفية أعظم من الجبال فينسف الجبال ويبقى العمل الصالح ؛ يذهب الجبال " عن أماكنها ويمحقها ويسيرها تسييراً ﴿ ... فَيَذَرُهَا ...﴾[2] أي الأرض ﴿ ... قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ أي بساطاً واحداً .

والقاع هو المستوى من الأرض والصفصف تأكيداً لمعنى ذلك . وقيل الذي لا نبات فيه ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[3] لا ترى في الأرض يوم إذن ولا رابياً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً " [4].

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ...﴾[5] فالأتباع كان في الدنيا اختيارياً لا جبرياً ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ... ﴾[6] .

وأما يوم القيامة فلا خيار وانتقاء .هناك داع يدعو الناس ويأمرهم ويسيرون خلفه إلى أماكن الحشر أو إلى أماكن العذاب والكل مندهش محتار لا يدري أهو إلى الجنة أم إلى النار.

وكان أولى بالأتباع الأنبياء والرسل يوم كان يكذب المجرمون وفي شدة الهول تخشع الأصوات فلا كلام إلا همس ، ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن وعلم أن في كلامه خيراً

---

(١) مسند أحمد ، ج٣ ، ص ١٢٤ .
(٢) سورة طه : من الآية ١٠٦ .
(٣) سورة طه : الآيــة ١٠٧ .
(٤) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١٦٦ .
(٥) سورة طه : من الآية ١٠٨ .
(٦) سورة القصص : من الآية ٥٠ .

.وهذا لا يتأتى لأحد من الناس إلا أن يكون نبياً أو صديقاً أو شهيداً أو صالحاً يرضي الله له قولاً .

فالله يعلم بعباده ما قدموا وما أخروا من عمل وهم لا يعلمون ولا يحيطون بشيء من العلم إلا ما علمهم الله سبحانه .

المضامين التربوية ،

١. المظاهر الكونية تدعو إلى وحدانية الله تعالى حيث إنها آيلة إلى زوال فالتعظيم والعبادة لا تنصرف إلا إلى الله خالقها والذي يفنيها .
٢. هناك تغيير كوني في الكواكب ونظامها ينتظر البشرية ، وبالتالي لا بد من التفكير بالحياة البديلة في الآخرة والإعداد لها .
٣. الاعوجاج لا يدوم مهما طال الوقت والاستقامة هي الحالة التي تنعم بالهدوء والاستقرار.
٤. المراكز الاجتماعية في الدنيا تزول بزوالها وعباد الرحمن هم وحدهم المرشحون في الآخرة للشفاعة وهم الذين أحسنوا العمل في الدنيا ويحسنون القول في الآخرة .
٥. العلم الإنساني يبقى محدوداً قليلاً مهما بلغ ويبقى كذلك في الآخرة بمعنى أن التجدد العلمي لا يتوقف ؛ فهو دائم وقائم بدوام الله وبقائه .

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة طـه : الآيات ١١١ ـ ١١٤

الباب الثالث : العدالة الإلهية :

الصفات الإلهية مطلقة غير محدودة وفي ظل أهوال يوم القيامة وانبعاث الخلق والوقوف للحساب تتجه قلوب العباد إلى الله تعالى ويأسرها الموقف فتنقاد الوجوه لبارئها بصفته واسمه الأعظم الحي القيوم حيث انبعاث الحياة ودوامها وحيث تستلم "الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به" [1].

وهنا يكون الخلق في أمس الحاجة إلى الرحمة والمغفرة ومع وقوع المفاجأة للعصاة والمذنبين والظالمين إذ الرهبة والخوف وحشر المجرمين يمتد صوت الحق بالعدل المطلق فالسيئة بمثلها لا ظلم ولا زيادة وخاب وخسر من فعل ظلماً في الدنيا وجاء به يحمله يوم القيامة يلزمه ولا يحيد عنه .

أما الذين عملوا الصالحات من المؤمنين فلا ظلم اليوم لهم ولا تهضم حقوقهم وحسناتهم . وفي الحديث الشريف : " يقول الله ﷻ : وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم فينصف الخلق بعضهم من بعض " [2].

والقرآن الكريم هو الدستور في الدنيا والآخرة لا يختلف ولا يتغير أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين ظاهر المعاني والدلائل " فصيح لا لبس فيه ولا عي ﴿ ... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ... ﴾[3] أي يتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿ ... أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ... ﴾[4] أي تنزه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعده حق ووعيده حق ورسله حق والجنة حق

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١٦٧.
(٢) المصدر السابق ، ومجمع الزوائد ، ج١٠، ص٣٥٣، وقال الهيثمي : وفيه يزيد بن ربيعة وقد ضعفه جماعة وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وبقية رجاله ثقات .
(٣) سورة طــه : من الآية ١١٣ .
(٤) سورة طــه : من الآية ١١٤ .

والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى ألا يعذب أحداً قبل الإنذار وبعثة الرسل والأعذار إلى خلقه " [1].

فالموضوع إذن كبير جليل عظيم والعلم فيه غزير لا ينفذ وكما أخبر النبي ﷺ في بداية السورة ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ ﴾ [2]؛ فهو سبحانه هنا يقول: ﴿ ... وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ... ﴾ [3] " فلا تعجل بحفظه قبل فراغ جبريل لأننا ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ ﴾ [4]. ولا تتعجل بحكمه فسوف ينال الظالمون جزاءهم. في الوقت المناسب وما عليك إلا أن تتزود من علمه الذي "لا تنقضي عجائبه" [5]. ﴿ .. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ ﴾ [6] وفي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ : " اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً .. " [7]. أما الحديث المشهور: " إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم " فقد ذكره الجرجاني وطعن في أحد رواته "بقية " واصفاً إياه أنه منكر [8]، وقال الطبراني "تفرد به بقية ولا يروى عن رسول ﷺ : إلا بهذا الإسناد " [9].

وقال الهيثمي [10] في أحد رواته : " رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحكم بن عبد الله قال أبو حاتم : كذاب ".

وأرى أن متن الحديث يدل على ما قيل فيه لأن الدعاء بنزع البركة من يوم معين غير معهود في الهدى النبوي والمعروف النهي عن سب الدهر والأيام .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ١٦٧ .
(٢) سورة طـــه : الآيـات ١ : ٢ .
(٣) سورة طـــه : من الآية ١١٤ .
(٤) سورة الأعلى : الآيــة ٦ .
(٥) المستدرك على الصحيحين ج١ ، ص ٧٤١ .
(٦) سورة طـــه : من الآية ١١٤ .
(٧) سنن الترمذي .
(٨) الكامل في ضعفاء الرجال ، ج٣ ، ص ٢٩٤ .
(٩) المعجم الأوسط ، ج٣ ، ٣٦٧ .
(١٠) المعجم الزوائد ، ج١ ، ص ١٣٦ .

المضامين التربوية :

١. ظلم الدنيا محمول في أعناق أصحابه إلى يوم الدين .

وفي ذلك دعوة للتحلل منه وورد الحقوق إلى أصحابها قبل فوات الأوان .

٢. حسن الظن بالله لمن آمن وعمل صالحاً .

﴿ .. فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾[1].

٣. نزول القرآن باللغة العربية فيه دلالة على إقامة الحجة على من ينطقون باللغة العربية قبل غيرهم . فلا مندوحة [2]. في غير اتباعه .

٤. الوعد والوعيد في القرآن الكريم يحد في النشء والأجيال دافعية للتقوى والعمل الصالح ويترك أثراً طيباً في تاريخهم .

٥. التغيير في واقع السلوك يحتاج إلى تأن وعدم استعجال لتتوافق النظرية مع واقع العمل وتكون التهيئة قد حصلت ومهد لها ليتم التوافق والقبول من غير إكراه على الفعل ولا تنفير .

٦. طلب المزيد من العلم بلا توقف ليكون المجتمع دائم التقدم والتطور .

٧. للوصول إلى المزيد من العلم والفهم لا بد من الاستعانة بالله الذي يهب العلوم ويبارك في السائرين على درب العلم والتعلم .

---

(١) سورة طـــه : من الآية ١١٢ .
(٢) مندوحة ١ سعة . الغريب لابن قتيبة ، ج٢ ، ص ٤٨٨ .

الخامس:(قصة آدم حواء):

الباب الأول ، العهد والعزم .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1].

في ذكر قصة آدم إثر ذكر قصة موسى في سورة طه إعادة تذكير بربط جسر العقيدة والدعوة والنبوة من أول خلق الإنسان إلى قيام الساعة وتذكير بأحد أكبر العوائق في حياة الإنسان إن لم يتنبه لها إنها قضية العداء الدائم مع الشيطان مع وساوسه وأساليبه ومكره وكيف تفتر الهمة ويلين العزم عند الاقتراب من الاستمتاع أو الشهوات .

وآدم عليه السلام تعهد ألا يقرب الشجرة الوحيدة التي نهى عن الاقتراب منها هو وزوجه فنسى العهد واستهوته الوساوس والأمنيات في :

﴿ .. شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة طــه : الآيات ١١٥ : ١٢٣ .
(٢) سورة طــه : من الآية ١٢٠ .

فأكلا من الشجرة وفشلا في اجتياز الاختبار، وهي صورة عما يقترفه بنوه من بعده إلى يوم الدين نسيان وإتباع للشيطان والشهوات وضياع العزم .

المضامين التربوية :

١. ضرورة الالتزام بالوعود والعهود التي يقطعا الفرد على نفسه ليكون عنصراً فعالاً وجاداً في المجتمع .
٢. النسيان ربما ينشأ عن التهاون وطول الأمد والتهاون في الأمور. وله كذلك ارتباط بالرغبات والشهوات إذا رجحت عند المرء على سائر الواجبات .
٣. العزم يحتاج إلى الحزم وكلاهم مرتبط بمجاهدة النفس والتذكر والمثابرة للوصول إلى الهدف المنشود .
٤. وقوع النسيان ونقص العهود واقع مشهود في الحياة ينبغي لأولي العزم أن يضعوه في الحسبان ؛ كأحد احتمالات الخطأ الناجم عن تتبع الشهوات والنزوات ولوضع مقومات تعديل السلوك في القانون والإدارة للمؤسسات العامة .

الباب الثاني : سجود الملائكة وعداء إبليس :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[1] .

وموضوع سجود الملائكة لآدم-سجود التحية-وتمرد إبليس على الأمر-حسداً- تحدثت عنه سورة البقرة بالتفصيل وهنا تذكر سورة طه لقطات من القصة تتناسب مع موضوع السورة والرسل والرسالة والمجاهدة والتبليغ ومواجهة الظالمين والطغاة وما يمكن

(١) سورة طـــه : الآيات ١١٦ : ١١٩ .

أن يوهن فيه الشيطان العزائم من المضي في سبيل تحرير الإنسان من العبودية لشهوات النفس كلها الغريزية والنفسية ، الاجتماعية والسياسية .

وآدم ﷺ جاءه التحذير مسبقاً وأعطى ضمانات الحياة الكريمة في المأكل والمشرب الملبس والتنزه والاستمتاع ؛ فلم يتركه الشيطان كما هو الحال في حياتنا الدنيا لم يترك صاحب نعمة يهنأ حتى تأتيه منغصات الحياة والمعتدين من الناس .

المضامين التربوية :

١. في الإسلام تكريم لبني الإنسان وعليه فينبغي أن يعرف الإنسان قدره ، فلا يحقر نفسه ولا يتورط بما لا يليق بكرامته ومكانته .
٢. العداء الدائم بين إبليس وبني آدم ينم عن استمرار الحرب النفسية والخفية بين الطرفين . وبالتالي لا بد من التنبه عن الوقوع في الأخطاء والموبقات وإن كانت خطواتها الأولى مزينة بالخير وحسن النية وأداء العمل الصالح .
٣. إذا كانت القوامة في الحياة الأسرية حقاً مشروعاً له فلا يحق له أن يطغي في هذا الحق – كطغيان فرعون – وأن يعمل قصارى جهده للنهوض بالأسرة للوصول إلى الحالة النموذجية بالعلم والجهد واجتناب السيئات .
٤. الزوج يتحمل القسط الأكبر في حال الفشل في تكوين الأسرة النموذجية – غالباً – وبالتالي فهو الأكثر تضرراً وشقاءً إذا ضحي بالقيم واستهان بنتائج تدميرها ﴿....فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾[1] . فذكر الشقاء هنا بصيغة المفرد ليدل على التصاق الشقاء بالرجل أكثر من التصاقه بالمرأة .

---

(١) سورة طـــه : من الآية ١١٧

٥. الرجل والمرأة شريكان ضامنان في الحياة ، يتحملان مسؤولية الحياة والتربية ما وفقدان حق اللجوء للجنة أو الأسرة يفقدها كلاهما الرمة والطمأنينة والسكون

٦. تأمين الطعام والشراب والسكن والحياة الكريمة حق أصيل للفرد والمجتمع واجب على أولي الأمر تأمينه كأحد أهم واجبات الراعي نحو الرعية .

الباب الثالث : المعصية والخروج من الجنة :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[1] .

الوسوسة : " حديث النفس والأفكار " [2] ، أما الطريقة التي يخلص فيها الشيطان إلى نفس الإنسان فما زالت غير معروفة لنا في وسائلنا العلمية التقليدية .

وللمرء أن يتوصل إلى حقيقة وجودها في النظر إلى المعرفة الغيبية المكتسبة عن طرق أخرى غير مادية كالرؤى والأحلام " والمكاشفة " (Vision) كما يسميها النفسيون المحدثون ... وهي مما يلحقه أولئك النفسانيون بهبة التلباثي (Telepathy) أو الشعور البعيد [3] .

وهي مشاعر تنتاب المرء وتدل على المحسوس في كثير من الأحيان منها الخير ومنها الشرير.

---

(١) سورة طـــه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .
(٢) النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ، ص ١٨٥.
(٣) عبقرية عمر ، ص ١٧ .

والوسوسة لا تأتي بخير ؛ فهي خاصة بالشر والشهوة والفواحش والعدوان .

وآدم وزوجه اعتديا في الجنة على موقع من المواقع المحذورة فكانت النتيجة والعقوبة فورية ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا .... ﴾[1] .وهكذا كل خطيئة تربط بنتيجة سيئة لا محالة .

المضامين التربوية ،

١. الوسوسة حديث الشر في النفس يشكل دافعية مذمومة يمكن تجنبها بالعلم والوعي والإيمان .

٢. وجوب اعتماد التطور الطبيعي في طموحات البشر دون اللجوء إلى " القفز " غير المدروس لتحقيق أهداف قبل أوانها :﴿ .... هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2] .

٣. للتربية السوية المستقيمة أثر فعال على الفرد حتى وإن وقع في الخطأ والخطيئة فهو لا يقوي أن يتعايش معها فيلجأ إلى الاعتذار والاستغفار والإقلاع عنها والإصلاح ؛ كرد فعل إيجابي تطهيراً للنفس والجوارح . ﴿ ... وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾[3] ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[4]

٤. ضرورة إنزال العقوبة عن طريق سلب النعمة " والتكنولوجيا " من أيدي من لا يحسنون استخدامها وإيداعها الأيدي النظيفة الأمينة التي تستخدمها لصالح البشرية وعمارة الأرض .

---

(١) سورة طـــه : الآيات ١٢٠ : ١٢٣ .
(٢) سورة طـــه : من الآية ١٢٠.
(٣) سورة طـــه : من الآية ١٢١ .
(٤) سورة طـــه : الآيـــة ١٢٢

٥. إتباع الهدى والتعاليم الإيمانية يوفر على التربويين والأطباء النفسيين والسياسيين وغيرهم ناء معالجة المشاكل والأمراض الاجتماعية الناتجة عن الانحراف والضلال والشقاء ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[1]

الباب الرابع : التحذير من الإعراض عن منهج الله :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝ ﴾[2].

في هذا المقطع من السورة يحذر رب العزة والجلال الأفراد والجماعات من الإعراض عن ذكر الله ومنهجه ويتوعد من أعراض عن ذكر الله تعالى - عن القرآن- ﴿ ... وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝ ﴾[3]،يتوعده بالمعيشة الضنك أي الضيقة " كما قال بعضهم لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشة ضنك " [4].

---

(١) سورة طـه : الآية ١٢٢ .
(٢) سورة طـه : الآيات ١٢٤ : ١٢٩ .
(٣) سورة طـه : من الآية ٩٩ .
(٤) تفسير القرطبي ، ج١١ ، ص ٢٥٩ .

أما في الآخرة فالجزاء والعقاب أضيق وأسوأ وأنكى ﴿ ... وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾(١).

والآيات تشير مرة أخرى إلى ظاهرة النسيان ؛ أما آدم ﴿ ... فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٢) ، وكذلك أبناؤه من بعده ينسون لا عصمة في هذا الأمر والنبي ﷺ يقول "نسي آدم فنسيت ذريته " (٣) ، وذكر ابن أبي شيبة حديثاً عن النبي ﷺ قال فيه : " آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله " (٤) .

وليس هذا كله النسيان المقصود في الآية الكريمة " لأن النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخر على وجه عجز الناس عن الناس حفظ ما استحفظ ، ووكل به وضعف عقله عن احتماله ... ومثال الأول : هو النسيان الذي عاقب الله ﷻ آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة " (٥) .

والذي نسي آيات الله تعالى فاستحق الحشر يوم القيامة أعمى هو الذي تركها ولم يؤمن بها ؛ فكما نسيها اليوم في الدنيا يترك وينسى في النار(٦) .

وهذا الأمر يسري على من أسرف في المعاصي والتكذيب للآيات والاستهتار بالوعيد جزاءً وفاقاً في الدنيا والآخرة .

(١) سورة طـــه : من الآيات ١٢٤: ١٢٦ .
(٢) سورة طـــه : من الآية ١١٥ .
(٣) تفسير القرطبي ، ج٣ ، ص٧٤ ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ حديث رقم ٣٠٠٢.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ، ج٥، ص ٢٨٦.
(٥) تفسير الطبري ج٣ ، ص ١٥٥.
(٦) تفسير الجلالين ص ٤١٨.

وفي ذلك مدعاة أكيدة لأصحاب العقول أن يتعظوا وهم يشاهدون مساكن الأمم السابقة الذين أخذوا وعوقبوا وأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها ، ولو ارتباط الأمور بمقاديرها والعذاب بقيام الحجة والصبر والإمهال لنزل العذاب بالمكذبين والعصاة المذنبين بغتة وفجأة .

المضامين التربوية :

1. الإعراض عن ذكر الله وعن القرآن والسنة يودي إلى ضيق العيش ونكده وسوء الأحوال الاقتصادية .
2. البصر والبصيرة لا يفيد ولا يؤدي إلى الفوز والنجاة وهي قضية لها ارتباط بالإطلاع على أمور الحياة والآخرة من غير تفعيل ولا استبصار أو مقابلتها بالاستهتار واللامبالاة .
3. السيئ في الدنيا سيكون سيئاً في الآخرة فالدنيا هي المزرعة وفي الآخرة يكون الحصاد .
4. الإسراف في الاستمتاع الحرام والإسراف في الإنفاق لغير حاجة والإسراف في الوقت وإهداره باللهو واللعب هو طريق يؤدي إلى الهلاك ، ويلتقي مع طريق المعرضين المنكودين .
5. الدعوة للاستدلال والاسترشاد لأسباب الكوارث الطبيعية التي تقع في الأرض ودراسة التاريخ والحياة الاجتماعية للأمم السابقة .

٦. عدم الركون والاطمئنان لتأخر العقاب إذا شاعت المعاصي الموبقات يقول تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

السادس:(التوجيهات التربوية العامة في السورة):

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾[2]

هذا المقطع من السورة يشكل ملخصاً عاماً للتوصيات والتوجيهات التربوية المعلقة بمغزى السورة والقصص الواردة فيها . وهي تثير في نفس النبي ﷺ دوافع الصبر والتحمل للإشكاليات المتوقعة من المشركين وخصوماتهم والعداء والأذى والتكذيب والتشكيك ومواقف المنافقين وشبهاتهم وزعزعة الإيمان في بعض النفوس وغير ذلك من الأمور التي تتقطع في جوهرها وصورتها مع ما لاقاه موسى عليه السلام من مواجهات مع فرعون وقومه وما تحمله من منغصات بني إسرائيل في كثير من مواقف جهاد النفس معهم . لذلك بقيت تلك

(١) سورة العنكبوت : الآية ٥٣ .
(٢) سورة طـــه : الآيـات ١٣٠ : ١٣٥ .

المفاهيم في نفس النبي ﷺ لم تغادره لحظة ، فكلما عصفت فيه ريح الأذى من أحد من البشر تذكر أخاه موسى وما لاقاه وعلى سبيل المثال " لما بلغه ابن مسعود قول القائل هذه القسمة ما أريد بها وجه الله؛ شق عليه ﷺ وتغير وجهه وغضب ، ولم يزد على أن قال : "لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر " (١) .

ويبدأ المقطع بقوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾(٢)

والصبر يحتاج إلى هدوء أعصاب ورباطة جأش ، وهي قيم تنشأ وتقوى وتشتد في ربوع التسبيح في الليل والنهار وعلى مدار الساعة ؛ تسبيح بالقلب واللسان وتسبيح بالصلاة والقيام والدعوة واستقطاب المؤمنين والأنصار الأمر يمرئ نفس الرسول ﷺ ويرضيها .

وينتهي المقطع بانتهاء السورة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾(٣)

وبهذا نجد بداية السورة ونهايتها تلتحم فيها التوجيهات للنبي ﷺ ، وتشكل سواراً يحيط بالسورة كلها كأنه الوعاء الواقي والحفاظ لسيرة نبي عانى في طفولته وشبابه ودعوته وبين أعدائه وحتى بين بني قومه وهي سيرة تتشابك وتتشابه مع سيرة نبينا محمد ﷺ ، في معاناة الطفولة واليتم وإيذاء القوم وبني العشيرة باختلاف بين بني إسرائيل الذين كذبوا وارتدوا وآذوا كل الأنبياء وقتلوا منهم ما قتلوا ولعنوا بعدها على لسان داود وعيسى كما

(١) جامع العلوم والحكم ، ج١ ، ص ١٤٨ .
(٢) سورة طـــه : الآية ١٣٠ .
(٣) سورة طـــه : الآية ١٣٥ .

جاء النص الجليل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[1]

في الوقت الذي امتدح الله تعالى فيه أمة الإسلام بقوله :

﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ.... ﴾[2]

المضامين التربوية :

١. الصبر قيمة تربوية عظيمة لا يستغني عنها المصلحون ويحتاجها المربون والمعلمون والطريق إليها محفوف بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار .
٢. النعيم والرخاء وزينة الحياة لا تشكل بالضرورة دلالة على السعادة والرضى من الله ، بل ينبغي على المؤمنين عدم الالتفات إليها بالتمني لأنها موضع فتنة وابتلاء .
٣. العناية بالأسرة بالتوجيه والنصح والتعليم والتأكيد على إقامة الصلاة كدليل ومؤشر على الاستقامة و تفعيل دور القدوة في القول والعمل .
٤. عدم تغليب الاهتمام بالرزق والقضايا الاقتصادية والمادية على جانب القيم الأخلاقية : ﴿ .... لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[3]
٥. الاعتماد في الدعوة والتعليم والإرشاد والتوجيه أسلوب الإقناع العقلي والعلمي وعدم اشتراط الرجوع إلى مرحلة العصور الماضية في الاستدلال بالآيات المادية ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾[4] .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٨ .
(٢) سورة آل عمران : من الآية ١١٠ .
(٣) سورة طه : من الآية ١٣٢ .
(٤) سورة طه : الآية ١٣٣ .

ويقول النبي ﷺ :: " ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " [1].

٦. المتهم بريء حتى تقوم عليه البينة والحجة . ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ...﴾[2].

٧. من لم يلحق بركب المهتدين فسوف يبقى متخلفاً وحده ويندم غاية الندم . ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3].

(١) صحيح مسلم ، ج١، ص١٣٤. صحيح البخاري ،ج٤، ص١٩٠٥، وسنن البيهقي الكبرى ج٩ ، ص٤ .
(٢) سورة طـه : الآيـة ١٣٣ .
(٣) سورة طـه : الآيـة ١٣٥ .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد . مصنف بن ابي شيبة . (دار النشر غير معروفة) ١٤٠٩هـ .- ط١ .- تحقيق : كمال يوسف الحوت .

٣. ابن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري . (سنة غ م) النهاية في غريب الحديث.- المكتبة العلمية .- بيروت : تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .

٤. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم . ١٣٩٨هـ مجموع الفتاوى .- طبعة صاحب السمو الملكي .... فهد بن عبد العزيز.

٥. ابن رجب ، الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد . جامع العلوم والحكم .- ١٤٠٨هـ .- بيروت : دار المعرفة .- ط١.

٦. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، (أ) ١٤٠٧/١٩٨٧م تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ط٢ ، تقديم : د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي .

٧. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ب) ، ١٤٠١. تفسير القرآن العظيم .- بيروت: دار الفكر.

٨. ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب .- بيروت : دار صادر.

٩. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .- بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١٠. الإزاري ، علي بن عبد الله الحموي . ١٩٨٧م خزانة الأدب .- بيروت : دار مكتبة الهلال .- ط ١ .- تحقيق : عصام شعيتو.

١١. الألوسي ، محمود . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .- بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١٢. البغوي ، الحسين بن مسعود الفراء . ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م معالم التنزيل .- بيروت: دار المعرفة .- ط٢ .- تحقيق : خالد العك ، مروان سوار.

١٣. البيضاوي ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م . تفسير البيضاوي .- بيروت : دار الفكر .-تحقيق : حسونة عبد القادر عرفات .

١٤. البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي . ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م . سنن البيهقي الكبرى .- مكة المكرمة : مكتبة دار الباز .- تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

١٥. الجرجاني ، عبد الله بن عدي بن عبد الله . ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م . الكامل في الضعفاء.- بيروت : دار الفكر .- ط٣ .- تحقيق : يحيي مختار غزاوي .

١٦. الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . ١٤٠٤هـ . زاد المسير في علم التفسير.- بيروت : المكتب الإسلامي .- ط٣.

١٧. الحاكم ، النيسابوري محمد بن عبد الله . ١٤١١هـ / ١٩٩٠م المستدرك على الصحيحين .- بيروت : دار الكتب العلمية .- ط١.- تحقيق : مصطفي عبد القادر عطا .

١٨. الخفاجي ، محمد علي رزق ١٩٩٤. رؤية فنية لنص قرآني دراسة تحليلية سيميائية جمالية (تطبيق على سورة طه) .- القاهرة : دار المعارف.- ط٢ .

١٩. الدجاني ، زاهية راغب . ١٤١٨/ ١٩٩٨م . المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام وفرعون ، مقارنة عقائدية .- بيروت ، لبنان : دار التقريب بين المذاهب الإسلامية .- ط١ .

٢٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصحاح .- بيروت : دار القلم (السنة دار النشر غير معروفة) .

٢١. الرازي ، محمد بن عمر. ١٤٠٥/ ١٩٨٥م .- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب .- بيروت : دار الفكر .- ط٣.

٢٢. رجب ، مصطفى ١٤١٩/١٩٩٨م . نحو ثقافة إسلامية .- القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .

٢٣. الزرقاني ، محمد عبد العظيم . ١٩٩٦م ، مناهل العرفان في علوم القرآن .- بيروت : دار الفكر .- ط١ .- تحقيق : مكتبة البحوث والدراسات .

٢٤. السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين . ١٩٩٣م الدر المنثور .- بيروت : دار الفكر .

٢٥. الشيباني ، أحمد بن حنبل . مسند أحمد .- مصر : مؤسسة قرطبة .

٢٦. الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤١٥ المعجم الأوسط .- القاهرة : دار الحرمين .- تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن الحسيني .

٢٧. الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب . ١٤٠٤/١٩٨٣م المعجم الكبير .- مكتبة العلوم والحكم .- الموصل .- ط٢ .- تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٢٨. الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد . ١٤٠٥، تفسير الطبري .- بيروت : دار الفكر

٢٩. طهماز ، عبد الحميد محمود . ١٤١٥/ ١٩٩٤ .- سبيل السعادة في سورة طه .- كلمة التوحيد في سورة الأنبياء .- دمشق ، وبيروت : دار القلم ، الدار الشامية .- ط١.

٣٠. عباس ، فضل حسن . ١٤٠٧/ ١٩٨٧م . القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته .- عمان ، الأردن : دار الفرقان .- ط١.

٣١. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله . ١٣٨٧هـ . التمهيد لابن عبد البر- وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب .- تحقيق : مصطفى العلوي ، ومحمد البكري .

٣٢. العقاد ، عباس محمود . عبقرية عمر .- الفجالة ، القاهرة : دار نهضة مصر .

٣٣. العكبري ، عبد الله بن الحسين بن الحسن . التبيان في إعراب القرآن .- إحياء الكتب العربية ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

٣٤. عوض ، إبراهيم ١٤١٣/ ١٩٩٣م . سورة طه دراسة لغوية أسلوبية مقارنة .- القاهرة : دار النهضة العربية .- ط .- الطائف .

٣٥. القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر. ١٣٧٢ . تفسير القر حي .- القاهرة : دار الشعب .- ط ٢ .- تحقيق : البردوني ، أحمد عبد العليم .

٣٦. قطب ، سيد ١٤٠٥/ ١٩٨٥م . في ظلال القرآن .- بيروت : دار الشروق .-ط١١.

٣٧. المباركفوري ، محمد بن عبد الرحمن . تحفة الأحوذي .- بيروت : دار الكتب العلمية.

٣٨. المحلي ، عبد الرحمن السيوطي وأحمد محمد . تفسير الجلالين .- القاهرة : دار الحديث .- ط١.

٣٩. المناوي ، عبد الرءوف ، ١٣٥٦هـ . فيض القدير .- مصر : المكتبة التجارية الكبرى .- ط١.

٤٠. المناوي ، محمد عبد الرءوف ، ١٤١٠هـ . التعارف .- دار الفكر المعاصر بيروت : دار الفكر .- دمشق ، ط١ .- تحقيق : محمد رضوان الداية .

٤١. نزال ، فوز سهيل كامل ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م . لغة الحوار في القرآن الكريم - دراسة وظيفية أسلوبية . الجوهرة للتوزيع ، عمان ، الأردن .ط١.

٤٢. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج . صحيح مسلم .- بيروت : دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٣. الهيثمى ، علي بن أبي بكر. ١٤٠٧هـ . مجمع الزوائد .- القاهرة ، بيروت : دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي .

الفصل السادس :

مـــع

ســـورة الفـــرقـــان

الأول : قصص بعض الأنبياء وعقوبات مكذبيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [1].

المعنى الإجمالي :-

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾[2] ، أي التوراة ، وقيل المراد بالكتاب الحكم والنبوة [3] (وَزِيرًا) معيناً يؤازره في الدعوة إلى الله ويعينه في أعباء الدعوة والوزير هو المعاون المظاهر مشتق من الأزر وهو القوة [4].

﴿ ..وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ .. ﴾[5]: هم الذين كانوا يعبدون الأصنام ولهم آبار ومواش (والرس) : البئر المطوية (غير المبنية) [6]

﴿ ..وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[7] التتبير : التفتيت والتكسير وقيل التدمير [8]

(١) سورة الفرقان : الآيات ٣٥ : ٤٠ .
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٣٥ .
(٣) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني ، (دار الفكر للطباعة والنشر) ١٨/٤ .
(٤) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤) ٢٥/١٨ .
(٥) سورة الفرقان : من الآية ٣٧ .
(٦) أ. وهبة الزحيلي ، تفسير المنير ، (دمشق ، دار الفكر – ١٩٩١) ٦٤/١٩ .
(٧) سورة الفرقان : من الآية ٣٧ .
(٨) روح المعاني ، مرجع سابق ٢١/١٨ ، وانظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير (بيروت ، دار أحياء التراث ، ١٩٩٥) ٤٦١/٢٤ ، وانظر أبي جعفر النحاس ، إعراب القرآن ١٦١/٣ .

تحدثت الآيات الكريمة هنا عن العتاة الظالمين أعداء الله وأعداء رسله وأعداء دعوته وكيف كان مصيرهم عندما حاربوا الله فأخذهم الله بشديد عذابه وأليم عقابه ، ويقص المولى ﷻ على رسوله ﷺ لتسليته ولإرهاب مكذبيه عديداً من قصص الرسل السابقين عليه الذين رأوا من قومهم ألوان العنت والتكذيب كقوم موسى وهارون ، وقوم نوح وعاد ، وقوم هود ، وقوم صالح الذين رأوا من قومهم ألوان العنت والتكذيب كقوم موسى وهارون ، وقوم نوح وعاد ، وقوم هود ، وقوم صالح .

القصة الأولى :

"بدأ تعالى في هذه الآيات بذكر موسى عليه السلام - آمراً موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون وقومه لتبليغ الرسالة ، وهي إعلان الوحدانية والربوبية لله ﷻ فلا إله غيره ولا معبود سواه فلمّا ذهبا كذبهما فرعون وجنوده ، فلمّا كذب فرعون وقومه برسالة موسى وأخيه هارون ولم يعترفوا بوحدانية الله تعالى ، أهلكهم إهلاكا شديدًا بالإغراق في البحر"(1)

القصة الثانية :

"قصة نوح عليه السلام مع قومه الذي مكث يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام زمنًا وهو ألف سنة إلا خمسين ، فبعد أن كذبوه ويئس من إيمانهم أغرقهم الله جميعاً بالطوفان وجعلهم للناس آية أي علامة ظاهرة على قدرته وأعد لهؤلاء المشركين من قوم نوح عليه السلام ولكل ظالم عذاباً شديد الألم في الآخرة ، ونجى الله الذين آمنوا مع نوح في السفينة" (2).

(1) التفسير المنير ، مرجع سابق ٦٨/١٩

(2) المرجع السابق : ٦٨/١٩ .

وقوله تعالى (لَّمَّا كَذَّبُواْ) ذكر الجنس ، وأراد به نوحًا وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده ، فنوح إنما بعث بـ لا إله إلا الله وبالإيمان بما ينزل الله تعالى ، فلما كذبوه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بهذه الكلمة .

"فتكذيبهم لنوح ﷺ تكذيب للكل (لجميع الأنبياء والرسل) لاتفاقهم على التوحيد والإسلام"[1] .

القصة الثالثة :

قصة عاد وثمود وأصحاب الرس وأقوام آخرين ، مما لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس ، أنذروا جميعاً وضربت لهم الأمثال الحقة وبينت لهم الحجة فأبوا الإيمان ، وكذبوا الرسل ، فأهلكهم الله بالعذاب ودمّرهم تدميراً [2] .

"وأصحاب الرس كانوا قوماً من عبده الأصنام ، أصحاب آبار ومواش فبعث الله تعالى لهم شعيباً ﷺ ، فدعاهم إلى الإسلام ، فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه ، فبينما هم حول الرس ، خسف الله بهم وبدارهم "[3] .

القصة الرابعة :

"قصة لوط ﷺ – مع قومه في قرية سدوم ، إحدى قرى قوم لوط الخمس دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأصنام والتطهر من الفاحشة ، فأصروا على ما هم عليه

(١) المرجع السابق : ٦٩/١٩ ، روح المعاني ، مرجع سابق ١٩/٤ ، وانظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (دار الفكر للطباعة والنشر) ٣٦٢/٢ .
(٢) انظر التفسير المنير ، مرجع سابق ، ٦٩/١٩ .
(٣) انظر التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ٤٥٩/٢٤ – ٤٦٠ ، وانظر عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٦م ، ٤/ ٢١٨ .

لأنهم لا يصدقون بالبعث ولا يرجون ثواب الآخرة ، أهلكهم الله بمطر السوء ، أي بالحجارة من السماء وكان مشركو مكة يمرون في أسفارهم بتلك المدائن ومع ذلك لم يعتبروا"[1] .

"هؤلاء كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم يكن لهم استعداد للاعتبار ، لأن الاعتبار ينشأ عن المراقبة والمحاسبة للنفس لطلب النجاة ، وهؤلاء المشركون لما نشأوا على إهمال الاستعداد لما بعد الموت قصرت أفهامهم على هذا العالم العاجل فلم يعنوا إلا بأسباب وسائل العاجلة فهم على زكاتهم فى تغرس الذوات ومراقبة سير النجوم وحياة الأنفس ونحو ذلك ، وأصل ذلك الضلال كله إنجر لهم من إنكار البعث فلذلك جعل هنا لانتفاء اعتبارهم بمصير أمة كذبت رسولها وعصت ربها"[2] .

"وهذه الأمثلة كلها من قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس والقرون الكثيرة بين ذلك ، ومن القرية التي أمطرت مطر السوء ، وهي قرية لوط كلها تسير سيرة واحدة وتنتهى نهاية واحدة" وكلا ضربنا الأمثال "للعظة والاعتبار وكلاً تبرنا تتبيراً ، وكانت عاقبة التكذيب هي التحطيم والتفتيت والدمار والسياق يستعرض هذه الأمثلة ذلك الاستعراض السريع لعرض هذه المصارع المؤثرة ، وينهيها بمصرع قوم لوط وهم يمرون عليه في سدوم في رحلة الصيف إلى الشام ، وقد أهلكها الله بمطر بركاني من الأبخرة والحجارة فدّمرها تدميراً ، ويقرر في نهايته أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث ولا يرجون لقاء الله ، فذلك سبب قساوة تلك القلوب وانطماسها ، ومن هذا المعين تنبع تصرفاتهم واعتراضاتهم وسخرياتهم من القرآن ومن الرسول[3] .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه القصص السابقة المعاناة التي عاناها أنبياء الله ﷺ في تبليغ الدعوة إلى أقوامهم ، وما لا قوه هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم من العذاب

(١) انظر التفسير المنير : مرجع سابق ، ٦٩/١٩ ، التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ٤٦١/٢٤ .
(٢) التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ٣١/١٨ .
(٣) سيد قطب : في ظل القرآن ، ط٩ ، (بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٠م) ٢٥٦٤/٥ .

والاستهزاء بهم ومع ذلك صبروا وكافحوا من أجل تبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، وهذا فيه تسلية للرسول وللمؤمنين وحث على الصبر والمصابرة وعلى جهاد لكفار بالحجة والبرهان

وكذلك ما لقته تلك الأقوام المعاندة والمتجبرة من العذاب والإهلاك بسبب كفرهم وطغيانهم ، وهذه هي نهاية كل معاند ومتجبر.

الآثار التربوية :

1. وحدة ما دعا إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا يؤكده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴾[1] ، وأن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى أخرهم وأن تنوعت شرائعهم ، وأن تكذيب واحد من هؤلاء الرسل تكذيب لجميع الرسل لأن رسالتهم واحدة .
2. تقرير أهمية طلب العون في الدعوة لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2] .
3. إن الله تعالى يصطفي ويختار من يشاء من عباده المخلصين القادرين على تحمل أعباء الدعوة .
4. أن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى الصبر الطويل والحكمة ، فقد صبر أنبياء الله على مشاق الدعوة إلى الله وما لقوه من إعراض وصد عن سبيل الله ومجاهدة أعداء الله دون كلل ، وملل كما هو الحال في قصة موسى وهارون ولوط .
5. الأمل وعدم اليأس كما في قصة نوح عليه السلام فقد مكث في دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً .

---

(1) سورة آل عمران : من الآية ١٩ .
(2) سورة الفرقـــان : الآية ٣٥ .

٦. الأخذ بالأسباب ، فقد اتبع الأنبياء صلوات الله عليهم شتى الأساليب والوسائل من أجل تبليغ الدعوة ودعوة أقوامهم إلى طريق الهدى والنجاة والبعد عن طريق الضلال .

٧. وفيه انتصار الحق على الباطل مهما استعلى فالنجاة للمؤمنين كما هو الحال في مصير قوم نوح .

٨. أن الجزاء من جنس العمل ، فقد عوقب قوم نوح بسبب تكذيبهم بالطوفان .

٩. التخويف من عاقبة الظلم والعناد والجبروت .

١٠. على الدعاة الإقتداء بالأنبياء والصبر في تبليغ الدعوة إلى الناس وإتباع شتى الأساليب والوسائل من أجل تبليغهم الصواب .

فالأنبياء صلوات الله عليهم يمثلون نماذج بشرية بلغت من السمو والعلو منزلة رفيعة سواء في ذواتهم أو في منهجهم في الدعوة .

١١. أنه من أسباب الانحراف في العقيدة التقليد الأعمى للآخرين وتعطيل العقل ، ومن أسباب تصحيح العقيدة إتباع الحق ودعوة العقل للتفكير والتأمل والعلم.

١٢. أنه على الإنسان أن يعتبر ويتعظ عندما تتلى عليه مثل هذه القصص القرآنية، فقد سيقت هذه القصص القرآنية بغية حصول العبرة والعظة مما جاء فيها ، خاصة جانب العاقبة سواء للمؤمنين أو للكافرين .

١٣. في عرض مثل هذه القصص تسلية للدعاة وللمؤمنين الذين يلاقون المعارضة والأعراض عن الدعوة من قبل بعض الناس .

الآثار التربوية في العملية التعليمية :

١. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ العقيدة الصحيحة وإخلاص النية في العلم والعمل .

٢. على المعلم أن يغرس في نفوس المتعلمين أهمية التعاون ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ ﴾[١]

وهذا مقتبس من قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[٢].

٣. العلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة من قبيل ضعاف التحصيل والمتخلفين دراسياً .

٤. على طالب العلم الأخذ بجميع الأسباب والإمكانيات المتاحة والممكنة في تحصيل العلم .

٥. وفيه على المتعلم أن يتحلى بخلق التواضع وأن لا يستعلي بعلمه .

٦. على المعلم أن يكون قدوة لتلاميذه في أخلاقه وسلوكه وتصرفاته وأنه راع ومسئول عن رعيته .

٧. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ حب العلم والتعلم والجد والاجتهاد في تحصيله .

٨. على المعلم أن يبتعد عن التقليد الأعمى وأن يكون كلامه بناء علي حقائق وبراهين وأدلة ليكون أدعى للقبول والتصديق به وكذلك بالنسبة للمتعلم .

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٣٥ .

٩. يجب أن يكون هناك تواصل بين إدارة المدرسة وأسر التلاميذ للإسراع في إصلاح أي خلل في سلوك التلاميذ.

١٠. بوجه عام: أهمية أن يكون سلوك المتعلمين متفقاً مع مبادئ الإسلام فلا نسمح في مدارسنا بالانحراف الخلقي أو السلوكي.

الثانى : استهزاء المشركين بالنبي ﷺ وتسمية دعوته إضلالاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[1]

سبب نزول الآية (٤١) :

روي أن هذه الآية نزلت في أبي جهل ، فأنه كان إذا مرّ رسول الله ﷺ على صحبه قال مستهزئاً أهذا الذي بعث الله رسولاً [2] .

سبب نزول الآية (٤٣) :

أخرج أبن أبى حاتم عن طريق يعقوب القمي .. عن ابن عباس في قوله تعالى: "أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ" قال : كان الرجل يعبد الحجر الأبيض زماناً من الدهر في الجاهلية ، فإذا وجد حجراً أحسن منه رمى به وعبد الآخر ، فأنزل الله الآية [3]

المناسبة :

بعد بيان مواقف المشركين من إنكار نزول القرآن من الله ، والطعن في نبوة محمدﷺ وعدم الإيمان برسالته ، وإبداء الشبهات الواهية حول ذلك ، أبان الله تعالى إسرافهم في

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٤١ : ٤٢ .
(٢) التفسير المنير : مرجع سابق ، ١٩/ ٧١ – ٧٢ .
(٣) أنظر : نادى بن محمود الأزهرى ، المقبول من أسباب النزول ، ط١ (مطبعة الأمانة – مصر ١٩٩٧) ص ٥٠٧

الشطط والغلو والاستعلاء وإساءتهم لهذا الرسول ﷺ بالاستهزاء به الاستهانة بشخصه والحط من قدره ﷺ متهكمين على اختياره للبعثة النبوية ومغالين في ذلك حتى سمو دعوته إضلالا"[١].

المعنى الإجمالي :

"يخبر الله ﷻ عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ وتعييره بالعيب والنقص فيقول (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أي أنهم إذا رأوا محمد ﷺ - استهزءوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا"[٢].

مقارنة بما هم عليه من العزة والسيادة والغنى وما أنت عليه من الفقر واليتم والمسكنة (أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً) ويقولون على سبيل التنقص والازدراء هذا المبعوث من عند الله رسولا إلينا – قبحهم الله – فلم يكن رسول الله ﷺ ألا المثل الأعلى للأنبياء وللبشر قاطبة في مشيه وسلوكه وتصرفاته وأخلاقه وفكره ، ومنطقة العذب ولكن العناد في الكفر الذي يصر عليه أهله على تدليس الحقائق وطمس الفضائل وهم في أصائل قلوبهم يرون الحقيقة ويظهرون غيرها بدليل قولهم كالآتى (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) أي قارب محمد ﷺ أن يثنيهم عن عبادة الأصنام ويحملهم على ترك دينهم إلى دين الإسلام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على ما هم عليه وتمسكوا بالوثنية والأسطورة وفي هذه دلالة واضحة على تناقضهم وإظهارهم خلاف ما يعتقدون من الحقيقة لأنهم عرفوا محمداً الصادق الأمين الراجح في العقل في غضون

---

(١) التفسير المنير ، مرجع سابق ، ١٩/٧٢ .

(٢) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت (٥٤٦هـ) ، المحرر الوجيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ، ٤/٢١١ .

أربعين عاماً من العمر قبل النبوة ولم يوجهوا له يوماً ما أي طعن ونقد وإنما على العكس كان محل احترام وإجلال من الجميع"[1].

وبعد أن حكى الله تعالى - كلامهم زيّف طريقتهم وسفه آراءهم من وجوه ثلاثة :

الوجه الأول :

قوله تعالى:﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ هذا جواب قولهم (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) المتضمن أنهم على هدى في دينهم ، وكان الجواب بقطع مجادلتهم وإحالتهم على حين رؤيتهم العذاب ينزل بهم[2].

ففي هذه الآية الكريمة وعيد شديد لهم وتهديد على التعامي عن الحق والإعراض عن الاستدلال والنظر أو على وصفهم له بالإضلال ، فأنهم حين يشاهدون العذاب الذي لا مفر لهم منه يدركون من أخطأ طريقاً أهم أم المؤمنون - وهو ﷺ قائدهم ، ومن الضّال من المضل[3].

الوجه الثاني :

قوله تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ .

هذا يأس عن إيمانهم ، وإشارة إليه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأسف عليهم وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم[4].

(١) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٢/١٩ ـ ٧٣ .
(٢) التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ٣٤/١٨ .
(٣) التفسير والمنير ، مرجع سابق ، ٧٣/١٩ .
(٤) البحر المحيط : مرجع سابق ، ٤٥٩/٦ .

ومعنى "ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ" أي جعل هواه مطاعاً وصار كالإله والهوى قائد إلى كل فساد لأن النفس أمارة بالسوء ، وإنما الصلاح إذا ائتمرت للعقل [1].

ففي هذه الآية الكريمة تنبيه على عدم الفائدة من دعوة من سيطرت عليه الأهواء إلى الدين الحق ، فانظر فيمن جعل هواه إلهه ، بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه ، واستولى عليه التقليد ، وصمّ أذنه عن سماع الدليل المقنع والبرهان الساطع فكل ما زين له الهوى شيئاً انقاد له وحينئذ لن تستطيع منعه من الشرك والمعاصي ولن تكون مستطيعاً دعوته إلى الهدى ولا ولياً حافظاً على شؤونه لتقمعه عن الضلال وترشده إلى الهدى والصواب . فما استحسنه بهواه جعله دينه ومذهبه ، وهذا دليل على ألا حجة لهم في عبادة الأصنام إلا التقليد وإشباع الأهواء ، ولا يرشد إلى طريقهم فكر ولا عقل سليم" [2].

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ ﴾[3]

فالهداية والضلالة ليستا موكلتين إلى مشيئة النبى ﷺ وإنما عليه التبليغ والآية تسلية له عن تركهم الإيمان وإعراضهم عن دعوته .

الوجه الثالث :

قوله تعالي :

﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(١) المحرر الوجيز : مرجع سابق ، ٢١٢/٤ .
(٢) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٤/١٩ .
(٣) سورة ق : من الآية ٤٥ .

هذه الآية انتقال من التأييس من اهتدائهم لغلبة الهوى على عقولهم والتحذير من أن يظن بهم إدراك الدلائل والحجج ، وهذا توجيه آخر للإعراض عن مجادلتهم"[1] .

ففي هذه الآية الكريمة ذم أشد مما سبق لذا عبّر عنه بقوله "أم" أي بل للإضراب عما سبق إليه .

والمعنى :

بل أتظن أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر وفهم أو يتعقلون ويتفكرون فيما تتلو عليهم وترشدهم إليه من الفضائل والأخلاق الحميدة فتجهد نفسك في إقناعهم بدعوتك ونقلهم إلى العقيدة الصحيحة ، فما حالهم إلا كالأنعام السائمة ، بل هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة واخطأ طريقًا منها ، فإن تلك البهائم تعقل ما هو خير لها وأنفع، وتتجنب ما هو ضار بها وخطر عليها ، أمّا هؤلاء فلا يقدرون مصلحتهم حق التقدير ، فتراهم متهورين في المعاصي قاذفين أنفسهم في المهالك لا يشكرون نعمة الخالق عليهم ولا يعرفون إحسانه ، ولا يفعلون ما يحقق لهم الثواب الأخروي ولا يتجنبون ما يؤدي بهم إلى العقاب والعذاب"[2] .

والسبب في قوله "أكثرهم" دون جميعهم ، لأن هذا حال دهمائهم ومقلديهم ، وفيهم معشر عقلاء يفهمون ويستدلون بالكائنات ولكنهم غلب عليهم حب الرئاسة وأنفوا من أن يعودوا إتباعاً للنبى ﷺ ومساوين للمؤمنين من ضعفاء قريش وعبيدهم مثل عمار وبلال"[3]

---

(١) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٣٧/١٨ .

(٢) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٥/١٩ ، وأنظر صديق حسن خان ، فتح البيان ، (الناشر عبد المجيب على محفوظ القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ٤٤٤/٦ ، ٤٤٥ .

(٣) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٣٧/١٨ .

وهذا دليل على فقدهم الإدراك الصحيح والوعي السليم ، وتعطيلهم طاقات الحواس والمواهب الإلهية التي لو فكروا بموجبها دون تأثر بعصبية أو تقليد موروث أو هوى متبع كحب الزعامة والسيطرة ، لانقادوا إلى رسالة الحق والتوحيد وآمنوا بدعوة النبي ﷺ الأنبياء والمرسلين"[1] .

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يتحرر من التبعية والتقليد الأعمى .

٢. الدعوة إلى التفكر والتدبر وإدراك ما في هذا الكون الدال على عظمة الله وقدرته الشاملة .

٣. فيه دعوة إلى الابتعاد عن العناد والجبروت التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والزوال ، وأن الرياسة والسلطة والمال والجاه لا أهمية له وأنه زائل لا محالة .

٤. في هذه الآيات حث على العلم والبعد ومحاربة الجهل والتبعية والتقليد الأعمى

٥. وفيه أن العقيدة الصحيحة تحقق للإنسان السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة وأن العقيدة الفاسدة تحقق للإنسان الشقاوة في الدنيا والعذاب والخزي الأبدي في الآخرة

٦. وفيه أن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلي الحكمة والصبر والتحمل .

٧. في هذه الآيات تسلية للنبى ﷺ لما كان يلقاه من مشقة في دعوته إلى الله ﷻ وتسلية كذلك للدعاة الذين يلاقون المعارضة من قبل الآخرين وعدم القبول .

الآثار التربوية فى الجوانب التعليمية :

١. فيه حث على الصبر والمصابرة في طلب وتحصيل العلم .

(١) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٥/١٩ .

فعلى المتعلم أن يصبر ويتحمل وأن يجتهد ويثابر في سبيل تحصيل العلم والوصول إلي الحقيقة .

٢. على طالب العلم الأخذ بشتى الأسباب والوسائل المؤدية إلى تحصيل العلم.

٣. تربية المتعلم على التفكر والتدبر والبعد عن التبعية والتقليد الأعمى والابتعاد عن الأوهام والظنونات الزائفة .

٤. على المعلم أن لا يستهزئ بتلاميذه ويسخر منهم نتيجة لضعفهم في التحصيل مثلاً ، فلكل طالب قدرات خاصة به فلذلك على المعلم مراعاة هذه القدرات فكل حسب طاقته واستعداداته .

الثالث : أدلة خمسة على وجود الله وتوحيده :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[1]

المناسبة :

لما بيّن الله تعالى جهل المعرضين عن أدلة التوحيد ومناقشتهم وفساد تفكيرهم في ذلك ذكر خمسة أدلة دالة بنحو قاطع حساً وعقلاً على وجود الصانع الحكيم وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقد أورد الله ﷻ أدلة خمسة على وجوده وقدرته من الظواهر الكونية يدركها ويشاهدها كل مخلوق :

١- خلق الظل. ٢- الليل والنهار.

(١) سورة الفرقان : من الآية ٤٥ : ٥٤ .

٣- الرياح والأمطار. ٤- البحار المالحة والعذبة.

٥- خلق الإنسان من الماء [١].

والقرآن يوجه القلوب والعقول دائماً إلى مشاهدة هذا الكون ويربط بينها وبين العقول ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح ، يتلقى الأصداء والأضواء ، وينفعل بها ويستجيب ويسير في هذا الكون ليلتقط الآيات المبثوثة فيه والمنثورة في أرجائه ويرى فيها يد الصانع المدبر ويستشعر آثار هذه اليد في كل ما تقع عليه عينه وكل ما يلمسه حسه.. ويتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر والاتصال بالله عن طريق الاتصال بما صنعه الله ﷻ ، وفي ظلال هذه المشاهد الموجبة يوقظ القلب وينبه العقل إلى تدبر صنع الله ﷻ فيها ويذكر قدرة الله وتدبيره ، ويتعجب من إشراك المشركين وعبادتهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم وجحودهم وكفرهم" [٢].

المعنى الإجمالي :

نعمة الظل :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾.

المخاطب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول ﷺ بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى ، لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل ، وجميع المكلفين مشتركون في أنه يجب تنبههم لهذه النعمة وتمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع [٣]

(١) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٩/١٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، جـ٥ ، ٢٥٦٨ .
(٣) التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٦٤/٢٤ .

والمعنى : ألم تنظر أيها الرسول وكل سامع إلى صنع الله الذي يدل على كمال قدرته ومنتهى رحمته كيف بسط الظل يتفيأ به الناس طوال النهار وينعمون فيه بالوقاية من شدة الشمس ، من طلوع الشمس إلى غروبها ولو شاء لجعله ثابتاً دائماً على حال واحدة لا يتغير طولاً ولا قصراً وإنما جعله متفاوتاً في ساعات النهار والفصول المختلفة ، وفي ذلك فوائد كثيرة للإنسان والنبات والحيوان ... ثم جعل الله طلوع الشمس علامة على الظل فلولا طلوعها لما عرف الظل ، فإن كل شيء يتميز بضده وهذا يعني أن الله تعالى خلق الظل أولاً ثم جعل الشمس دليلاً عليه ويتغير اتجاه الظل بضوء الشمس قليلاً قليلاً ، وشيئاً فشيئاً على مهل غير فجأة بحسب سير الشمس وارتفاعها ، حتى لا يبقى على الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة ، وقد أظلت الشمس ما فوقه [1].

والظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس ، وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران ، وهذه الحالة أطيب الأحوال ، لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس ، وأما الضوء الخالص وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية فإذن أطيب الأحوال هو الظل لذلك وصف الجنة به .

فقال : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[2]

ثم أنه لولا الشمس ووقوعها على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً وماهية لأن الأشياء إنما تعرف بإضدادها ، فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور فكأنه سبحانه وتعالى لما طلع الشمس على الأرض وزال الظل ، فحينئذ ظهر للعقول أن

---

(١) التفسير المنير : مرجع سابق ١٩/٧٩ – ٨٠ .
وانظر نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ، ٢/٤٦٢ .
(٢) سورة الواقعة : الآية ٣٠ .

الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال "ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً" أي خلقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم إنا هدينا العقول إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة، "ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ" أي أزلنا الظل لا دفعة بل يسيراً يسيراً فإن كلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب"[1].

نعمة الليل والنهار:

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾[2].

"مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظل إلى الاعتبار بأحوال الليل والنهار ظاهرة فالليل يشبه الظل في أنه ظلمة تعقب نور الشمس" [3].

المعنى الإجمالي:

"أن الله سبحانه وتعالى أنعم على الإنسان بنعمة الليل والنهار كما في قوله تعالى "وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا" أي ستراً تستترون به يريد أن ظلمته تغشي كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه "وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا" راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم

(١) التفسير الكبير: مرجع سابق، ٤٦٤/٢٤، وانظر البحر المحيط، مرجع سابق، ٤٦١/٦ وانظر فتح البيان مرجع سابق، ٤٤٦/٦ – ٤٤٧.
(٢) سورة الواقعة: الأية ٣٠.
(٣) التحرير والتنوير: مرجع سابق ٤٤/١٨.

وأصل السبت : القطع ، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته ، "وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا" أي يقظة وزماناً تنشرون فيه لابتغاء الرزق وتنتشرون لأشغالكم[1].

لطيفة :

(جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا) تشبيه بليغ ، حذف منه أداة الشبه ووجه الشبه أي كاللباس الساتر.

(جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا) مقابلة بين الليل والنهار والنوم والتقلب في المعاش[2].

وكما أن النوم يشبه الموت كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[3]

فإن الانتشار واليقظة يشبه البعث ، قال لقمان لابنه ، كما تنام فتوقظ ، كذلك تموت فتنشر ، ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ... ﴾[4]

ففي الليل وسكونه والنوم وراحته والنهار وحركته دليل واضح على وجود الإله الخالق القادر المتصرف في الكون ، ففي ضوء النهار الحياة والبهجة والحركة والعمل وفي الليل الهدوء والسكون وإعداد النفس للكد والكدح والجهاد والله تعالى جعل لكل ظرف ما يناسبه تماماً ويحقق المقصود على أكمل وجه وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها

---

(١) محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل (الرياض ، دار طيبة ، ١٩٨٩م) ٨٦/٦ ، وانظر صفوة التفاسير مرجع سابق ٣٦٥/٢ وانظر محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٣م) ٢٧/١٣ – ٢٨ ، ط١ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٠م) ٣٢٩/٣ .

(٢) انظر : محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير (دار الفكر للطباعة والنشر) ، ٣٦٨/٢ وانظر : محمود صافي إعراب القرآن ، ط١ (بيروت ، دار الرشيد ، ١٩٩١م) ، ٢٩/١٩ .

(٣) سورة الأنعام : من الآية ٦٠ .

(٤) سورة القصص : من الآية ٧٣ .

إظهار لنعمته على خلقه لأن في ستر الليل فوائد دينية ودنيوية ، وفي تشبيه النوم واليقظة بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر [1] .

كما أن في اختلاف الليل والنهار آيات جمة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة ونظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس ، ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس [2] .

نعمة الرياح والمطر :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[3]

هذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات بمجيء السحاب بعدها .

والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرات ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر [4] .

المعنى الإجمالي :

أن الله ﷻ أرسل الرياح مبشرة بنزول الغيث والمطر ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ أي أنزلنا من السحاب الذي ساقته الرياح ماء طاهراً مطهراً تشربون منه وتتطهرون به "لنحيى به بلدةً ميتاً" أي لنحيي بهذا المطر أرضاً ميتة لا زرع فيها ولا نبات

(١) انظر : التفسير المنير ، مرجع سابق ، ١٩/٨٠ – ٨١ .
وانظر : جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥) ٣/٢٧٦ .
(٢) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ١٨/٤٥ .
(٣) سورة الفرقان : من الآية ٤٨ .
(٤) إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ط٢ (بيروت ، دار الجبل ، ١٩٩٠م) ٣/٣١٠ .

وليشرب منه الحيوان والإنسان لأن الماء حياة كل حي والناس محتاجون إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم وسقي مواشيهم"[1].

وفيه تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها ، فبواطنهم أولى بذلك[2].

فقد ذكر الله تعالى لمنافع الماء أمرين : إحياء النبات لقوله : (لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا) وإحياء الحيوان والإنسان لقوله أنعاما وأناسي" والسبب في تخصيص الإنسان والأنعام هنا بالذكر دون الطير والوحش مع أن الكل بحاجة إلى الماء لأن الطير والوحش تبعد عن طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا"[3].

والسبب في أنه قدّم الأنعام وأخّر الإنسان عن النبات والحيوان لشدة حاجة الحيوان وكونه عاجزاً عن التعبير عن مراده ، أما الإنسان فيتفنن في استخراج الماء بوسائل مختلفة [4].

ولأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم ، فكأن الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم [5].

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴾[6]

---

(1) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٦٦/٢ .
(2) فتح البيان : مرجع سابق ، ٤٤٩/٦ .
(3) الكشاف : مرجع سابق ، ٢٧٧/٣ .
(4) أنظر : التفسير المنير ، مرجع سابق ، ٨٢/١٩ .
(5) أنظر : الكشاف ، مرجع سابق ، ٢٧٧/٣ ، وانظر إعراب القرآن ، محمود صافي ، مرجع سابق ، ٢٩/١٩ . وأنظر شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني ، (دار الفكر للطباعة والنشر) ، ٣١/٤ .
(6) سورة الفرقان : من الآية ٥٠ .

المعنى :

أي لقد صرفنا ماء المطر بين الناس فأنلنا مطراً كثيراً في بعض السنين على بعض البلاد فيكثر الخصب في بعضها ، والجدب في بعضها الأخر وقوله (لِيَذَّكَّرُوا)أي صرفناه بينهم لأجل أن يتذكروا أي يتذكر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر ، نعمة الله عليهم فيشكروا له ، ويتذكر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء ، فيبادروا بالتوبة إلى الله ﷻ ليرحمهم ويسقيهم ، ولكن أكثر الناس يأبون شكر النعمة ويكفرون بها ويجحدونها وينسبون ذلك لغير الخالق الحقيقى ، فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا[1] .

كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر ، فأما من قال ، مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي، مؤمن بالكواكب"[2] .

وفي إنزال المطر والتحكم فيه من قبل الله دليل على وجوده وقدرته وحكمته فإذا ما أحيا الله الأرض الميتة به ، تذكر الناس أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات وإذا ما حرم قوم المطر تذكروا إنما أصيبوا بالحرمان بذنب حدث منهم فيقلعون عما هم عليه ، ليتعرضوا إلى رحمة الله ، وكما أن المطر نعمة ينبغي أن تذكر فتشكر وهناك نعمة عظمى على الإنسانية وهي إرسال الرسول محمد ﷺ بالقرآن[3] .

---

(١) محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، أضواء البيان ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٠٠م) ، ٣٣٦/٦ .
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كفر من قال مطرنا بالنوء ، برقم ١٢٥جـ ١ ، ص ٨٣ ٨٤ ، وأنظر الموطئ ، للأمام مالك ، كتاب الاستسقاء ، الاستمطار بالنجوم ، برقم ٤٥١ ، ص ١١٩ .
(٣) التفسير المنير : مرجع سابق ٨٣/١٩ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ أي لو أردنا لخففنا عنك أيها النبي أعباء النبوة فبعثنا في كل أهل قرية نبياً ينذرهم ، ولكنا خصصناك بالبعثة على جميع أهل الأرض إجلالا لك وتعظيماً لشأنك فقابل هذا الإجلال بالثبات .

ولا تطع الكفار ولا تتبعهم فيما يدعونك إليه من مجاملة أو موافقة لآرائهم ومذاهبهم وجاهدهم بكل سلاح مادي وعقلي وهو القرآن جهاداً شاملاً لا هوادة فيه ، متناسباً مع كل فرصة تنتهزها[1] .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]

(جِهَادًا كَبِيرًا) أي شديداً عظيماً موقعه عند الله لما يحتمل منه من المشاق لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيوف أريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم [3] .

نعمة البحار المالحة والعذبة :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[4]

جمعت هذه الآية استدلالاً تمثيلاً وتثبيتاً ووعداً ، فصريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية وهو التقاء الأنهار والأبحر.

---

(١) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٦/٢ ، فتح البيان ، مرجع سابق ، ٤٥١/٦ وانظر : الفضل بن الحسن الطبرسي جوامع الجوامع ، ط ١ ، (بيروت ، دار الأضواء ، ١٩٨٥م) جـ ٢ ، ص ١٧٧ ، وانظر محمد بن محمد العمادي (أبو السعود) ، إرشاد العقل السليم (القاهرة ، دار الأضواء ، ١٩٨٥م) جـ ٢ ، ص ١٧٧ ، وانظر محمد بن محمد العمادي (أبو السعود) ، إرشاد العقل السليم (القاهرة ، دار المصحف ، ١٩٨٠) ، ٢٥٥/٥ .

(٢) سورة التوبة : من الآية ٧٣ .

(٣) صفوة التفاسير: مرجع سابق ، ٣٦٦/٢ .

(٤) سورة الفرقان: من الآية ٥٣ .

المعنى الإجمالي :

أن الله ﷻ بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان أحدهما شديد العذوبة قاطع للعطش من فرط عذوبته وآخر بليغ الملوحة مر شديد المرارة وجعل بينهما حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على الآخر، (وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) أى منعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر وامتزاجه به[1]

فإن قلت (وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) ما معناه ؟ قلت : هي الكلمة التي يقولها المتعوذ (موضعه موضع الأستعاذة) وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً كما قال "لا يبغيان" أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالمازجة ، جعل لكل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة"[2].

قال ابن كثير في معني الآية : "أنه تعالي خلق المائيين ، الحلو والمالح فالحلو كالأنهار والعيون والآبار، والمالح كالبحار التي لا تجري ، وجعل بين العذب والمالح حاجزاً وهو اليابس من الأرض ومانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر"[3].

وفي ضمن هذه الآية (٥٢) تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين : أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج، وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات ، والشرك بالملح الأجاج وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخاً يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج وكذلك حجز بين المسلمين والمشركين فلا يستطيع

---

(١) صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، وانظر فتح البيان ، مرجع سابق ٤٥٢/٦ ـ ٤٥٣ .
(٢) الكشاف : مرجع سابق ٢٧٩/٣ ، وانظر تفسير أبو السعود ، مرجع سابق ، ٢٢٥/٥ ، وانظر إعراب القرآن محمود صافي ، مرجع سابق ، ٣٢/١٩ ـ ٣٣ ، وانظر تفسير أبو السعود ، مرجع سابق ، ٢٢٥/٥ ، وانظر إعراب القرآن ، محمود صافي ، مرجع سابق ، ٣٢/١٩ ـ ٣٣ ، وانظر جوامع الجامع ، مرجع سابق ، ١٧٧/٢ .
(٣) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١١/٣ .

المشركون أن يدسوا كفرهم بين المسلمين ، وفي هذا تثبيت للمسلمين بأن الله يحجز عنهم ضر المشركين لقوله تعالى :

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾[1] وفي ذلك تعريض كنائي بأن الله ناصر لهذا الدين من أن يكدره الشرك[2]

خلق الإنسان من الماء

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[3]

مناسبة موقع هذا الاستدلال بعد ما قبله أنه استدلال بدقيق آثار القدرة في تكوين الحياة وجعلها سبب حياة مختلفة من الأشكال والأوضاع ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأقوام التي علي الأرض وهو نطفة الإنسان بأنها سبب تكوين النسل للبشر فإنه يكون أول أمره ماء ثم يتخلق منه البشر العظيم فالتنوين في قوله "بشراً" للتعظيم[4] .

المعنى الإجمالي :

أن الله تعالي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسّواه وعدّله وجعله كامل الخلقة ذكراً وأنثى كما يشاء[5] .

"فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ" أي قسمهم من نطفة واحدة قسمين : ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم لأن النسب إلى الآباء ، وإناثا يصاهر بهن فبالنسب يتعارفون

---

(١) سورة آل عمران : من الآية ١١١ .
(٢) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٥٤/١٨ .
(٣) سورة الفرقان : من الآية ٥٤ .
(٤) التحرير والتنوير ، ٥٥/١٨ ن وانظر : صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ٣٦٧/٢ .
(٥) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١١/٣ .

ويتواصلون ، وبالمصاهرة تكون المحبة والمودة واجتماع الغريب بالقريب "وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" أي مبالغاً في القدرة حيث خلق من النطفة الواحدة ذكراً وأنثى"[1].

ولو راح الإنسان يدقق في هذا الماء الذي يخلق منه الإنسان لأدركه الدوار وهو يبحث عن خصائص الإنسان الكاملة الكائنة في الأجسام الدقيقة البالغة الدقة ، التي تحمل عناصر الوراثة للجنس كله ، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة من خلق واتجاه في طريق الحياة [2]

وهذا دليل على قدرة الله تعالي إذ خلق الإنسان في أحسن تقويم وزوده بطاقات الحس والعقل والمعرفة والتفكير ، وأقدره على مخلوقات الدنيا ، وجعلها مذللة مسخرة لخدمته ونفعه سبحانه من إله بديع الخلق عجيب الصنع واهب الوجود ومبدع الكون العجيب .

الآثار التربوية :

1. على الإنسان أن يتفكر في هذا الكون الدال على وجود الله ﷻ والدال على وحدانيته وقدرته وعظمته ، فالقرآن يوجه العقول والقلوب دائماً لمشاهدة هذا الكون ليرى ما في هذا الكون من آيات مبثوثة ومنثورة في أرجائه ويرى فيها يد الصانع المدبر ويستشعر عظمته ويتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر.
2. وفيه أن على الإنسان أن يتوجه بالعبادة إلى الله ﷻ لأنه وحده المستحق للعبادة فلا معبود بحق سواه ، فهو المنعم المتفضل على عباده .

---

(١) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٧/٢ ، وانظر تفسير أبي السعود ٢٦٦/٥ ، وأنظر فتح البيان ، ٤٥٤/٦ .
(٢) في ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٣/٥ .

٣. وفيه أن الله خلق الكون لخدمة الإنسان وتحقيق مصالحه ورعاية أسباب حياته ورفاهيته هذا من شأنه تربية عواطف الإنسان على الخشوع لله والشعور بفضله ورحمته وتدفع الإنسان إلى شكره وحمده .

٤. من خلال هذه الظواهر الكونية الربانية يدرك الإنسان مدى ضعفه وعجزه في الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى هو القوي والقادر على كل شيء .

٥. وفيه أنه على الإنسان الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية لمحاربة أعداء الإسلام

٦. وفيه أنه على الإنسان أن يستغل أوقاته لما فيه سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة

٧. وفيه أن الله جعل لكل ظرف ما يناسبه تماماً ، خلق الله الليل والنهار لحكمة والنهار فيه حركة وسعي لذلك على الإنسان أن يجد ويجتهد ويسعى في الطلب وأن يكون عمله هذا ابتغاء مرضاة الله ﷻ والليل فيه سكن وهدوء وراحة فعلى الإنسان أن يعلم بأنه لبدنه عليه حق فعليه أن يأخذ قسطاً من الراحة يعينه ذلك على العبادة والقيام والعمل في النهار ففي الليل فوائد دينية ودنيوية يجب أن يستغلها الإنسان .

٨. باختلاف الليل والنهار عرف الإنسان حساب الآجال ومواسم الأعمال وعدد الأيام والشهور والأعوام وما زال الإنسان يضبط أوقاته على هذا الميقات الرباني .

٩. فيه حث على الدقة في العمل بالنظر إلى هذا الكون البديع الدقيق الصنع.

١٠. وفيه أن الإنسان عليه إذا عمل عملاً أن يحسنه ويتقنه فالله تعالي يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه .

١١. فيه حث الإنسان على التواضع وعدم التكبر بالنظر إلى أصل خلقته فقد خلقه الله ﷻ من ماء مهين . " وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا " .

١٢. فيه بيان منزلة النبى ﷺ حيث اصطفاه الله ﷻ بالرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين تعظيماً له إجلالا ورفع لقدره .

الآثار التربوية في الجوانب التعليمية :

١. على المعلم دعوة طلابه إلى التفكر فى الكون ودعوة تلاميذه إلى استغلال العقل للوصول إلي الحقائق والبعد عن التبعية والتقليد الأعمى .

٢. على المتعلم أن يتدرج في طلب العلم وتحصيله من الأسهل إلي الأصعب قال تعالي "ثُمَّ قَبَضْنَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا"

٣. أن العلم الذي تستمر نتائجه هو العلم القائم على الدقة والفهم والوضوح وهذا مأخوذ (دقة خلق الكون) .

٤. على المتعلم الأخذ بالأسباب واستغلال قدراته وإمكاناته وأوقاته فيما ينفعه ويحقق له السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة وهذا مقتبس من الليل والنهار والحكمة من خلقهما .

٥. على المتعلم أن يتخذ ويحدد أوقاتاً للراحة ليكون أكثر نشاطاً وإنجازا وإبداعا في مجال تخصصه .

٦. إتاحة الفرصة أمام المتعلم بفتح تخصصات مختلفة في المدارس وتسخير كل إمكانيات المدرسة لخدمة المتعلمين كما سخر الله الكون لخدمة الإنسان .

٧. على المتعلم أن يكون حريصاً وأن لا يتبع رفاق السوء لقوله تعالي :" فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ" .

٨. قوله تعالي : "وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا"

أ- على المعلم عزل الطلاب المتخلفين دراسياً وضعاف التحصيل.

ب- أنه على المتعلم أن يسعى دائماً في طلب العلوم النافعة والابتعاد عن العلوم الضارة كالسحر.

ج- فيه أهمية التنويع في طرق ومناهج التدريس وتطويرها وفائدة ذلك على المتعلم.

٩. وقوله تعالي : "وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ" أن المتعلم كالأرض والمعلم كالماء قال الأمام علي : أن المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن الأرض توطئة تشتمل ماءها وماء غيرها ، والتواضع يأخذ العلم من العلماء أذن على المتعلم أن يتحلى بخلق التواضع ذلك الخلق الإسلامي الرفيع الذي يرفع من قدر صاحبه في الدنيا والآخرة فمن تواضع لله ﷻ رفعه الله ﷻ.

١٠. تشجيع التمييز بين الطلاب وتقدير التلميذ المجتهد.

١١. الدقة في التعليم.

١٢. على المعلم أن لا يحمل طلابه فوق طاقاتهم فلكل استعداداته وإمكاناته الخاصة فيه بمعنى مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.

الرابع : الكافر ظهير على ربه

قال تعالي :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾[1]

(١) سورة الفرقان : من الآية ٥٥ .

بالرغم مما أبان الله تعالى من أدلة التوحيد في ظواهر الكون ، فإن المشركين ظلوا يعكفون على عبادة الأصنام ، فأخبر تعالى عن جهلهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل ولا حجة في ذلك ، بل بمجرد التقليد والهوى والتشهي تاركين إتباع الرسول ﷺ الذي جاء يبشرهم بالخير إن أطاعوا وينذرهم العذاب إن عصوا وأعرضوا وهو لا يبتغي على ذلك أجراً"[1] .

سبب النزول :

قيل المراد بالكافر أبو جهل لأن الآية نزلت فيه [2] .

المعنى الإجمالي :

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن ضلال المشركين عن عبادة الله وجهلهم وكفرهم بربهم ، فهم يعبدون الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لأنها جمادات لا تحس ولا تبصر ولا تعقل [3] .

"وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا " فيه أربعة أقوال .

أحدهما : معيناً للشيطان على أن لا يوحدوا الله تعالى .

الثانـي : معينا للمشركين على أن لا يوحدوا الله تعالى .

الثالث : معيناً على أولياء ربه .

الرابع : وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً ، من قولك ظهرت بفلان إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه [4] .

(١) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٩٢/١٩ .
(٢) التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٧٦/٢٤ .
(٣) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٧/٢ .
(٤)انظر : جمال الدين بن محمد الجوزي ، زاد المسير ، ط ٣ (بيوت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م) ٩٧/٦ ، وانظر: محمد بن على الشكاني ، فتح القدير ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) ١٠٣/٤ .

قالوا : والمراد بالكافر هاهنا الجنس ، ولا ينافيه كون سبب النزول هو كافر معين كما قيل أنه أبو جهل [1].

فالأولى حمل الآية على العموم ، لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ ، ولأنه أوفق بظاهر قوله "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ"[2].

وأظهر الأقوال : كان الكافر معيناً للشيطان وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله ، فالكافر من حزب الشيطان يقاتل في سبيله أولياء الله ، الذين يقاتلون في سبيل الله ، فالكافر يعين الشيطان وحزبه في سعيهم لأن تكون كلمة الله ليست هي العليا وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[3]

ومعلوم أنّ الذي يقاتل في سبيل الطاغوت المقاتلين في سبيل الله أنه على ربه ظهير[4].

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يعلم بأن النافع والضار هو الله وحده ، وهذا يربي في النفس الإنسانية السكينة والاطمئنان وعدم الخوف .
٢. أن من أسباب الانحراف في العقيدة التقليد الأعمى للآخرين وتعطيل العقل والعناد والجهل .

---

(١) فتح القدير : مرجع سابق ، ١٠٤/٤ .
(٢)التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٧٦/٢٤ .
(٣) سورة النساء : من الآية ٧٦ .
(٤) أضواء البيان : مرجع سابق ، ٣٤٣/٦ .

الآثار التربوية في الجوانب التعليمية :

١. على المعلم أن يغرس فى نفوس المتعلمين العقيدة الصحيحة وأن يبعدهم عن الخرافات والأباطيل .

٢. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ الثقة بالنفس والاطمئنان وعدم الخوف لأن النفع والضر بيد الله وحده .

الخامس :أوامر إلهية من الله لرسوله

قال تعالي :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾[١]

المعنى الإجمالي :

يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بأنه أرسله ليبشر من أطاعه بالجنة وينذر من عصاه بالنار وأن لا يأبه بعنادهم وكفرهم ولا يحزن على عدم إيمانهم ، فما هو إلا نذير وبشير وعلى الله الحساب والعقاب [٢].

ونظير الآية قوله تعالي :

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٥٦ : ٥٩ .
(٢) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٩٣/١٩ ، وانظر صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ٣٦٧/٢ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾[1]

قـال تعـالى : " قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا " أي قل أيها الرسول لقومك ، لا أطلب على هذا البلاغ وهذا الإنذار أجره من أموالكم ، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ، لكن من أراد أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في الجهاد والتطوعات وغيرها ويتخذ إلى ربه طريقاً يؤدى به إلى رحمته ونيل ثوابه بالعمل الصالح فليفعل ولا يتردد والمراد لا تصنعوا معي احساناً بأجر تدفعوه لي ، ولكن أطلبوا الأجر لأنفسكم بفعل الخير وعبادة الله وشكره"[2].

قال تعالي : "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ" .

أي اعتمد في جميع أمورك على الواحد الأحد ، والدائم الباقي الذي لا يموت أبداً فإنه كافيك وناصرك ومظهر دينك على سائر الأديان ."وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ"

أي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار مما لا يليق به من الشركاء والأولاد (وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا) أي حسبك أن الله مطلع على أعمال العباد لا يخفي عليه شيء منها"[3].

قال الإمام الفخر : "وهذه الكلمة (وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا) يراد بها المبالغة يقال : كفى بالعلم جمالاً ، وكفى بالأدب مالاً وهو بمعنى حسبك ، أي لا تحتاج معه إلى غيره لأنه خبير بأحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد"[4].

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١٢/٣ ، التفسير المنير ، ٩٣/١٩ ، وتفسير أبي السعود ، مرجع سابق ٢٢٦/٥ .

(٣) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .

(٤) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .

(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) .

أي أن الله الخبير العليم بكل شيء وهو الذي أوجد السموات في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في كثافتها وامتدادها في ستة أيام بقوته وسلطانه [1] .

قال سعيد بن جبير "أنه إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلقه الرفق والتثبيت"[2] .

(ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل

(ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) أي هو الرحمن ذو الجود والإحسان فاسأل عنه من هو خبير عارف بجلاله ورحمته [3] .

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا "

بمعنى : "إذا قيل للمشركين اسجدوا لربكم الرحمن الذي وسعت رحمته الأكوان استفهموا عنه استفهام من يجهله وهم عالمون به فزادهم هذا القول بعداً عن الدين ونفوراً منه"[4] .

يتبين مما ذكر أن الله سبحانه لما أمر الرسول ﷺ بأن يتوكل عليه ، وصف نفسه بأمور ثلاثة وهي :

الأول : أنه حي لا يموت "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ" .

الثاني : أنه عالم بجميع المخلوقات "وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا" .

---

(١) التفسير الكبير : ٤٧٨/٢٤ .
(٢) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .
(٣) صفوة التفاسير : ٣٦٨/٢ .
(٤) صفوة التفاسير : ٣٦٨/٢ .

الثالث : أنه قادر علي جميع الممكنات وهو المراد بقوله " ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا " لأنه لما كان هو الخالق للسموات والأرض وما بينهما ولا خالق سواه ثبت أنه هو القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار وأن النعم كلها من جهته فحينئذ لا يجوز التوكل إلا عليه ، أما الكفار فقابلوا الشكر والتوكل بالكفر والاعتماد على النفس فقال تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ " أي إذا طلب منهم السجود وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسم (الرحمن) وإذا كنا لا نعرف الرحمن فكيف نسجد له ، وهذا شبيه بقول موسى لفرعون ﴿ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1]

﴿ قَال فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2]

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يعلم بأن الغاية من خلقه عبادة الله ﷻ وطاعته والائتمار بما أمره الله والانتهاء عما نهى عنه .
٢. وفيه أن الهداية بيد الله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعلى الله ﷻ الحساب والعقاب قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[3]

فعلى الدعاة أن يعلموا بأن وظيفتهم مقتصرة على التبليغ (البشارة والنذارة).

(١) سورة الأعراف : من الآية ١٠٤ .
(٢) سورة الشعراء : من الآية ٢٣ .
(٣) سورة القصص : من الآية ٥٦.

٣. وفيه أنه على الداعية أن يبتغي في دعوته مرضاة الله ﷻ وأن لا يكون هدفه المال والجاه والمنصب (تحقيق أمر دنيوي) .
٤. وفيه أنه على الداعية أن يستعمل ويوازن بين أسلوب الترغيب والترهيب فمن الناس من غلب عليه جانب الرجاء فيحتاج إلى أسلوب الترهيب ومنهم من غلب عليه جانب الخوف فيحتاج إلى أسلوب الترغيب .
٥. على الإنسان أن يتوكل على الله ﷻ في جميع أموره مع الأخذ بالأسباب لأن الأمور كلها صغيرها وكبيرها بيد الله ﷻ ولأن النفع والضر بيد الله ﷻ .

الآثار التربوية في العملية التعليمية :

١. على المتعلم أن يقصد من تعلمه مرضاة الله ﷻ والوصول إلى الحقيقة (إخلاص النية في العلم والعمل) .
٢. رسالة المعلم هي التبليغ وبذل الجهد والطاقة في تعليم الأجيال وتوجيههم إلى ما يحقق لهم السعادة والنفع في الدنيا والنجاة والثواب في الآخرة .
٣. على المعلم أن يستخدم أساليب وطرق متنوعة في التدريس والتى من شأنها أبعاد السأم والملل عن المتعلمين .
٤. تقرير مبدأ الثواب والعقاب في الصف المدرسي .
٥. على المعلم أن يكون لين الجانب مع تلاميذه وأن يتعامل معهم بهدوء وأن يسمح لهم بالتعبير عما يريدون دون انفعال أو عصبية .
٦. على المعلم أن يكون هدفه في تبليغ علمه مرضاة الله ﷻ وتزكيه لعلمه بمعنى اخلاص النية في العلم والعمل ، وأن لا يكون هدفه الأساسى المنصب والجاه والشهرة وتحصيل المال .

٧. على المتعلم التوكل على الله في جميع أموره مع الأخذ بجميع الأسباب والامكانات المؤدية إلى تحصيل العلم والتفوق والنجاح فيه .

٨. على المتعلم التدرج في طلب العلم من الأسهل إلى الأصعب فالعلم لا يؤخذ دفعة واحدة وإنما يحتاج إلى وقت جهد وصبر.

من معطيات الله وآلائه :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

(بروجاً) البروج منازل الكواكب السيارة سميت بالبروج لأنها تشبه القصور العالية وهي للكواكب كالمنازل للسكان وقيل هي الكواكب العظيمة .

(غراماً) : لازماً دائمٌ غير مفارق .

(الغرفة) : الدرجة الرفيعة في الجنة .

والمعنى :

"تمجد وتعظم الله الذي جعل في السماء تلك الكواكب العظام المنيرة وجعل فيها الشمس المتوهجة في النهار والقمر المضيء بالليل"[2] .

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً) : أي يخلق كل منهما الآخر ويتعاقبان فيأتى النهار بضيائه ثم يعقبه الليل بظلامه لمن أراد أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في بدائع صنعه أو أراد شكر الله على أفضاله ونعمائه[3] .

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٦١.
(٢) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٩/٢ .
(٣) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٩/٢ .

قال ابن عباس ﷺ "جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فرط في عمل في أحدهما قضاه في الآخر".

بمعنى من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن فاته شيء من النهار أدركه بالليل [١].

كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: "من قام عن جزئه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل"[٢].

وقد جاء في الحديث الصحيح: "إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل"[٣].

ففي الليل دعة وسكون وهدوء يستدعي التذكر، وفي النهار حركة وتصرف وانشغال قد يشغل عن التذكر أو يكون سبباً لتذكر ما مرَّ من الليل بالنوم فيستدرك المؤمن ما فاته في أحدهما من الخير في وقت آخر فهما وقتان للمتذكرين والشاكرين، والله يقبل عمل الليل وعمل النهار فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ثم أن سكون الليل والتصرف بالنهار نعمة تستحق الشكر[٤].

قال تعالى:

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٥]

---

(١) التفسير الكبير: مرجع سابق، ٤٨٠/٤، وانظر محمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير (سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٧م)، ٢١٠/٩.
(٢) محيى الدين النووي: رياض الصالحين، (مكتبة أبو بكر أيوب، كانو – نيجيريا) ص ٢٩٦.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح، كتاب التوبة، برقم ٢٧٥٩، ٢١١٣/٣.
(٤) التفسير المنير: مرجع سابق، ٩٩/١٩.
(٥) سورة القصص: من الآية ٧٣.

السادس : صفات عباد الرحمن وجزاؤهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾(1)

---

(١) سورة الفرقان : الآيات ٦٣ : ٧٧.

لما ذكر الله تعالى جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين أيضاً وذكر صفاتهم ، وأضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم ، كما قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[1] فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية ، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[2]

يعني في عدم الاعتبار[3] ، وتعرضت هذه الآيات الصفات التي يتصف بها أولئك الذين استحقوا أن ينسبوا إلى الله وأن يحسبوا في عباده ، أما غيرهم الذين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ، وما الرحمن ؟ هؤلاء ليسوا من عباد الله ولن يكونوا من عباد الرحمن مادام هذا حالهم .

أولاً : صفاتهم

(أ): حالهم مع ربهم :

تهجدهم بالليل :

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[4]

المعنى الإجمالي :

أي أن سيرتهم في الليل كسيرتهم في النهار ، فنهارهم خير نهار ، وليلهم خير ليل ، فإذا أمسوا أو أدركوا الليل باتوا ساجدين قائمين لربهم يصلون بعض الليل أو أكثره طائعين عابدين[5] ، كما قال تعالي :

---

(١) سورة الإسراء : من الآية ١ .
(٢) سورة الأعراف : من الآية ١٧٩ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ٤٦/١٣ .
(٤) سورة الفرقان : من الآية ٦٤ .
(٥) لتفسير المنيــر : مرجع سابق ، ١٠٧/١٩ .

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1]

وقال تعالي :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[2]

وقال تعالي :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[3]

"فأما دليلهم فهو التقوى ومراقبة الله والشعور بجلاله والخوف من عذابه والتعبير يبرز من الصلاة والسجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجداً وقياما ، ويتوجهون لربهم وحده ويقومون له وحده ويسجدون له وحده وهؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع مشغولون بالتوجه إلى ربهم ، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ينام الناس وهم قائمون ساجدون ، ويخلد الناس إلى النوم وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام"[4]

عن أبي هريرة ﷺ قال النبى ﷺ قال : "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"[5].

عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ﷺ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، أفلا أكون عبدا شكوراً"[6].

(١) سورة الذاريات : من الآية ١٧ : ١٨ .
(٢) سورة السجدة : من الآية ١٦ .
(٣) سورة الزمر : من الآية ٩ .
(٤) فى ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٨/٥ .
(٥) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم ، برقم ١١٦٣ ، ٨٢/١ .
(٦) فتح الباري : كتاب تفسير القرآن ، برقم ٤٨٣٧ ، ٧٣١/٨ ، وانظر أيضا في كتاب التهجد باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم ، برقم ١١٣٠ ، ١٧/٣ ، وفي كتاب الرقاق ، باب الصبر على محارم الله ، ٣٦٩/١١ .

وأنشدوا في صفة الأولياء :

امنــع جفونــك أن تــذوق منامــاً   واذر الدموع على الخدود سجاماً
وأعلــم بأنــك ميــت ومحاســب   يـا مـن على سـخط الجليل اقاما
لله قـــوم أخلصـــوا في حبـــه   فرضـي بهـم واختصـم خـداما
قـــوم إذا جـــن الظـــلام علـــيهم   بـاتوا هنالـك سـجداً قيامـا[1]

خوفهم من عذاب الله :

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ "

المعنى الإجمالي :

أي يدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار ويبتهلون إليه أن يدفع عنهم عذابها[2].

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[3]

فهم في طاعتهم مشفقون وجلون خائفون من عذابه [4].

يقول السيد قطب : "وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم ، وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم ، ولا يطمئنهم أنه يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ، ولا يرون فيها ضماناً ولا أماناً من النار أن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم"[5].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ٤٨/١٣ .
(٢) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٦٩/٢ .
(٣) سورة المؤمنون : من الآية ٦٠ .
(٤) فتح القدير : مرجع سابق ، ١٠٧/٤ .
(٥) في ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٨/٥ .

ثم ذكر الله تعالي أن علة سؤالهم ودعائهم شيئان :

الأول : (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) .

(كان غراماً) : فيه خمسة أقوال تتقارب معانيها[1] .

١. دائماً رواه أبو سعيد الخدري .

٢. موجعاً رواه الضحاك عن ابن عباس .

٣. ملجًا قال ابن السائب .

٤. هلاكاً قاله أبو عبيدة .

٥. أن الغرام في اللغة : أشد العذاب .

والأظهر : أن معنى قوله (كان غراماً) أي كان لازماً دائماً غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ، ويقال فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به"

الثاني : "أنها ساءت مستقراً ومقاماً" ، أي بئس المنزل منظراً تستقر فيه وبئس المقيل مقاما[2] .

لا يدعون مع الله آلها آخر

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ "

سبب النزول :

أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال "أن تجعل لله نداً ، وهو خلقك ، قلت ثم أي ؟ قال "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك

(١) جمال الدين بن الجوزي ، زاد الميسر ، ط٣ (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م) ١٠٢/٦ .
(٢) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١٤/٣ .

قلت ثم أي ، قال : أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها "وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ "[1].

وأخرج الشيخان عن ابن عباس : أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا .. ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : "أن الذى تقول وتدعوا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟ فنزلت "وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ " إلى قوله غفوراً رحيماً ونزل ﴿ قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾[2]

النسخ :

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ " نسخها بقوله "وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ..."[3]

المعنى الإجمالي :

أي والذين لا يعبدون مع الله الهاً آخر ، فيجعلون مع الله في عبادتهم شريكاً آخر وإنما يخلصون له الطاعة والعبادة"[4].

قال تعالي :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5]

وقيل : لا يدعون الهوى الهاً ، ولا يذلون أنفسهم بالمعاصي فيكون قتلاً لهم"[6]

---

(١) المقبول من أسباب النزول : مرجع سابق ، ص ٥٠٩ ، وانظر الواحدي ، أسباب النزول ، ط٢ (مصر ، شركة مكتبة مصطفي الحلبي وأولاده ، ١٩٦٨م) ، ص ١٩٢ ، وأخرجه البخارى ، كتاب التفسير ، ١٤/٦ ـ ١٥ .
(٢) سورة الزمر : من الآية ٥٣ .
(٣) انظر ابن حزم الأندلسي ، الناسخ والمنسوخ ، ط ١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦) ص ٤٨ .
(٤) التفسير المنير : ١٠٩/١٩ ، وانظر تيسير التفسير ، ٢١٥/٩ .
(٥) سورة النساء : من الآية ١١٦ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن : مرجع سابق ، ٥١/١٣ .

يخرون على آيات الله سامعين مبصرين :

قال تعالي :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

أي والذين إذا ذكروا بالآيات لم يعرضوا عنها بل سمعوها بآذان واعية وقلوب وجلة[2].

قال تعالي : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[3]

لا كحال الكفار المشركين فإنهم إذا ذكروا بآيات الله خروا صمّا وعمياناً كحال من لا يحب أن يري شيئاً فيجعل وجهه على الأرض . فاستعير الخرور لشدة الكراهية والتباعد بحيث أن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخرّ إلي الأرض لئلا يري ما يكره بحيث لم يبقى له شيء من التقوم والنهوض فتلك حالة هي غاية في نفي إمكان القبول [4].

قال صاحب "الكشاف" قوله "لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا " ليس بنفي للخرور وإنما هو إثبات له ، ونفي للصم والعمى كما يقال لا يلقاني زيد مُسلماً ، هو نفي للسلام لا للقاء ، والمعنى أنهم إذ ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها ، وأقبلوا على المذكر بها ، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية ، مبصرون بعيون راعية ، لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٧٣

(٢) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٧١/٢ .

(٣) سورة الأنفال : من الآية ٢

(٤) التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ١٠/١٨

استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم"[1].

"وقيل أن هؤلاء الكفرة المخالفين لعباد الرحمن إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً ، أي لا يسمعون ما فيها من الحق ولا يبصرونه حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً وهذا المعنى جاء موضحاً فى آيات أخر من كتاب الله .

قال تعالي : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]

والظاهر أن معنى خرور الكفار على الآيات في حال كونهم صماً وعمياناً هو اكبابهم على انكارها والتكذيب بها خلافاً لما ذكره الزمخشرى في الكشاف"[3].

يسألون ربهم السكن العائلي :

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4]

(قرة العين) : أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرّت عينه باهله وعياله ، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت لها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرّية محافظون على الطاعة معاونون له علي وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلي ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرّة العين وسكون النفس[5].

---

(١) الكشاف : مرجع سابق ، ٢٨٧/٣ .
(٢) سورة لقمان : من الآية ٧ .
(٣) أضواء البيان : مرجع سابق ، ٣٥٨/٦ .
(٤) سورة الفرقان : من الآية ٧٤ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، مرجع سابق ، ٥٥/١٣ ـ ٥٦ .

قال الحسن : قرة الأعين في الدنيا وهو أن يري العبد من زوجته ومن أخيه طاعة الله تعالي وقال : والله ما شيء أقر لعين المسلم من أن يري ولده أو والده أو أخاه أو حميماً مطيعاً لله تعالي[1].

المعنى الإجمالي :

أن عباد الرحمن يبتهلون إلى ربهم داعين الله ﷻ أن يرزقهم زوجات صالحات وأولاد مؤمنين صالحين مهديين للإسلام يعملون الخير ويبتعدون عن الشر تقربهم أعينهم وتسر بهم نفوسهم فإن المؤمن - إذا رأى من يعمل بطاعة الله قرت عينه وسر قلبه في الدنيا والآخرة[2].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"[3]

رجاؤهم ربهم حتى يكونوا أئمة للمتقين

"وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"

فيه قولان ، **القول الأول** : اجعلنا أئمة يقتدى بنا ، قاله ابن عباس .

وقال غيره : هذا من الواحد الذي يراد به الجمع كقوله :

﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]

---

(١) أحمد الرازي الجصاص : أحكام القرآن ، ط ١ (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣) ٣/٥٠٦

(٢) التفسير المنير : مرجع سابق ١١٢/١٩ ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ٣١٨/٣ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، برقم ١٦٣١، ١٢٥٥/٢ .

(٤) سورة الشعراء : من الآية ١٦

دقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾[1]

والقول الثاني : اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم ، قاله مجاهد ، فعلي هذا يكون الكلام من القلوب ، فيكون المعنى ، واجعل المتقين لنا إماماً[2] .

قال الحسن : "واجعلنا للمتقين إماماً" نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا" [3]

وبذلك أحبوا أن تتصل عبادتهم بعبادة زوجاتهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم بالنفع فهم دعاة خير وبر ، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآبا[4].

ب. حالهم مع أنفسهم

اعتدالهم في الإنفاق دون إسراف أو تقتير

قال تعالي :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[5]

وفي معني الكلام قولان :

احدهما :أن الإسراف : مجاوزة الحد في النفقة ، والإقتار : التقصير عما لابد منه ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب (كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى) .

عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : (إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت)[6] . (من فقه الرجل قصده في معيشته) [7]

(١) سورة الشعراء : من الآية ٧٧ .
(٢) زاد المسير : مرجع سابق ، ١١١/٦ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص : مرجع سابق ، ٥٠٦/٣ .
(٤) التفسير المنير : مرجع سابق ، ١١٢/١٩ ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٨/٣ .
(٥) سورة الفرقان : من الآية ٦٧ .
(٦) أخرجه ابن ماجة في السنن : كتاب الأطعمة ، باب الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت ، برقم ٣٣٥٢ جـ١١١٢/٢
(٧) أخرجه الإمام أحمد عن أبي الدرداء في المسند ، برقم ٢١٥٩٢ ، جـ ٦٤/١٦ .

والثاني : أن الإسراف : الإنفاق في معصية الله وإن قل ، والإقتار منع حق الله تعالي ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وآخرين[1] .

والمعنى الأظهر : أن من أوصاف عباد الرحمن أنهم ليسوا مبذرين في إنفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس ، ولا مقصرين ومضيقين بحيث يصبحون بخلاء ، وإنفاقهم وسطا معتدلا بين الإسراف والتقتير ، فهم يضعون النفقات مواضعها الصالحة كما أمرهم الله [2].

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[3]

ولا تجعل يدك تؤدي معنى قوله هنا " وَلَمْ يَقْتُرُواْ " ولا تبسطها كل البسط تؤدي معنى قوله " لَمْ يُسْرِفُواْ "

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾[4]

فعباد الرحمن في حياتهم نموذج القصد والاعتدال والتوازن وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال . [5]

والمسلم مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ليس حرا في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء ، كما هو الحال عند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل

---

(١) زاد المسير : مرجع سابق ، ٦/١٠٢ ــ ١٠٣ .
(٢) صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ١٩/٣٧٠ ، وانظر عبد الحميد كشك ، في رحاب التفسير (المكتب المصري الحديث ، ١٩٨٨م) ، ٤/٣٢٩٥ .
(٣) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٥/٢٥٧٨ .
(٤) سورة الإسراء : من الآية ٢٧ .
(٥) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٥/٢٥٧٨ .

ميدان إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين ، الإسراف والتقتير ، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية والإسراف أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب ، ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق . [1]

الابتعاد عن القتل العمد

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[2]

سبب النزول : تقدم ص ٤١

ناسخة أم منسوخة : [3]

لعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان :

القول الأول : أنها منسوخة وفي ناسخها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[4]
قاله ابن عباس ، وكان يقول : هذه مكية ، والتي في النساء مدنية .

الثاني : أنها نسخت بقوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5]

الثالث : أن الأولى نسخت بالثانية وهي قوله " إِلَّا مَن تَابَ "

---

(١) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٨/٥ ــ ٢٥٧٩ .
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٦٨ .
(٣) زاد المسير : مرجع سابق ١٠٦/٦ ، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ، مرجع سابق ص ٤٨ وانظر : جمال الدين بن الجوزي . نواسخ القرآن : ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(٤) سورة النساء : من الآية ٩٣ .
(٥) سورة النساء : من الآية ١١٦ .

والقول الثاني : أنها محكمة : والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين ، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه والاستثناء ليس بنسخ .

المعنى الإجمالي :

أي لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو القتل قصاصا . [1]

ووصف النفس بـ "ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ" بيان لحرمة النفس التي تقررت من عهد آدم فيما حكى الله من محاورة ولدي آدم بقوله "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ" فتقرر تحريم قتل النفس من أقدم أزمان البشر ولم يجهله أحد من ذرية آدم ، فذلك معنى وصف النفس بالموصول في قوله "ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ" وكان قتل النفس متفشيا في العرب بالعداوات والغارات وبالوأد في كثير من القبائل بناتهم ، وبالقتل لفرط الغيرة"[2] .

"إِلَّا بِٱلْحَقِّ" كالكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان وقتل النفس بغير الحق ويكون القتل بحكم الحاكم أو القاضي لا برأي شخصي[3] .

عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) [4] .

(١) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٧٠/٢ ، وأنظر : روح المعاني ، مرجع سابق ٤٧/٤ .
(٢) التحرير والتنوير : مرجع سابق ٧٣/١٨ .
(٣) التفسير المنير : مرجع سابق ١٠٩/١٩ ، صفوة التفاسير ٣٧٠/٢ .
(٤) فتح الباري : مرجع سابق ، كتاب الديات ، باب قوله تعالى " إن النفس بالنفس ... " برقم ٦٨٧٨ ، جـ ١٢ ، ص ٢٤٩ ، وأخرجه الترمذي في الجامع كتاب الديات ، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم ، برقم ١٤٠٢ ، ١٢/٤ – ١٣ قال أبو عيسى حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح .

والتحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تحترم فيها الحياة الإنسانية ويقام لها وزن ، وحياة الغابات والكهوف التي لا يأمن فيها على نفس أحد ولا يطمئن إلى عمل أو بناء .[1]

ج. حالهم مع مجتمعهم :

التواضع :

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[2]

" وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ " الذين أخلصوا العبودية والعبادة لله ، الذين هم أحق بهذا الاسم وأن يشرفوا به ، وأضافهم للرحمن تفضيلا لهم وتشريفا [3].

المعنى الإجمالي :

"إن من صفات عباد الرحمن التواضع ، يمشون في سكينة ووقار من غير تجبر واستكبار ، لا يضربون بأقدامهم أشرا ولا بطرا ولا يتبخترون في مشيتهم ، يمشون في تؤده ويعاملون الناس بلين ، لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا كما قال تعالى حاكيا وصية لقمان لابنه:

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[4]

وليس معنى "يَمْشُون عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا" أنهم يمشون متهاونين منكسي الرؤوس متداعي الأركان ، متهاوي البنيان ، كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح ، وإنما بعزة وأنفة هي عزة المؤمن المتواضع لله وحده ، وهذا رسول الله ﷺ كان إذا مشى تكفأ تكفيا وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها.

---

(١) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٧/١٩ .
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ .
(٣) تيسير التفسير : مرجع سابق ٢١٠/٩ .
(٤) سورة لقمان : من الآية ١٨ .

قال أبو هريرة : (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)

الحلم والكلام الطيب

قال تعالي : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا ، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما وكما قال تعالي : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[2]

قال الحسن : لا يجهلون على أحد ، وإن جهل عليهم حلموا .[3]

فهم في حدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة ، لا يتلفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم عن مهاترة الطائشين .

"وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا " لا عن ضعف ولكن عن ترفع ولا عن عجز إنما عن استعلاء ، وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع[4] .

(١) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ .
(٢) سورة القصص : من الآية ٥٥ .
(٣) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٦٩/٢ .
(٤) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٨/٥ .

اظهار لا يزنون "..... ولا يزنون"

المعنى الإجمالي :

إن من صفاتهم أنهم لا يرتكبون جريمة الزنا والتى هي من أفحش الجرائم [1].

وذلك لما للزنا من خطورة على الفرد والمجتمع وما يؤديه الزنا من انهيار القيم والأخلاق ، واختلاط الأنساب والأعراض ، ولما فيه من انتشار الفساد والانحلال الخلقي ولما فيه من الدمار سواء على النفوس ، والمجتمع ونشر الأمراض الفتاكة ، ولما فيه من اعتداء على حرمات الإسلام والكثير من المفاسد التي نعلمها والتي لا نعلمها .

قال تعالي : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2]

فأخبر تعالي عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناها قبحه حتى استقر فحشه في العقول وأنه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب في الآخرة وخزي [3]

والتحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيواني الغليظ ، ويحس بأنه لالتقائه بالجنس الآخر هدفاً أسمى من إرواء سعار اللحم والدم والحياة الهابطة الغليظة التى لا هم للذكران والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار [4].

(١) صفوة التفاسير : ٣٧٠/٢ .
(٢) سورة الإسراء : من الآية ٣٢ .
(٣) في رحاب التفسير : مرجع سابق ٣٣١٤/٤ .
(٤) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٩/٥ .

صادقون لا يشهدون الزور :

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

أي لا يشهدون الشهادة الباطلة وشهادة الزور التي فيها تضييع لحقوق الناس[2] وقيل لا يحضرون مجالس الكذب والفحش والكفر[3] .

وعدم شهادة الزور قد تكون على ظاهر اللفظ ومعناه القريب ، أنهم لا يؤدون شهادة زور ، لما في ذلك من تضييع الحقوق ، والإعانة على الظلم وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزور لكل صنوفه وألوانه ترفعاً فهم عن شهود مثل هذه المجالس والمجالات ، وهو أبلغ وأوقع ، وهم كذلك يصونون أنفسهم واهتماماتهم عن اللغو والهذر "وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما" لا يشغلون أنفسهم به ولا يلوثونها بسماعة ، إنما يكرمونها عن ملابسته ورؤيته والمشاركة فيه فللمؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر ، وليس لديه من الفراغ والبطالة ما يدفعه إلى الشغل باللغو الفارغ ، وهو من عقيدته ومن دعوته ومن تكاليفها في نفسه وفي الحياة كلها في شغل شاغل[4] .

قال ابن كثير : والأظهر من السياق أن المراد لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا فيه بشيء ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[5]

---

(١) سورة الفرقان : من الآية ٧٢ .
(٢) صفوة التفاسير : ٣٧١/٢ .
(٣) أنظر : نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ٤٦٧/٢ .
(٤) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٨٠/٥ ، وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ٢٢٩/٤
(٥) سورة القصص : من الآية ٥٥

ومما يدلنا على فداحة هذه المعصية أن رسول الله ﷺ ساقها بعد أكبر كبيرتين في سلم المعاصي .

كما ورد في الصحيحين عن أبى بكر قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً قلنا : بلي ، يا رسول الله ، قال : الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [1].

وشهادة الزور إلى جانب حرمتها ، تزري بالرجولة ، وتقدح فى الأمانة وتخل بالشرف ومن ثم لا يمكن أن تكون من صفات المؤمنين ولهذا نفى الله عن عبادة المصطفين الأخيار هذه الصفة فيما نفى عنهم من كبائر [2].

ثانياً : جزاء عباد الرحمن

قال تعالي :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[3]

المعنى الإجمالي :

(الغرفة) : البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعز منزلا من البيت الأرضي والتعريف في الغرفة تعريف الجنس فيستوي منه المفرد والجمع مثل قوله تعالي : "وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ" فالمعنى يجزون الغرف ، أي من الجنة ، قال تعالي :

﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[4]

---

(١) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، برقم ١٤٣ – ١٤٤ ، جـ ١ ، ص ٩١ .
(٢) أنظر : د. محمد على الهاشمي ، شخصية المسلم ، ط ٢ (بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ١٩٨٦) ص ٢١٣ .
(٣) سورة الفرقان : من الآية ٧٥ .
(٤) سورة سبأ : من الآية ٣٧ .

والمعنى :

أن أولئك المتصفون بالأوصاف الجليلة السامية ينالون الدرجات العليا بصبرهم على أمر الله وطاعتهم له سبحانه "وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا "

أي يتلقون بالتحية والسلام من الملائكة الكرام "خَٰلِدِينَ فِيهَا " أي مقيمين في ذلك النعيم لا يموتون ولا يخرجون من الجنة لأنها دار الخلود "حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " أي ما أحسنها مقرا وأطيبها منزلا لمن أتقى الله[1] .

وفي قوله تعالي :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[2]

هذه الآية الكريمة فيها وعد بالمنافع والتعظيم .

أما المنافع فهى قوله : "أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ"[3]

وثانيها التعظيم كما في قوله تعالي :" وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا"

"أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ" الصبر هنا يعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالي ، وعلى مشاق الطاعات ، وعلى مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالي ، وعلى مشاق الطاعات وعلى مشاق ترك الشهوات ، وعلى مشاق أذى المشركين ، وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس[4].

قوله تعالي : "خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا "

---

(١) صفوة التفاسير : ٣٧١/٢ ، وأنظر تفسير القرآن العظيم ، ٣١٩/٣ .
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٧٥ .
(٣) التفسير الكبير : ٤٨٧/٢٤ – ٤٨٨ .
(٤) التفسير الكبير ٤٨٨/٢٤ .

فالمراد أنه سبحانه لما وعد بالمنافع أولاً وبالتعظيم ثانياً ، بين أن من صفتها الدوام وهو المراد بقوله : "خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ" ومن صفتها الخلوص أيضاً وهو المراد من قوله "مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا "[1].

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يتحلى بخلق التواضع هذا الخلق الإسلامي الرفيع الذي يدفع صاحبه إلى التحلي بالأخلاق الكريمة والبعد عن الأخلاق المذمومة . فمن تواضع لله ﷻ رفعه الله .

٢. على المؤمن أن يكون مثلا أعلى وقدوة صالحة في كل أفعاله وتصرفاته وأن يبتعد عن الأخلاق المذمومة منها الكبر وأن يمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية .

٣. على الإنسان أن يتحلى بالحلم وأن يبتعد عن سفاسف الأمور وأن يهتم بمعالي الأمور التي تتناسب مع مستواه الخلقي الرفيع وأن لا يلتفت إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء والبعد عن الجدل والمهاترة مع المهاترين الطائشين .

٤. على الإنسان دائما أن يتقي الله في جميع أموره وأقواله وأفعاله وتصرفاته وأن يعلم بأن الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وأن يجعل من جوارحه رقيبا على أفعاله وتصرفاته .

٥. على الإنسان أن يداوم باستمرار على فعل الطاعات وأداء العبادات والواجبات على أكمل وجه ، وأن يداوم على قيام الليل ، والسجود لله وحده ، لما فيه من تطهير للنفس

(١) التفسير الكبير ٢٤/٤٨٨ .

ورفع للموازين يوم القيامة . والقيام بين يدي الله على حقيقة التقوى والصدق والصلاح .

٦. على الإنسان أن يتوجه دائما بالدعاء والتضرع إلى الله ﷻ قال تعالي :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(١)

٧. على الإنسان أن يعلم بأن الجزاء من جنس العمل ، فكل صغيرة وكبيرة يعلمها الله ﷻ ويحاسب عليها الإنسان . فإن كانت طاعات فله الجنة حسنت مستقرا ومقاما وإن كانت معاصي فله جهنم ساءت مستقرا ومقاما والعياذ بالله .

٨. وفيه أن توحيد الله ﷻ أساس العقيدة ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة فى الاعتقاد وبين الغموض والتعقيد الذى لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة .

٩. التحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الأمنة المطمئنة وبين حياة الغابات التي لا يأمن ولا يطمئن فيها الإنسان على نفسه .

١٠. التحرج من الزنا الذى هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة الكريمة العفيفة الطاهرة ، وبين الحياة القذرة القائمة على حب الشهوات والملذات والانغماس في المحرمات . فلينظر الإنسان ماذا يختار من هذه الطرق وسيكون الجزاء على حسب الطريق الذي يختار .

١١. أن يعلم الإنسان بأن الزنا من أكبر الجرائم لما فيه من الإضرار الجسيمة على الفرد والمجتمع ولما فيه من انتشار الفساد والانحلال الخلقي في المجتمعات ولما فيه من

(١) سورة غافر : من الآية ٦٠ .

اختلاط الإنساب ولما فيه من انتشار الأمراض الفتاكة . فالإسلام يحرم كل ما له تأثيرات سلبية على الفرد والمجتمع .

١٢. وفيه أن أبواب التوبة مفتوحة في أي وقت وزمان فعلى الإنسان إذا وقع في ذنب أو معصية أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يحقق شروط التوبة وذلك بأن يتوب توبة نصوحا والندم على فعل المعاصي والعزم على تركها وعدم العودة إليها . قال تعالى ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[1]

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[2]

١٣. يجب أن يكون الإنسان في حياته نموذجا للقصد والاعتدال والتوازن والبعد عن الإسراف والتقتير فالإسراف فيه مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة ، إذن فعلي الإنسان أن يكون وسطا بين الإسراف والتقتير في معاشه وأن يعلم بأن للفقراء حق في أمواله فعليه أن يستغل أمواله فى وجوه الخير والبر والإحسان والطاعات .

١٤. أن يعلم الإنسان أن الأعمال الصالحة سبب من أسباب تبديل السيئات حسنات ، لذلك على الإنسان أن يبادر دائما وباستمرار إلى فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي والآثام . قال تعالي : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[3]

(١) سورة الفرقان : الآية ٧١ .
(٢) سورة الزمر : من الآية ٥٣ .
(٣) سورة الفرقان : من الآية ٧٠ .

١٥. على الإنسان أن يقتصد أيضا في كلامه فلا يتكلم إلا عند الحاجة وأن يتكلم في المواضع التي تحتاج إلى كلام وأن يلتزم الصمت في المواضع والأماكن التى تحتاج إلى صمت .

١٦. على الإنسان أن يبتعد عن شهادة وقول الزور والأماكن التى يقع فيها الزور بكل صنوفه وألوانه لما فيه من تضييع الحقوق والإعانة على الظلم والفساد .

١٧. على الإنسان أن يصون نفسه واهتمامه عن اللغو والهذر وأن لا يشغل نفسه بالتفاهات .

١٨. على الإنسان أن يتعظ ويعتبر عندما تتلى عليه هذه الآيات الكريمة ، وأن تكون حافزا ودافعا له علي العمل والجد وفعل الطاعات والبعد عن المعاصي ، والإسراع في التوبة إذا ألم بذنب أو معصية .

١٩. على الإنسان أن يتحلى بخلق الصبر وأن يعلم بأن الله مع الصابرين وأن الله لا يضيع أجر المحسنين .

٢٠. على الإنسان أن يختار الزوجة الصالحة تعينه على الطاعة وفعل الخير وتربي أبنائه على التقوى والصلاح والبر.

٢١. على كل من الزوج والزوجة الاهتمام بتربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة مبنية على أساس عقدي متين ، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد والخير.

٢٢. وفيه أن الذرية الصالحة والزوجة الصالحة سبب لدخول الجنة وبقاء الذكر الحسن والجميل وبقاء الأجر والثواب كما في الحديث الشريف (إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوا له) .

٢٣. الجزاء من جنس العمل .

تربويا :

١. على طالب العلم أن يتحلى بخلق التواضع ذلك الخلق الإسلامي الرفيع الذي يرفع من قدر صاحبه في الدنيا والآخرة فمن تواضع لله رفعه الله قال الإمام علي : أن المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما والتواضع يأخذ العلم من العلماء .

٢. على المعلم أن يكون مثلا أعلى وقدوة لتلاميذه في أقواله وأفعاله وتصرفاته.

٣. على المعلم أن يكون حليما مع تلاميذه وأن يعاملهم بلطف ولين ويسمح لهم بالتعبير عما يريدونه بحرية ، والتعرف على مشاكل التلاميذ وإيجاد الحلول المناسبة وعلاجها بطريقة سليمة وحكيمة .

٤. على المتعلم أن يبتعد عن سفاسف الأمور والاهتمام بمعاليها وأن لا يلتفت إلى السفهاء وأن يبتعد عن الجدل والمهاترة .

٥. على المتعلم أن يتسلح بالعلم والمعرفة والحجج والبراهين الدالة على صدق ما يقول وحتى يكون قادراً على مواجهة الخصم وإقناعه وإبطال حجة الخصم .

٦. على المتعلم أن يتحلى بخلق الصبر فالعلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة والمداومة على الجد والاجتهاد والعمل .

٧. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ حب العلم ، وإخلاص النية في العلم والعمل

٨. على المعلم أن يعدل بين طلابه وأن يعطي كل واحد العلامة والنتيجة التي يستحقها

٩. على المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ فكل طالب له قدراته وإمكاناته الخاصة به .

١٠. على المعلم أن يغرس في نفوس المتعلمين العقيدة الصحيحة والبعد عن الرذائل والأخلاق المذمومة والتحلي بالفضائل والأخلاق الحميدة .

١١. تربية المتعلم على التساؤل الهادف .

١٢. على المتعلم أن يقوم بانتقاء الألفاظ للتعبير عما يريد وأن يكون كلامه مختصراً يؤدي المعنى والفائدة .

١٣. على المتعلم أن يصون نفسه واهتمامه عن اللغو والهذر وأن لا يشغل نفسه بالتفاهات والأمور التي لا فائدة ولا طائل تحتها .

المصادر والمراجع

١. الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ. تفسير القرآن العظيم .- ط٢.- بيروت : دار الجيل ، ١٩٠٠م .

٢. الإمام أحمد بن حنبل ٢٤٢هـ. المسند .- شرحه ووضع فهارسه أحمد الزين .- ط ١ .- القاهرة : دار الحديث ، ١٩٩٥م .

٣. الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني . فتح البارى بشرح صحيح البخارى .- المنصورة : مكتبة الإيمان .

٤. ابن حزم الأندلسي . الناسخ والمنسوخ فى القرآن .- تحقيق د. عبد الغفار سليمان البداري .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م

٥. أحمد بن محمد إسماعيل النحاس ٣٣٨هـ. إعراب القرآن .- تحقيق د. زهير غازى زاهد.- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٨م .

٦. الإمام أحمد الرازي الجصاص ٣٧٠هـ. أحكام القرآن .- مراجعة صدقي محمد جميل.- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٣م .

٧. جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ٥٧٩هـ. زاد المسير فى علم التفسير.- ط٣.- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م .

٨. جمال الدين بن الجوزي . نواسخ القرآن .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

٩. سيد قطب . فى ظلال القرآن .- ط ٩ .- القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٠م .

١٠. شهاب الدين السيد محمود الألوسي ١٢٧هـ . روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثانى .- دار الفكر للنشر والطباعة .

١١. صديق حسن خان ١٣٠٧هـ . فتح البيان في مقاصد القرآن .- القاهرة : مطبعة العاصمة ١٩٧٦م .

١٢. الإمام عبد الله الشيرازي البيضاوي ٧٩١هـ . تفسير البيضاوى .- تحقيق مكتب البحوث والدراسات .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٦م .

١٣. القاضى عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد.- ط ١ .- بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

١٤. عبد الحميد كشك . فى رحاب التفسير. القاهرة : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨٨م

١٥. على بن أحمد الواحدي النيسابوري ٤٦٨هـ . أسباب النزول .- ط ٢ .- مصر : شركة مكتبة مصطفي البابى الحلبى وأولاده ، ١٩٦٨م .

١٦. الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير.- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩٥م

١٧. إمام المفسرين الفضل بن الحسن الطبرسي . جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد.- ط ١ .- بيروت : دار الأضواء ، ١٩٨٥م .

١٨. الإمام محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ . معالم التنزيل حققه وأخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون .- الرياض : دار طيبة ١٩٨٩م .

١٩. محمد على الصابوني . صفوة التفاسير.- دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٠. الإمام محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . الجامع لأحكام القرآن .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٢١. الإمام محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٥٢٨هـ . الكشاف .- رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين.- ط .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م.

٢٢. محمود الصابوني . إعراب القرآن وصرفه وبيانه .- ط ١ .- بيروت : دار الرشيد ١٩٩١م.

٢٣. العلامة الفقيه محمد بن يوسف اطفيش . تيسير التفسير.- سلطنة عمان : وزارة التراث القومى والثقافة ، ١٩٨٧م .

٢٤. محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسي ٧٤٥هـ . تفسير البحر المحيط .- دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض وآخرون .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٢٥. محمد الأمين بن محمد الشنقيطى . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٠٠م .

٢٦. الإمام محمد بن على الشوكانى . فتح القدير.- ضبطه وصححه أحمد عبد السلام .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م.

٢٧. محمد الطاهر بن عاشور. **التحرير والتنوير**.- تونس : الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م

٢٨. محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ٢٩٧هـ. **الجامع الصحيح المسمى (سنن الترمذى)**.- تحقيق كمال يوسف الحوت .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

٢٩. محمد بن على الهاشمي . **شخصية المسلم** . ط٢ .- بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٩٨٦م .

٣٠. الإمام محى الدين النووى ٦٧٦هـ. **رياض الصالحين**. كانور نيجيريا .:- مكتبة أبو بكر الصديق .

٣١. الإمام مالك بن أنس ١٧٩هـ. **الموطا برواية يحيى بن يحيى الليثى الأندلسى**.- علق عليه الأستاذ سعيد اللحام .- بيروت : دار الفكر.- ١٩٩٨م .

٣٢. الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ. **الجامع الصحيح المسند المختصر**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .- ط ٢ .- تونس : دار سحنون ، ١٩٩٣م .

٣٣. الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوي ٢٦١هـ. **الجامع الصحيح**.- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .- ط ٢ .- دار الفكر ، ١٩٠٠م .

٣٤. محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه . **سنن ابن ماجه**.- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.- دار الفكر ، ١٩٠٠م .

٣٥. الإمام محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ٥٤٣هـ. **أحكام القرآن**.- تحقيق عبد الرازق المهدي .- ط ١ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٠م .

٣٦. الإمام محمد بن محمد العمادي المعروف بأبى السعود ٩٥١هـ . **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** .- القاهرة : دار المصحف ، ١٩٨٠م .

٣٧. د. نادى بن محمود حسن الأزهرى . **المقبول من أسباب النزول** .- ط ١ .- مصر: مطبعة الأمانة ، ١٩٩٧م .

٣٨. نصر بن أحمد السمرقندي ٣٧٥هـ . **بحر العلوم** .- تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٣٩. أ.د/ وهبة الزحيلى . **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** .- ط ١ .- دمشق: دار الفكر، ١٩٩١م .

الكاتب :

أ.د. مصطفى رجب :

١-عمل بالسلك الجامعي : معيدا فمدرسا مساعدا فمدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فوكيلا ، فعميدا لكلية التربية بسوهاج من [١٩٩٥-٢٠٠١] كما عمل عميدا للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان [١٩٨٩-١٩٩٢]

٣-عضو اتحاد الكتاب المصريين ، والمجالس القومية المتخصصة برياسة الجمهورية بمصر ولجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

٤-رئيس جمعية الثقافة من أجل التنمية ورئيس تحرير دوريتها العلمية المحكمة [الثقافة والتنمية]

٥-رئيس مجلس إدارة جريدة [رسالة الجنوب] المرخصة من المجلس الأعلى للصحافة بمصر.

٦- يكتب في عدد من الصحف والمجلات العربية من أكثر من ثلث قرن وله أعمدة ثابتة في بعضها.

٧- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا وأربعة دواوين شعرية .

٨- يعمل حاليا أستاذا ورئيسا لقسم أصول التربية بجامعة سوهاج - ورئيسا لنادي الأدب المركزي بمحافظة سوهاج – ونائبا لرئيس فرع اتحاد كتّاب مصر بجنوب الصعيد .

العنوان الدائم للمراسلة البريدية : مصر - سوهاج – كلية التربية

البريد الالكتروني mostafaragab ١٩٩٩@yahoo.com

الهاتف في مصر ٠١٠١٩٩٨٣٧٧ - فاكس ٠٩٣٤٣٩٦٧٠١

الهاتف في القاهرة ٢٤٢٦٤٧٦٢